القضية لا تزال مفتوحة

حوار روائي بين الدين والإلحاد

سلمى حسب الله



هذا الكتاب يسعى إلى الرد على التساؤلات والافتراءات والأكاذيب التي يثيرها ملحدو هذا العصر من مختلِف الأماكن والبلدان، ويقدم الإجابات بشكل موضوعي وغير تقليدي مستعينًا بعلماء الأديان المختلفة والفلاسفة والأساتذة في مختلف فروع المعرفة.

لقد حُسمت القضية من السماء ولكن أبى أهل الأرض أن يحسموها .... ولهذا أكتب ...


ISBN 978-977-399-257 6
6223004051845



القضية لا تزال مفتوحة

سلمى حسب الله

حسب الله، سلمى

القضية لاتزال مفتوحة / سلمى حسب الله – ط ١ .- الجيزة : اطلس للنشر والانتاج الاعلامي ' ٢٠١٣

٣١٦ ص، ٢٤ سم

تدمك: ٩٧٨ ٩٧٧ ٣٩٩ ٢٥٧٦

١- الإلحاد والملحدون

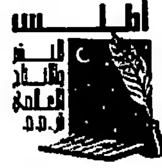
أ - العنوان

٢٤٩

سلمى حسب الله

القضية لا تزال مفتوحة

سلمى حسب الله



رئيس مجلس الإدارة

عادل المصرى

عضو مجلس الإدارة المنتدب

نوران المصرى

رقم الإيداع

٢٠١٣/١٣٦٤٩

الترقيم الدولى

٩٧٨-٩٧٧-٣٩٩-٢٥٧-٦

الطبعة الأولى

الكتاب : القضية لاتزال مفتوحة

المؤلف : سلمى حسب الله

الغلاف : طارق فوزى

الناشر: أطلس للنشر والإنتاج الإعلامى ش.م.م

٢٥ش وادى النيل – المهندسين – الجيزة

atlas@innovations-co.com

www.atlas-publishing.com

تليفون : ٣٣٤٦٥٨٥٠ – ٣٣٠٤٢٤٧١ – ٣٣٠٢٧٩٦٥

فاكس : ٣٣٠٢٨٣٢٨

****



أهدي هذا الكتاب لكل من يبحث عن الحقيقة .... الحقيقة المجردة من أي أهواء.

المقدمة

منذ نعومة أظفاري وأنا أرى الله في كل ما حولي... وفي مجريات حياتي... في تفتح الزهر، في جناح فراشة، في تغريدة بلبل... في غروب الشمس... في أمواج البحر المتلاطمة... وأرى الله في براءة الأطفال وضحكاتهم... وحضن الأمهات.. ويد رجل يمسك بيد امرأته فتتساقط ذنوبهما كما قال الرسول عليه أفضل الصلوات... في تغير أطوارنا وقوتنا حتى ملامحنا... فأرى الله في كل شعرة بيضاء تشتعل في رأسي... وفي كل تجعد يرسم على وجهي..

في كل صرخة وليد .. وكل إنسان اختفى من عالمنا تاركًا وراءه تاريخًا طويلا حافلا بازدهار أو أفول، بآلام وآمال، بنزوات وعدول، هذا التاريخ نفسه يعلن بأن الموت ليس نهاية...

أرى الله في تبديل أحوالنا وأيامنا... في الصحة والمرض... في ساعات الخلوة والذروة، في اختلاف ألسنتنا وألواننا بل وأمزجتنا وطبائعنا...

في ازدهار مختلف العلوم لتعلن سنن الله في الأرض، في الضمير الحي بداخلنا...

أرى الله في هذا وذاك ... فلا يسعني كلما تنبهت إلا أن أقول... سبحان الله.

ولم أتشكك لحظة فيما أشعر به تجاه الله والكون ... ساقتني الفطرة السليمة إلى أجمل إحساس يمكن أن يشعر به إنسان دون عناء أو تردد أو خوف.

حتى دعيت إلى مهرجان في ألمانيا لعرض فيلم جرافكس من أفلامي، ولأن المهرجان كان دوليًّا فكان بمثابة خليط من جميع أجناس البشر. وهذا كان أول احتكاك لي بأنماط أخرى من الناس... كانوا أصحاب عقائد وفكر يختلف تمامًا عما لدي، وكانت أول مرة لي ألتقي فيها بمعتنقي ديانات لا تبرز إلهًا؛ مثل الديانة البوذية .. أو أن ألتقي

بملحدين... منكرين وجود الله وكل الرسالات... وقد أزعجني كثيرًا النقاش معهم عندما تطرق الحديث إلى الله، وساءني تبجحهم أثناء عرض وجهة نظرهم لدرجة أن سألني أحدهم عما إذا كان الإله الذي أعبده رجلا أو امرأة!

وعُدت إلى وطني وأنا في حيرة من أمر هؤلاء الناس.. أي حجة لديهم لكي يسلكوا هذا المسلك؟ وكيف يواجهون المحن والمصائب؟ .. وكيف ارتاح بالهم وهم ينكرون الخالق؟ أسئلة كثيرة باتت تدور في عقلي...

وجدت نفسي في رحلة بحث شاقة ومخيفة.. تضمنت الأسئلة الصعبة التي قد تدور في خلد أي فرد فينا في وقت ما من حياته وقد يشقى بها البعض... وعلى رأسها صحة الإيمان بالله ومصداقية الأديان والحكمة من الوجود... إلخ

حاورت الملحد والمتشكك كما حاورت علماء الأديان المختلفة والفلاسفة والأساتذة من مختلف الأجناس والملل.

كنت أخشى أن يتزعزع إيماني .. فبت أدعو الله أن يثبتني على طريق الحق.. ويهديني إلى الصراط المستقيم والله سميع الدعاء.

ولقد توصلت بعد الدراسة والبحث إلى إن الملحد حجته داحضة لا كما يظن البعض... وهذا الاكتشاف - في نظري - خطير... لقد كنت أظن دومًا أن المتشكك أو الملحد لديه بعض الحجة... فربما اختلط عليه الأمر في فهم نظرية ما - علمية كانت أو فلسفية - فأصبح لديه بعض المنطق من وجهة نظره، أو ربما مر بتجربة ما دفعته إلى هذا التصديق، وهذا الظن دفعني للابتعاد عن قراءة أي مقالة أو كتاب صدر من أحدهم حتى لا يصيبني بعض ما أصابهم... ولكني الآن وبعد البحث وبعد الخوض في قراءة العديد من أفكارهم وتعرضي لمناقشتهم عندي قناعة تامة بأن ليس لديهم أدنى حجة أو

سند أو دليل. فالإلحاد منتهى الجهل... فكما ذكر القرآن الكريم ﴿..وعلى أبصارهم غشاوة...﴾[1].

وأنا الآن قد أشعر بالشفقة تجاه العامة من المتشككين، فمنهم من لم يجد من يرشدهم إلى طريق الهدايا ... ومنهم من لم يتحمل الصمود أمام كوارث ومحن الدهر، ومنهم من وصلته معلومات مشوّهة عن الدين فلم يكن في وسعه إلا أن يصدقها - وما أكثرهم في هذه الأيام - وأنا لا أعفيهم من المسئولية على الرغم من تعاطفي معهم... ولكني لا أتعاطف على الإطلاق مع من قرأ وبحث وناقش وتأمل ووصلته الحقيقة ومع ذلك أنكرها، وساقه غروره أن يُصِرَّ على عناده، بل ويبذل قصارى جهده لنشر سمومه عبر الشاشات والمقالات والكتب.

ومن المحزن حقًّا أن كثيرًا من الناس قد يفتنوا عند سماع هؤلاء الملحدين لتمتع الكثير منهم بشخصية قوية وكاريزما عالية، هذا فضلا عن استخدامهم عبارات وكلمات تبدو من الوهلة الأولى وكأن لهم مرجعية علمية أو فلسفية وخاصة إذا زجوا ضمن عباراتهم أسماء علماء وأبحاث معاصرة وجامعات عالمية مثل جامعة يال أو أكسفورد، ولكن كلنا نعلم أن وضع الأشياء في غير موضعها وخلط الأمور لا تجعل من الوهم حقيقة...

ومما يثير قلقي حقًّا الآن هو هيمنة الفكر الغربي وغزو المذهب العلماني عقول أولادنا عبر الإنترنت وبعض الكتب وبعض ما تقدمه لنا شاشات التلفزيون. فقد أصبحنا نستورد أفكارهم الوضعية بما فيها من تجاوز وشرود كما نستورد مأكلنا وملبسنا.. وجدت مع الأسف الكثير من شبابنا متلقيًا جيدًا، ويسهل على الفرد منهم اعتناق أي

١-القرآن الكريم، سورة البقرة ورقمها ٢، آية ٧.

فكر أو مذهب بدعوة إلى التحضر؛ لأنه ببساطة إذا بحثت بداخله لن تجد ما يقيه من تراثنا أو عقيدتنا، وإذا وجدت شيئًا ستجده مشوشًا هشًّا .. فكل ما لديه راسخ هو مجرد انبهار... أجل انبهار بحضارة الغرب بكل ما لديها من رونق وبريق.

والحقيقة أن الغرب مبهر لأنهم صناع حضارة اليوم وهذا يحسب لهم، ولكن ماذا فعلوا بهذه الحضارة؟ هل كانوا منصفين؟ وهل كل شيء مبهر يكون حقيقيًا؟ وما يغيب عن رأس أبنائنا أن الحضارات أيام والأيام دول .... فلا شيء يدوم ... ولا يصح إلا الصحيح.

دفعني خوفي على أبنائي أن أضع كل ما توصلت إليه من بحث في هذا الكتاب؛ وذلك لاعتقادي بأن التعرف على الأفكارالشاذة ومناقشتها يثبت أولادنا ويدعم عقيدتهم إذا ما تعرضوا لمثل هذا االفكر المريض في المستقبل بطريقة أو بأخرى، و كما ذكر الشيخ الشعراوي - رحمة الله عليه - في أحد لقاءاته قائلا: إن مناقشة هذه الأفكار تعد بمثابة المصل الذي نعطيه لأبنائنا بغرض حمايتهم من المرض.... والمصل ما هو إلا الحقن من جنس الداء للوقاية، ولذلك حدثنا المولى عز وجل عن أفكار الكافرين والملحدين في آيات كثيرة في كتابه العزيز ومنها: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾[1]

١- القرآن الكريم، سورة الجاثية ورقمها ٤٥، آية ٢٤ .

في هذا العمل قمت بصياغة المعلومات في شكل مسرحي رمزي حيث جسدت مختلف فروع العلم والمعاني لكي يتسنى للقارئ تلقي الأفكار المركبة بمتعة ويسر. فعقدت محكمة من جلستين ... فيها شخص الدين مدان، وترفع عليه الدعوة من قبل البشر من مختلف الأزمنة والأماكن بكل الاتهامات التي افتراها أعداء الدين على مر الزمان، ويسعى الدين إلى إثبات أنه فوق الشبهات، ويتقدم كل من التاريخ والمنطق والعلم والأخلاق كشهود. ومن خلال الحوار أثناء الجلستين يتعرض القارئ إلى الرأي والرأي الآخر، ولقد حاولت جاهدة أن أكون محايدة قدر ما استطعت وأترك القارئ ليصل وحده إلى ما يمليه عليه عقله وضميره.

أكتب كتابي هذا وكلي أمل أن يكون مفيدًا لقارئه فيدعو لي.

﴿ وَقُلْ رَبِّ أدخلْنِي مُدخلَ صِدقٍ وَأخرجِنِي مُخرَج صِدقٍ وَاجعَلْ لِي مِنْ لَدنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾[1].

[1] -القرآن الكريم، سورة الإسراء ورقمها ١٧، آية ٨٠.

الجزء الأول

الفصل الأول

الفصل الأول

﴿... فَأَمَّا الزَّبد فَيَذهَب جفَاء وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُث فِي الأَرْضِ...﴾ [1]

هذا ما جال بخاطر "دين" حينما كان يجلس متأملا وقت الغروب على الشاطئ، فكان مبهورًا أمام البحر باتساعه وجماله، وكم أدهشه موجه وهو يتكسر على شواطئه، فكان يرى بعينيه زبد البحر يتلاشى أثناء رجوع الموج ثم يعود الموج بهديره وكأنه يعلن عن قدومه تارة أخرى محملا بزبد جديد.

حقًا فالأيام كالأمواج المتلاطمة المتلاحقة ... تروح ذهابا وإيابا، تمحو كل ما هو باطل كما يُمحى الزبد مع حركة الأمواج، أما الخير فيبقى مهما كثر كارهيه، كبقاء الكنوز في أغوار البحار.

ما أجمل سنن الله!

تنبه الشاب على صوت الصبي الصغير "نور" وهو يجري إليه مهرولا بفزع قائلا:

نور

"دين" اهرب ... اهرب بسرعة، اجرِ بأسرع سرعة ممكنة،
فهم وراؤك، سيصلون إليك، وهم مصممون على الخلاص
منك!

وقف دين بكل ثقة وإباء قائلا:

١- سورة الرعد ورقمها ١٣، آية ١٧.

دين

أهرب؟!!! لست أنا.

ثم نظر "دين" إلى عين الصبي فأحس بكل ما يشعر به الصبي من توتر وحيرة، فقال له بصوت حنون ليطمئنه وهو يمسح دمعة سقطت من عينيه:

دين

لا تقلق يا بني، سأكون بخير.

تنبه دين ونور على صوت عدد كبير من الحشود، أخذ الصوت يعلو شيئًا فشيئًا حتى أصبحوا على مرأى البصر، وكانوا قادمين من خلف الجبل المقابل للشاطئ.

اقتربوا مسرعين من دين، وقال أحدهم:

أحد الحشود

أخيرًا وجدناه!

قال آخر:

لا يكفيني تحطيم رأسه!

عند وصولهم إلى "دين" قاموا بتقييده بغلظة وأخذوا يدفعونه أمامهم، ثم قال أحدهم:

صوت آخر من الحشود

لا بدَّ أن نُعاقب على ما سببته لنا في حياتنا من دمار وعنصرية وكراهية، لا بدَّ أن نُحاسب على كل أذى سببته لنا

قالت امرأة بشراسة بين الحشود:

امرأة بين الحشود

لا بدَّ أن تُقتل لخيانتك العظمى وجرائمك البشعة

وقف "نور" وحده في الظلام يرتعد من هول ما رأى، وأخذ يراقب الحشد وهو يبتعد، فصاح "دين" قائلا:

دين

لا تقلق يا "نور" سأكون على ما يرام.

قال الصبي باكيًا:

الصبي

أنا أؤمن بك.

الفصل الثاني

تراث أم وحي

﴿وَإِذا تُتلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَد سَمِعْنَا لَوْ نَشَاء لَقُلْنَا مِثْلَ هَذا إِنْ هَذا إِلا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾[١].

"The great enemy of the truth is very often not the lie, deliberate, contrived and dishonest, but the myth, persistent, persuasive and unrealistic"[٢]

"I am not a myth"[٣].

١ - القرآن الكريم، سورة الأنفال ورقمها ٨، آية ٣١.

٢ -John F. Kennedy

٣ -Marlene Dietrich

الفصل الثاني

اكتظت المحكمة بحشود من أعمار وطبقات وجنسيات مختلفة، ومن عهود مختلفة، وكان من بينهم "نور" الذي تألم كثيرًا عندما سمع هتاف كثير من الحاضرين ضد "دين".

قام كاتب المحكمة بفتح الباب للقاضي قائلا:

كاتب المحكمة

هدوء في القاعة، قيام.

وقف الجميع وهدأت القاعة، ثم دخل القاضي من وراء المنصة وبعد أن جلس في مكانه قال:

القاضي

حضرات السيدات والسادة، نحن على وشك سماع الأدلة في قضية أعتبرها الأكثر أهمية في حياتنا.

نظر القاضي إلى "دين" وهو يقف وراء القضبان، ثم أكمل حديثه قائلا:

القاضي

المتهم فريد من نوعه والأكثر أهمية، والاتهامات القضائية الموجهة إليه خطيرة للغاية، ولهذا أطلب منكم الإنصات الجيد والتركيز.

بدأ صوت همس يعلو في القاعة فقال القاضي.

القاضي

هدوء ....

عندما سكت الجميع أكمل قائلا:

القاضي

في هذه القضية توجه التهم الآتية إلى المدعى عليه: تهمة الاحتيال والخداع والكذب، فهو المسئول الأول عن نشر الكراهية والتشجيع على العنف في جميع أنحاء العالم، وذلك بسيطرته على عقول البشر من خلال محاولته إظهار كل ما هو باطل.

عاد صوت الحاضرين يعلو من جديد بين مؤيد ومعارض، فقرع القاضي على المنصة قائلا بصوت عال:

القاضي

برجاء الصمت.

هدأ الجميع مرة أخرى واستمر القاضي قائلا:

القاضي

كما تعلمون يجب الافتراض أن المتهم بريء حتى تثبت إدانته بما لا يدع أي مجال للشك.

نظرًا للغموض وحساسية القضية يسمح للحاضرين - ولأول مرة - المشاركة في المناقشة.

أود أن أذكركم بأن المدعي العام هنا يتحدث نيابة عن البشر.

قام رجل عجوز محتجًا من بين الحاضرين وقال بصوت هزيل:

رجل عجوز

ليس كل البشر يا سيادة القاضي.

اتجه كاتب المحكمة إلى "دين" وقال له:

كاتب المحكمة

ردِّد القسم.

وقف "دين" خلف القضبان قائلا:

دين

أقسم بالله العظيم أن أقول الحق.

القاضي

الادِّعاء يتفضل.

المدعي

اذكر اسمك وسنك ومهنتك.

دين

اسمي دين، البعض يعرفوني بالأديان السماوية، أنا دليل التعليمات للإنسانية، مبعوث من صانعهم، يظن الناس أن عمري قرون طويلة ولكن في الحقيقة أنا أكبر من ذلك بكثير.

المدعي (مقاطعًا بحدة)

لا يوجد أي دليل بأنك أرسلت من قِبل صانعنا إن وُجد، فأنت لست أكثر من اختراع آخر للإنسان.

دين

يا حضرة القاضي إني أعترض، فهذا تحامل دون مبرر، ليس له أي أساس.

أشار المدعي على دين قائلا:

المدعي

اسمح لي أن أكمل حديثي يا حضرة القاضي حتى أثبت لك كم هو مخادع.

القاضي

تم إلغاء الاعتراض، المدعي يريد فقط أن يعرف مصداقية الرسالات التي وصلتنا.

ثم نظر القاضي إلى المدعي العام قائلا:

القاضي

الادّعاء يتفضل.

المدعي

توجد قواسم مشتركة بين "دين" وبين الأديان الوثنية القديمة.

القاضي

ماذا تقصد بالقواسم المشتركة أيها المستشار؟

المدعي

لقد وجد العلماء يا سيادة القاضي تشابهًا كبيرًا بين الأديان السماوية وبين القصص الوثنية التي ظهرت في الثقافات المختلفة في جميع أنحاء العالم.

القاضي

تقصد أن "دين" قد نقل منهم؟

المدعي

تمامًا.

القاضي

هل لديك ما يدعم أقوالك؟

المدعي

بكل تأكيد، ويرجع الفضل إلى تقدم علم الآثار وفك رموز الشفرات الذي كشف لنا كم تزوير دين، فالآن لن يستطيع دين أن يخدع البشر المُتحضر كما كان يفعل في الماضي.

دين

يا سيادة القاضي، الاتهام الذي يوجهه إليّ المستشار محاولا أن يضفي عليه لباس التقدم إنما وجه إليّ منذ قديم الزمان، فقد قال الله تعالى لرسوله عليه أفضل الصلوات في القرآن الكريم: ﴿... وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذا جاؤُوكَ يُجادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذا إِلا أَساطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾[1].

نظر القاضي إلى دين قائلا:

القاضي

هذا لن يغير شيئًا من مضمون الاتهام.

ثم نظر القاضي إلى المدعي العام قائلا:

القاضي

ما هي أوجه التشابه بين "دين" والأديان الوثنية القديمة يا سيادة المستشار؟

المدعي

لدي الكثير، على سبيل المثال اسم الإله أمون متشابه جداً لكلمة آمين المستخدمة في كل الأديان السماوية[2].

قام أحد الحاضرين قائلا:

١-القرآن الكريم، سورة الأنعام، رقمها ٦، رقم الآية ٢٥.

٢- يوسف زيدان – عزازيل – الرق الخامس والعشرون، الحنين – دار الشروق، ٢٠٠٩، صفحة ٣٢٣.

باسم

كلمة أمين أيضًا تشبه كلمة أمان يا للّي في التركية يا سيادة القاضي.

ضحك الحاضرون، فقرع القاضي المنصة قائلا:

القاضي

سيد باسم ... اخرج من القاعة فورًا، لقد أسأت إلى هيبة المحكمة بمزاحك.

باسم

أنا لم أقصد الإساءة، ولكني أعبر عن رأيي، وهذا حق أعطيته لي في بداية الجلسة، وعلى كل فأنا أعتذر.

القاضي

اخرج فورًا كما أمرتُك حتى نكمل القضية.

خرج باسم مطأطئ الرأس، ثم قال القاضي بلهجة أقل حدة:

القاضي

أكمل يا سيادة المستشار.

المدعي

يا سيادة القاضي، كلنا نعلم أن المجتمعات والحضارات الإنسانية تؤثر بعضها في بعض وما يتبع ذلك من تأثير على

اللغـات، فمـثلا كلمـة ورشـة باللغـة العربيـة مـأخوذة مـن workshop, باللغة الإنجليزية، وكذلك كلمة آمين اشتقت من كلمة آمون في اللغة المصرية القديمة كما ذكرت سابقًا.

دين

أنـت تخلـط بـين اللغـات وبعضـها يـا سـيادة المستشـار، فأنـت ذكـرت أن كلمـة ورشـة بالعربيـة اشـتقت مـن كلمـة workshop بالإنجليزية، وهذا يبدو واضحًا لأن لهما نفس المعنى، ولكن لا نغفل أننا قـد نجـد كلمـات في لغـة مـا تتصـادف أن تشـبه في النطـق كلمـات أخـرى في لغـات أخـرى ومـع ذلـك لا توجـد أي صلة بين هذه الكلمات وبعضـها، والـدليل علـى ذلـك اختـلاف معانيها، فمثلا كلمة "بنـت" في اللغـة العربيـة تنطـق مثـل bent أي "منحني" في اللغة الإنجليزية، ولا يوجد أي علاقة بينهما؛ لأن الفرق واضح في المعنى، وأيضًا كلمـة "مـن" باللغـة العربيـة تشـبه إلـى حـد كبيـر كلمـة "men" أي "رجـال" في اللغـة الإنجليزية والفرق أيضًا واضح، وإذا بحثت في كلمـة آمـون يـا سيادة القاضي تجد أنها تعنى اسم أحد الآلهة عند المصريين القدماء، أما كلمة "آمين" في العربية فتعني استجب[1] فتشـابه النطق بين هاتين الكلمتين لا يعنـي أي تـرابط بينهمـا، فشـتان بين المعنيين.

١-الشيخ محمد متولي الشعراوي – تفسير الشعراوي، المجلد الأول – سورة الفاتحة، أخبار اليوم، ١٩٩١، صفحة ٩١.

القاضي

هل يوجد لديك تشابه آخر يا سيادة المستشار؟

المدعي

يوجد تشابه كبير بين قصة الخلق التي وردت في الرسالات السماوية وكثير من المعتقدات القديمة.

القاضي

اضرب لنا مثلا.

المدعي

في المعتقدات المصرية القديمة، كان الإله خنوم Chnum على شكل رجل له رأس كبش وله قرنان، وقد صنع خنوم البشر من طين الصلصال، ثم نفخ فيهم آمون[1]، وهنا نجد تشابهًا كبيرًا بين ما ذكر في المعتقدات المصرية القديمة وما جاء به الكتاب المقدس[2] والقرآن الكريم عن قصة خلق آدم، فقد ذكر الكتاب المقدس "وجبل الرب الإله آدم ترابا من الأرض، ونفخ في أنفه نسمة حياة. فصار آدم نفسًا حيّة"[3] وذكر القرآن: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ

١-يوسف زيدان – عزازيل – الرق الثاني: بيت الرب – دار الشروق – ٢٠٠٩، صفحة ٤٠.

٢- ينقسم الكتاب المقدس إلى جزئين: يطلق على الجزء الأول "العهد القديم" ويتكون من مجموعة من الأسفار قبل مجيء المسيح، يطلق على أول خمسة أسفار منه "التوراة". أما الجزء الثاني من الكتاب المقدس فهو "العهد الجديد" وكُتب بعد المسيح.

٣-الكتاب المقدس – سفر التكوين – اصحاح ٢: آية رقم ٧.

مَسْنُونٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ﴾[1]

القاضي

هل يوجد أي تشابه آخر بين قصص الخلق المذكورة في المعتقدات القديمة والكتب المقدسة؟

المدعي

الملحمة "إنوما إليش" - وهي قصة الخلق البابلية - تعود على الأرجح إلى ٢١٠٠ قبل الميلاد أي قبل ظهور أقدم كتاب سماوي بألف سنة تقريبا، تحكي الملحمة عن قصة حب الإلهين إبسو وتيامات، إبسو هو المياه العذبة تحت الأرض وقرينته تيامات هي البحر العاصف الجامح، إبسو وتيامات من ماء ولكنهما أيضًا أجساد، وقد سُجن أولادهم، إما داخل تيامات أو بين والديهم، وبعد فترة بدأ أولادهم في عمل ضجيج مما أزعج الإله إبسو ومنعه من النوم، وجعله يخطط لقتل أبنائه بمساعدة مستشاره الشرير، ولكن الأولاد علموا بالخطة مما أسفر عن اندلاع حرب بين الوالدين من جهة والأبناء من جهة أخرى، فخلقت تيامات جيشًا من التنانين والثعابين السامة، وأخيرًا نظم مردوخ - أقوى من جاء من

١- القرآن – سورة الحجر، رقمها ١٥، آية ٢٨ – ٢٩.

سلالتهما- جيشًا من الآلهة وأنزل بجدته الإلهة تيامات هزيمة ساحقة، وقسم جسدها إلى اثنين، وهذا يقابل في الكتاب المقدس"... وليكن فاصلا بين مياه ومياه "[1]، وصنع من أحد الجزأين السماء ثم صنع أبراجًا مقابلة للآلهة العظام، ثم خلق القمر وقرر تغيراته، وخلق المعالم الجغرافية من أحشاء تيامات، وأخيرًا قتل مستشار جده الشرير، ومن دمه خلق البشر حتى لا تضطر الآلهة أن تكدح في الحقول وريّ الخنادق لإعالة أنفسهم، بعد ذلك تقابلت الآلهة في بابل، مركز الأرض الجديدة وأقاموا معبدًا ليصبح مكانًا لإجراء الطقوس الدينية فقدست مدينة بابل.[2]

في بادئ الأمر كانت الكائنات البشرية الأولى مفيدة للعمل، ولكنهم كانوا همجًا وبرابرة مثل الحيوانات، ثم ظهر مخلوق غريب، زحف من خليج بارزيان، كان له جسم سمكة ولكن رأسه وقدمه يشبه البشر، كان اسمه أوينزOannes وعلم البشرية فنون الحضارة مثل الكتابة وعلم الحساب والزراعة وبناء المدن والقوانين، كان يعود إلى الماء في كل مساء حتى أنهى مهمته واختفى[3].

١-الكتاب المقدس - سفر التكوين - أصحاح ١، آية رقم ٦ .

٢- Karen Armstrong, A History of God, Chapter ١: in the beginning, The Random House Publishing Group, ١٩٩٣, Page ٨-٩

٣- David Park, The Grand Contraption, Chapter one, Princeton University Press, ٢٠٠٥, Page ٦ .

القاضي

وما وجه التشابه بين ما ذكرت في هذه الملحمة والكتب المقدسة؟

المدعي

يوجد العديد يا سيادة القاضي، أولا: كلّ من الكتاب المقدس وملحمة الخلق البابلية يحكيان عن فوضى في البداية؛ لأن الظلام والفراغ المذكورين في الكتاب المقدس يشيران إلى فوضى.

ثانيًا: هناك آية في سفر التكوين باللغة العربية نصها: "وكانت الأرض خربة وخالية وعلى وجه الغمر ظلمة"[1]، وباللغة الإنجليزية:

"And the earth was without form, and void; and darkness was upon the face of the deep"

نلاحظ التشابه الكبير بين الكلمة العبرية "tehom" في سفر التكوين (والتي ترجمت غمر بالعربية و "deep" بالإنجليزية) واسم تيامات قرينة الإله إبسو[2].

ثالثًا: في كل من الملحمة والكتاب المقدس ذكر تقسيم المياه إلى مياه علوية ومياه سفلية ليكون السماء والأرض (سفر التكوين ١: ١-٢، ٦ – ١٠).

١-الكتاب المقدس – سفر التكوين – أصحاح ١، آية رقم ٢ .

٢-David Park, The Grand Contraption, Chapter one, Princeton University Press, ٢٠٠٥, Page ٦

رابعًا: وجود الضوء قبل خلق الشمس والقمر والنجوم (سفر التكوين ١: ٣-٥، ١٤ – ١٨)[١]

خامسًا: تم تسجيل الملحمة على سبعة ألواح بينما تم خلق الكون في سبعة أيام.

سادسًا: اعتبرت بابل مكانا مقدسا ومنزل الآلهة قديمًا، ونجد هذا المفهوم أيضًا موجودًا في كل من الأديان السماوية الثلاثة[٢].

بدأ صوت همس يعلو في القاعة، فقال القاضي:

القاضي

هدوء ...

بعد أن هدأت القاعة قال المدعي:

المدعي

هذا فضلا عن قصة الطوفان التي ورد ذكرها في الكتب المقدسة، وأيضًا في أكثر من مائتين أسطورة قديمة، أقدمها ملحمة جلجامش الأكدية[٣] Gilgamesh، تعود هذه الملحمة إلى ١٩٠٠ قبل الميلاد أي قبل مجيء الكتاب المقدس بمئات السنين[٤]. لقد بدأت الملحمة الحديث عن جلجامش ملك

١- Randall Price, The Stones Cry Out, Chapter ٣ Harvest House Publishers, ١٩٩٧, Page ٦٢
٢-Karen Armstrong, A History of God, Chapter ١: In the beginning, The Random House Publishing Group, ١٩٩٣, Page ٨-٩
٣ -The Discovery of Noah's Ark documentary, Produced & copyrighted, ١٩٩٣, by American Media
٤- يعتقد أن النبي موسى ولد نحو ١٢٧٨ ق.م.

أورك، كانت والدة جلجامش إلهة خالدة، ووالده بشرًا فانيًا، ولهذا قيل إن ثلثيه إله والثلث الباقي بشر، أدرك جلجامش حقيقة أنه لن يكون خالدًا بسبب الجزء الفاني منه، فبدأ في رحلته للبحث عن الخلود والحياة الأبدية، ولكي يجد جلجامش سر الخلود كان عليه أن يجد الإنسان الوحيد الذي وصل إلى تحقيق الخلود وكان اسمه أوتنابشتم Utnapishtim والذي يعتبره البعض مشابهًا جدًا – إن لم يكن مطابقًا – لشخصية نوح في الأديان اليهودية والمسيحية والإسلام، بعد أن وجده همس إليه إله ثانوي قائلا له من خلال جدار منزله المصنوع من القصب: إن رئيسه الإله إنليل أصبح غاضبا من البشرية وأن أوتنابشتم لا بدّ أن يصنع سفينة كبيرة على شكل مربع، قام أوتنابشتم بصناعتها ثم حمل عليها جميع ممتلكاته وجميع الحرفيين والثروة الحيوانية، هبت الرياح وسقط المطر، وأزيلت الأرض، حتى الآلهة أحسوا بالخوف والجبن كالكلاب[1]، في اليوم السابع هدأت العاصفة، وأشرقت الشمس، ثم ظهرت اليابسة في اليوم الثاني عشر ورست السفينة على قمة جبل نيسير Nisir في كردستان[2] بدلا من جبال أرارط الذي رست عليها السفينة في الكتاب المقدس أو جبل الجودي الذي رست عليه السفينة في القرآن.

١- David Park, The Grand Contraption, Chapter one, Princeton University Press, ٢٠٠٥,Page ١٨
٢- Randall Price, The Stones Cry Out, Chapter ٣, Harvest House Publishers, ١٩٩٧, Page ٦٤

القاضي

وما هو السبب لمثل هذه الكارثة؟

المدعي

سبب البشر كثيرًا من الضجيج فلم يستطع الإله إنليل النوم، حاول أن يسكتهم بجفاف ثم أرسل إليهم وباء، وعلى الرغم من ذلك لم يتوقف البشر عن الضجيج، ولذلك قرر إغراقهم أجمعين[١].

القاضي

احكِ لنا المزيد من القصص المشابهة للطوفان.

المدعي

ملحمة أتراهسس Atrahasis ، البابلية، هذه الملحمة محفوظة في ألواح يرجع تاريخها إلى القرن السابع عشر قبل الميلاد، ولكن القصة التي سردتها الألواح يرجع تاريخها إلى بداية العصر البابلي[٢]، وفي هذه الملحمة كان الآلهة يحكمون السماء والأرض، قاموا بخلق الإنسان من طين ممزوج بدماء، وسبب تكاثر البشر على الأرض ضجيجًا، مما أزعج الآلهة فارسلوا للبشر الأوبئة ثم الطوفان لتدمير الجنس البشري، رجل واحد فقط ويدعى أترهاسس جاءه إنذار بالفيضانات وأمر

١- David Park, The Grand Contraption, Chapter one, Princeton University Press, ٢٠٠٥, Page ١٨ -١٩
٢- Randall Price, The Stones Cry Out, Chapter ٣, Harvest House Publishers, ١٩٩٧, Page٦١

أن يصنع قاربا، قام أترهاسس بصنع القارب ثم حمل عليها الحيوانات والطيور والغذاء، وهكذا نجى بخلاف الباقين، ثم ندم الآلهة بعد أن اكتشفوا أنهم قاموا بمحو مصدر الغذاء الأساسي لهم وهي القرابين التي كانت تقدم لهم من قبل الناس قبل غرقهم في الطوفان[1].

توجد قصص أخرى كثيرة مشابهة لهذه الروايات مثل أسطورة ديوكاليون اليونانية وقصة "ماتسيا أفاتارا" في الأساطير الهندوسية.

القاضي

هذا مثير حقًّا!

المدعي

كما ترى يا سيادة القاضي، الأديان السماوية ليست سوى شكل آخر من الأساطير التي تستند على روايات الأمم السابقة.

نظر القاضي إلى دين وقال بهدوء:

القاضي

ما قولك يا سيد دين فيما نُسب إليك؟

أمسك "دين" القضبان وصاح قائلا

[1] -David Park, The Grand Contraption, Chapter one, Princeton University Press, ٢٠٠٥, Page ١٨-١٩

دين

هذا خطأ فادح يا سيادة القاضي!!

القاضي

كيف ذلك يا دين؟

نظر دين إلى القاضي وقال بهدوء:

دين (مبتسمًا)

يا سيادة القاضي، الفرق بين الدين والأساطير واضح لكل من لديه القدرة على أن يرى.

القاضي

يا سيد دين، وضّح ما هو الفرق؟

دين

فيما يخص قصة الخلق، فنجد الإله خنوم - في المعتقدات المصرية القديمة - على شكل رجل له رأس كبش وله قرنان ، أما أسطورة إنوما إليش فتروي قصص آلهة متعددة وهم بائدون، يحاربون ويقاتل بعضهم بعضًا، أما عن قصص الطوفان، فتروي لنا ملحمة جلجامش الأكدية عن آلهة متعددة ورئيسهم الإله إنليل ينام وينزعج من ضجيج البشر، وملحمة ألتراهاسيس تروي عن ندم الآلهة بعد الطوفان حين اكتشفوا أنهم قاموا بمحو مصدر الغذاء الأساسي لهم وهي

القرابين التي كانت تقدم لهم من قبل الناس قبل غرقهم في الطوفان.

هذه صفات لا يمكن أن تنسب إلى خالق السماوات والأرض..

الله - يا سيادة القاضي - الواحد الأحد، هو "القدوس" المنزّه المبرأ من كل وصف يتصوره البشر بخيالهم أو يسبق إليه وهمهم، وهو ليس فقط منزّهًا عن صفات نقصهم بل هو منزّه أيضًا عن صفات كمالهم؛ لأن كل ما يخطر لهم من صفات كمالهم هو نقص بالنسبة إلى ذاته[1]، سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرًا.

علا ضجيج الحشود مما جعل القاضي يقرع المنصة وهو يقول بصوت عال:

القاضي

النظام!

ثم نظر القاضي إلى دين قائلا:

القاضي

استمر.

دين

يا سيادة القاضي، لا يوجد نظام ديني أو فلسفي دعا إلى النقاط التالية معًا إلا الأديان السماوية: الله هو الواحد

١- د. مصطفى محمود، الله، الله في الإسلام، دار المعارف، ١٩٩٧، صفحة ١٩.

الأحد العليم القدير، المادة والكون والوقت خلقوا ولهم بداية، هـذا الكـون مصـمم بدقـة وسـوف يكـون لـه نهايـة، خلـق الله الكـون ـ في ٦ أيـام، اثنـان مـن الأديـان السـماوية متفقـان علـى تعريـف الوقـت، فالكلمـة العبريـة لليـوم تـدل علـى مـدار ٢٤ ساعة، أما وجهة النظر القرآنية لكلمة يوم هـي فترة[١].

المدعي (ساخرًا)

من الغريب أن نفترض أن الأسـاطير هـي المشـتقة مـن الـدين ونحن نعلم جيدًا أن الدين وجد بعد الأساطير بأعوام كثيرة.

دين

من قال لك إن بداية نزول الرسالات كانت مع النبي موسى؟ لقد نزل دين الله على الأرض منذ أن خلق آدم أبو البشـر، ثـم توالت الرسل من بعده.

القاضي

هل لديك دليل على صحة ما تقول يا سيد دين؟

دين

كلام الله يا سيادة القاضي وكفى بالله شهيدًا.

المدعي

كيف نـأخذ الـنص المقـدس دلـيلا ونحـن نشـك ـ في أصـله يـا سيادة القاضي؟

١- Canar Taslaman – The Big Bang Philosophy and God, Chapter ١٠, Nettleberry/Citlembic Publications, ٢٠٠٦, Page: ١٤٧-١٥٤

أ. د. حسـين يوسـف راشـد عمـري، خلـق الكـون بـين الآيـات القرآنيّـة والحقـائق العلميّـة، نشـر البحـث في مؤتـة للبحـوث والدّراسات (سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعيّة)، ٢٠٠٤، المجلد ١٩، العدد ٤، ص ٤١-١١ .

صمت القاضي برهة، ثم قال:

القاضي

إذن من أين أتت أوجه التشابه بين الأديان السماوية والوثنية؟

وقفت امرأة، في الأربعين من عمرها في وسط الحشود قائلة:

المرأة وسط الحشود

ربما الأحداث المذكورة في الكتب المقدسة حدثت بالفعل في زمن ما، ولذلك لدينا سجلات مشوهة أحيانًا من بعض المصادر.

ثم قام رجل عجوز قائلا بصوت عالٍ:

رجل عجوز

أو كان أصل هذه الأساطير وحيًا من الله ولكنه شوه عبر الزمن!

قام شاب ليقول:

شاب صغير

يا حضرة القاضي، جميع المصادر وهمية؛ فالأساطير والأديان على حد سواء لا يستندان على أي دليل.

نظر القاضي إليهم جميعًا، ثم هز رأسه قائلا:

القاضي

سوف نرى، ناد على الشاهد الأول.

الفصل الثالث

هل هناك أثر؟

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ...﴾[١].

"History is a gallery of pictures in which there are few originals and many copies."[٢]

في تاريخ الأزمنة تعلمنا أن الحياة صحوة ونشوة، الموت هو الحقيقة[٣].

"History is the version of past events that people have decided to agree upon."[٤]

١- القرآن الكريم، سورة الروم ورقمها ٣٠، آية ٩.

٢ -Alexis de Tocqueville

٣ - مي منسي- الساعة الرملية.

٤ -Napoleon Bonaparte

الفصل الثالث

صاح كاتب المحكمة قائلا بصوت عال:

كاتب المحكمة

الشاهد الأول.

دخل شيخ عجوز مستندًا على عكاز إلى القاعة، وتقدم نحو منصة القاضي، ثم طلب منه كاتب المحكمة أن يتلو القسم قائلًا:

كاتب المحكمة

ارفع يدك وأقسم قسم المحكمة.

الشاهد الأول

أقسم بالله العظيم أن أقول الحق.

المدعي

اذكر اسمك وسنك ومهنتك.

التاريخ

اسمي التاريخ، عادة أسجل وأشرح الأحداث الماضية، أنا عجوز جدًا، في الحقيقة لا أتذكر سني بالضبط!

المدعى

وفقًا لرواية الكتب السماوية، تاه بنو إسرائيل في شبه جزيرة سيناء لمدة أربعين سنة أثناء خروجهم من مصر، أهذا صحيح؟

التاريخ

أجل يا سيادة المستشار، فقصة الخروج هي قصة رحلة بني إسرائيل في التحرر من العبودية، أمر الله موسى أن يقود بني إسرائيل مع أخيه هارون ليحررهم من حياة الذل والهوان، رفض المصريون القدماء رحيل بني إسرائيل، فبعث الله الأوبئة إلى المصريين القدماء حتى أذن لهم فرعون بالرحيل، غيَّر فرعون رأيه في وقت لاحق ثم تتبع بني إسرائيل إلى البحر، انشق البحر بمعجزة إلهية وعبر بنو إسرائيل إلى الجانب الآخر، وعند وصولهم أغلق الله الفجوة في البحر فغرق جيش فرعون، ضل العبريون طريقهم في شبه جزيرة سيناء لمدة ٤٠ سنة، وأخيرًا وصل بنو إسرائيل أرض كنعان[١] التي كان يسكنها أقوام مختلفون.

المدعي

لقد ذكر الكتاب المقدس "فَارْتحلَ بنُو إِسْرَائيلَ مِنْ رَعَمْسِيسَ إِلَى سُكُّوتَ[٢]، نَحوَ سِتِمِائَةِ أَلْفِ مَاشٍ مِنَ الرِّجالِ عَدا الأَوْلاد. وَصَعِد مَعَهُمْ لَفِيفٌ كَثِيرٌ أَيْضًا مَعَ غَنَمٍ وَبقَرٍ، مَوَاشٍ وَافِرَةٍ جدًّا." [٣]

١- تقع أرض كنعان على أرض فلسطين وقطاع غزة والأردن وبعض أجزاء من سوريا.

٢- سكوت: ثاني محطة نزل فيها بنو إسرائيل أثناء خروجهم من مصر، يعتقد ان رعمسيس (Raamses) وسكوت (succoth) بلدتان تقعان داخل أرض جاسان التي تقع في شرق الدلتا في مصر.

٣-الكتاب المقدس- سفر الخروج - أصحاح١٢، آية رقم (٣٧-٣٨).

من الطبيعي أن مجموعة من ٦٠٠,٠٠٠ شخص أو حتى جزء صغير من هذا العدد يترك أثرًا أثناء عبورهم في شبه جزيرة سيناء. نحن نتحدث هنا عن أربعين عامًا.

علت أصوات الحضور بالموافقة على بيان المدعي العام، ثم اتجه المدعي العام إلى التاريخ وسأله بثقة:

المدعي

هل هناك أي آثار لأي مجموعة كانت تعيش في شبه جزيرة سيناء وبالذات في منطقة قادش برنيع[1] في الوقت المفترض لخروج موسى من مصر؟

التاريخ

لا يا سيادة المستشار[2].

علا أصوات الحشود ضد دين قائلين:

صوت من الحشود

أوقفوا الخائن!

صوت آخر من الحشود

هذه هي الخدعة الكبرى.

قال التاريخ بتردد:

١- وفقًا لرواية الكتاب المقدس، نزل بنو إسرائيل في قادش برنيع لمدة ٣٨ سنة من الأربعين سنة من التيه، وقد استنتج علماء الآثار أن هذه المنطقة تقع في شرق سيناء.

٢- Isreal Finkelstein & Neil Asher Silberman, The Bible unearthed, Chapter two, Touchstone Rockfeller Center, ٢٠٠٢, Page ٦٣

التاريخ

ربما لم نجد أي أثر لبني إسرائيل أثناء تجولهم في سيناء بسبب حياة البدو القاسية التي كانوا يعيشونها والتي جعلتهم يعيدون استخدام وتدوير كل ما يملكون.

المدعي

أنا أعترض يا سيادة القاضي، فهذا استنتاج وليس دليلا.

القاضي

الاستنتاج لاغٍ.

المدعي

هل وجدت أي أثر لقصة خروج بني إسرائيل من مصر في أي من سجلات الفراعنة؟

التاريخ

حتى الآن لديّ القليل من الحظ.

خدش التاريخ رأسه ثم قال بحماس وكأنه تذكر شيئًا:

التاريخ

نعم، ورق بردي آيباور[1] تذكر اضطرابات وقعت في مصر مشابهة لما روته الأديان السماوية من مصائب حلّت على مصر قبل خروج بني إسرائيل منها مباشرة.

١- ورق بردي آيباور محفوظ حاليًا في متحف ليدن بهولندا.

القاضي

من كتب ورق بردي آيباور؟

التاريخ

كتبها مصري قديم يدعى آيباور.

القاضي

وما هو المكتوب على الورق بالضبط؟

التاريخ

مكتوب عليه قصيدة مصرية، هذه القصيدة تصف الإمبراطورية المصرية في حالة من الفوضى الشاملة، لقد سحقت الكوارث الطبيعية الروح المصرية، وذكرت القصيدة أن المجاعات والأوبئة أودت بحياة الكثير من الناس، أحد العبارات ذكرت نهرًا من الدم، وذكر فيها أيضًا أن أحد الأسباب الرئيسية للاضطرابات أن الخدم تمردوا بشكل علني وتركوا الأرضَ.

يجد كثير من الناس العديد من مقاطع هذه البرديات تعكس الأوبئة والأحداث التي روتها الأديان السماوية أثناء خروج بني إسرائيل من مصر[1].

١- Randall Price, The Stones Cry Out, Notes, Harvest House Publishers, ١٩٩٧, Page ٤١٢, Note#٣٤

المدعي

يا سيد تاريخ اذكر لنا متى كتبت هذه القصيدة؟

التاريخ

عهد كتابة هذه القصيدة غير معلوم[1].

المدعي

هل يمكنك أن تحدثنا عن شخصية آيباور مؤلف القصيدة؟

التاريخ

لسوء الحظ الكاتب لم يذكر شيئًا عن نفسه أو عن الظروف التي كتب فيها هذه القصيدة.

المدعي

بما أننا نفتقر هذه المعلومات إذن لا يمكننا مجرد أن نفترض أن آيباور كان شاهد عيان على الأحداث التي وصفها في قصيدته، أو أنه يصف شيئًا تاريخيًا.

وقف رجل بين الحشود قائلا:

رجل بين الحشود

لا يمكن أن يكون من قبيل المصادفة أن كلا من الكتاب المقدس وقصيدة آيباور يصفان نهرًا من الدم.

١-http://en.wikipedia.org/wiki/Ipuwer_Papyrus

المدعي

لا ينبغي أن نأخذ هذا التعبير حرفيًا؛ لأنه من الممكن أن يكون كل من الكتاب المقدس وقصيدة آيباور يرمز إلى أوقات الفيضانات الكارثية للنيل عندما كان النهر يحمل كميات كبيرة من التراب الأحمر الغني بمخصبات التربة.

القاضي

يا سيد تاريخ، هل لديك أدلة أخرى؟

التاريخ

لدي دليل على وجود بني إسرائيل في عام ١٢٠٩ قبل الميلاد.

القاضي

ما هو؟

التاريخ

مسلة مرنبتاح يا سيادة القاضي، لقد جاء أقدم ذكر لبني إسرائيل من مصدر غير الكتب المقدسة على مسلة مرنبتاح، وتصف حملة للفرعون مرنبتاح ابن رمسيس الثاني في نهاية القرن الثالث عشر قبل الميلاد، النقش يحكي قصة الحملة المصرية المدمرة التي ذهبت إلى أرض كنعان وسحقت قومًا يدعون بني إسرائيل[١].

١-Isreal Finkelstein & Neil Asher Silberman, The Bible unearthed, Chapter two, Touchstone Rockfeller Center, ٢٠٠٢, Page ٥٧
Paul Backholer, The Exodus Evidence, Byfaith Books, ٢٠١٠,Page ٧٢

المدعي

صحيح أن مسلة مرنبتاح تشير إلى وجود بني إسرائيل على أرض كنعان ولكن ليس لدينا أي دليل ولا حتى كلمة واحدة عن وجود بني إسرائيل في مصر، لا في النقوش الأثرية، ولا على جدران المعابد، ولا في النقوش التي في المقابر، ولا في البرديات[1].

التاريخ

يا سيادة المستشار، تمثل لوحة بني حسن في المنيا للكثيرين دليلًا على وصول العبريين الأوائل إلى مصر، لوحة بني حسن الشهيرة من عصر الدولة المصرية الوسطى، وهي تصور مجموعة تجار من شرق نهر الأردن ينزلون إلى مصر بالحيوانات والسلع.. هذه الصورة للكثيرين تمثل وصول قبيلة بني يعقوب إلى مصر بناءً على طلب النبي يوسف[2].

المدعي

هل واضح في هذه الصورة أن هؤلاء الناس يدخلون مصر بسبب المجاعة؟

١-Isreal Finkelstein & Neil Asher Silberman, The Bible unearthed, Chapter two, Touchstone Rockfeller Center, ٢٠٠٢, Page ٦٠
٢- Isreal Finkelstein & Neil Asher Silberman, The Bible unearthed, Chapter two, Touchstone Rockfeller Center, ٢٠٠٢, Page ٥٤
Paul Backholer, The Exodus Evidence, Byfaith Books, ٢٠١٠, Page ١٧

التاريخ

لا، النقوش تخبرنا بأن هؤلاء التجار الساميين الآسيويين يدخلون مصر بسبب الاتجار في كحل العين.

المدعي

من أين جاءوا؟

التاريخ

مكتوب في النقش من اليمين إلى اليسار إنهم قادمون من مكان يدعى Shut، (التي تضم منطقة سيناء وجنوب كنعان)[١].

المدعي

كم عدد ركاب القافلة؟

التاريخ

تحدثنا صورة بني حسن بأنهم كانوا سبعة وثلاثين شخصًا في القافلة[٢].

المدعي

الكتاب المقدس يخبرنا بأنهم كانوا ستة وستين راكبا في القافلة: "جمِيعُ النُّفُوسِ لِيَعْقُوب الَّتِي أتت إِلَى مِصْرَ، الْخارِجة مِنْ صُلْبِهِ، مَا عَدا نِسَاءَ بنِي يَعْقُوب، جمِيعُ النُّفُوسِ سِتٌّ وَسِتُّونَ نَفْسًا"[٣].

١- Randall Price, The Stones Cry Out, Chapter ٤, Harvest House Publishers, ١٩٩٧, Page ٧٥
٢- Randall Price, The Stones Cry Out, Chapter ٤, Harvest House Publishers, ١٩٩٧, Page ٧٥
٣- الكتاب المقدس - سفر التكوين - أصحاح ٤٦، آية رقم ٢٦.

القاضي

إذن لا ينبغي أن نتعامل معها على أنها أحداث وصفت ما جاء في الكتاب المقدس.

المدعي

لا يوجد أي سبب لقبول وجود بني إسرائيل في مصر في أي وقت مضى أو أنهم خرجوا منها!

علت أصوات الحشود فقال التاريخ بصوت عال:

التاريخ

يا سيادة القاضي، إن غياب أي أثر ملموس لخروج بني إسرائيل من مصر في السجلات المصرية القديمة لا يعني أبدًا أن الواقعة لم تحدث، فلا ينبغي لنا أن نتوقع أن المصريين القدماء سوف يوثقون بصراحة الكوارث التي شهرت بآلهتهم أو أنهم سوف يذكرون هزيمة جيشهم على يد العبيد المتشرد.

المدعي

أعترض، هذا أيضًا استنتاج!

القاضي

يا سيد تاريخ، أنا أنذرك بألا تعلن أي استنتاج لديك، نحن فقط نحتاج منك الحقائق والبراهين، وكما أرى ليس لديك أي دليل على وجود بني إسرائيل في مصر أو خروجهم منها في أي وقت مضى.

المدعي

هل هناك أي دليل على وجود البطاركة أو الأنبياء؟

التاريخ

قلعة إبرهيم يا سيادة القاضي دليل يؤكد على وجود البطاركة.

القاضي

وما هي قلعة إبراهيم؟

التاريخ

اسم المكان "حصن أبرام"[1] أو "مدينة إبراهيم الحصينة" مسرود في نص هيروغليفي على جدار منحوت في معبد آمون في الكرنك بالأقصر- مصر، وقد بنى داود أو سليمان هذا المكان في النقب في القرن العاشر قبل الميلاد في وقت مبكر كجزء من خط الدفاع ضد المصريين[2].

القاضي

هل هذا كل ما لديك من أدلة؟

١- يعتقد البعض أن حصن أبرام هو المصطلح الذي استخدمه المصريون القدماء لمدينة بئر السبع، ذلك لأنه لم يرد ذكر بئر سبع في القائمة المصرية القديمة التي تحتوي المدن التي في النقب على الرغم من موقعها البارز في ذلك الوقت.

٢- Randall Price, The Stones Cry Out, Chapter ٥, Harvest House Publishers, ١٩٩٧, Page ٩٨

التاريخ

لدي اكتشاف آخر وهو له أهمية خاصة في مواجهة أولئك الباحثين الذين يتشككون أو ينفون وجود داود المذكور في الكتب المقدسة، إنها لوحة تل دان.

ذكر الكتاب المقدس أن داود كان حاكمًا عسكريًا رائعًا[1]، وبعد تأسيس مملكته وعاصمتها القدس قاد بني إسرائيل من فوز إلى آخر، أسس إمبراطوريته على الأرض المقدسة، فمهد الطريق لابنه سليمان ليرث إمبراطورية قوية، كان أكبر دليل على وجود داود عليه السلام قطعة من الحجر تسمى لوحة "تل دان".

لوحة تل دان وفي بعض الأحيان تسمى "مسلة بيت داود"، وهي عبارة عن نقش أثري عمره ٣٠٠٠ سنة. ويتحدث النقش عن الحرب بين بني إسرائيل والآراميين التي دارت حوالي ١٥٠ سنة بعد أيام الملك داود. يتضمن هذا النقش الغريب كلمتين وهما "بيت داود". يتم فصل كل كلمتين في هذا النقش بنقطة بينما لا يوجد أي نقاط فصل بين كلمتي بيت وداود[2].

١- الكتاب المقدس - سفر صموئيل الثاني- أصحاح ٥، آية رقم (٤، ٥) "كَانَ دَاوُدُ ابْنَ ثَلاَثِينَ سَنَةً حِينَ مَلَكَ، وَمَلَكَ أَرْبَعِينَ سَنَةً.فِي حَبْرُونَ مَلَكَ عَلَى يَهُوذَا سَبْعَ سِنِينٍ وَسِتَّةَ أَشْهُرٍ. وَفِي أُورُشَلِيمَ مَلَكَ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ سَنَةً عَلَى جَمِيعِ إِسْرَائِيلَ وَيَهُوذَا".

٢- Randall Price, The Stones Cry Out, Chapter ٩, Harvest House Publishers, ١٩٩٧, Page ١٦٧ - ١٧٠

المدعي

النقطة الناقصة بين هاتين الكلمتين تظهر لنا بوضوح أن المؤمنين هنا يحاولون العثور على شيء في لوحة تل دان لم يكن موجودًا.

التاريخ

قد نفسر سبب عدم وجود نقاط الفصل بين هاتين الكلمتين بأنهما مفهوم واحد على الرغم من أنه يتكون من كلمتين.

المدعي

إني أعترض!

نظر القاضي إلى التاريخ قائلا:

القاضي

أذكّرك بأنه غير مسموح لك أن تعلن عن استنتاجاتك.

ثم نظر القاضي إلى الحاضرين وقال:

القاضي

ومع ذلك أنا لا أرى أي غضاضة بخصوص عدم وجود نقطة فصل بين الكلمتين بيت وداود.

قامت فتاة من بين الحضور وقالت بفرحة:

فتاة صغيرة

إذن لوحة تل دان تعد دليلا على وجود داود في زمن ما.

المدعي

ربما، ولكن ليس بالوصف الذي وصفته الكتب المقدسة وسأثبت ذلك حالا.

نظر المدعي إلى التاريخ قائلا:

المدعي

يا سيد تاريخ، الكتب المقدسة ذكرت كم كان لداود وسليمان من سلطة وثروة، ولكن هل ذكر اسم داود أو سليمان في أي نص من نصوص المصريين القدماء أو بلاد ما بين النهرين؟

التاريخ

لا بقدر ما أتذكر.

المدعي

هل لديك أي دليل على أن القدس، كما ذكر الكتاب المقدس، كانت مدينة عظيمة في عهد داود أو سليمان؟

التاريخ

في الواقع حتى الآن فإن أعمال التنقيب في القدس قد فشلت في تقديم أي دليل على أنها كانت مدينة كبيرة في وقت داود أو سليمان[1].

١- Isreal Finkelstein & Neil Asher Silberman, The Bible unearthed, Chapter nine, Touchstone Rockfeller Center, ٢٠٠٢, Page ٢٣٨

المدعي

من الواضح أن داود وسليمان كانوا يحكمون منطقة معزولة وليست إمبراطورية كبيرة كما هو مذكور في الكتاب المقدس.

دين

من الصعب أن نتوقع من شعب بني إسرئيل أن يتركوا لنا نقوشًا تحكي عن انتصاراتهم كما فعل المصريون القدماء؛ وذلك لأن الشريعة اليهودية تمنع رسم الصور ... فقد ذكر الكتاب المقدس "لا تصنَعْ لَكَ تمْثالاً مَنْحوتًا، وَلا صُورَةً مَا مِمَّا فِي السَّمَاءِ مِنْ فَوْق، وَمَا فِي الأَرْضِ مِنْ تحتُ، وَمَا فِي الْمَاءِ مِنْ تحت الأَرْضِ."[1]

المدعي

أتريد أن تقنعني أن بني إسرائيل كانوا ملتزمين بعهودهم مع اللّه؟ فالكتاب المقدس نفسه حكى كم أخلفوا من عهود[2].

القاضي

إذن إلى الآن ليس لدينا أي دليل على صحة ما ورد في النصوص المقدسة.

ثم نظر القاضي إلى التاريخ وقال له:

١- الكتاب المقدس- سفر الخروج - أصحاح ٢٠، آية رقم ٤ .
Randall Price, The Stones Cry Out, Chapter ٤, Harvest House Publishers, ١٩٩٧, Page ٧٤

٢- الكتاب المقدس - سفر العدد - أصحاح ٢٥، آية رقم (١-٣) "وَأَقَامَ إِسْرَائِيلُ فِي شِطِّيمَ، وَابتدأ الشَّعْب يَزْنُون مَعَ بنَات مُوآب، فَدعَوْنَ الشَّعْب إلَى ذبائِحِ آلِهَتِهِنَّ، فَأكَلَ الشَّعْب وَسَجدوا لآلِهَتِهِنَّ، وَتعَلَّقَ إِسْرَائيلُ ببعْلِ فَغُورَ. فَحمِيَ غَضَب الرَّب عَلَى إِسْرَائِيلَ".

القاضي

يا سيد تاريخ، هل لديك أي أقوال أخرى؟

التاريخ

ألواح إبلا يا سيادة القاضي... خبراء الآثار أعلنوا أن مدينة إبلا - في شمال غربي سوريا- كانت تنافس مصر وبلاد ما بين النهرين كقوة كبرى في العالم القديم، ويرجع أهمية اكتشافها إلى العثور على مكتبة تحتوي أكثر من خمسة عشر ألف لوح وقطع مكتوبة بالمسمارية. إبلا مثل جميع القوى الكبرى في العالم، احتفظت بسجلات لجميع المدن التي أجرت معها معاملات تجارية أو فرضت عليها الجزية. تم تخزين هذه السجلات في مكتبة القصر، ولقد ورد في هذه السجلات أسماء مدن ذكرت في الكتب المقدسة[1].

القاضي

أي مدن؟

التاريخ

مدن مثل سدوم وعمورة التي ورد ذكرها في الكتاب المقدس[2]

١- Dr. Laurence B. Brown, Goded, Chapter ٥, ٢٠٠٧, Page ٦٣ - ٦٤

٢- الكتاب المقدس - سفر التكوين - أصحاح ١٨، آية رقم ٢٠ . "وقال الرب: " إِنَّ صُرَاخ سَدومَ وَعَمُورَةَ قَد كَثُرَ، وَخطِيَّتُهُمْ قَد عَظُمَت جداً".

ومدينة إرم التي ورد ذكرها في القرآن[1]، ولقد نُشر كتاب عن هذا الكشف عام ١٩٧٩ بعنوان "إبلا ثورة في علم الآثار" من تأليف شيام برمانت ومايكل وتزمان، جاء فيه أن الأسماء الثلاثة التي جاء ذكرها في القرآن وهي: قوم ثمود أو (شاموتو) وقوم عاد ومدينة إرم وجدت على ألواح مدينة إبلا Ebla، وفي عام ١٩٩١ بدأت عمليات الكشف من قبل كل من وكالة الفضاء الأمريكية (NASA) ومختبرات الدفع النفاث (J.P.L) بكاليفورنيا عن إرم في منطقة من جنوب شرقي الربع الخالي تدعى (الشيصار)، استمرت عمليات البحث في منطقة الشيصار حتى سنة ١٩٩٨، وأعلن في تلك السنة عن اكتشاف قلعة ثمانية الأضلاع، سميكة الجدران[2]، لها برج في كل زاوية من زواياها الثمانية، وهذه الأبراج مقامة على أعمدة ضخمة يصل ارتفاع الواحد منها إلى تسعة أمتار، ويصل قطره إلى ثلاثة أمتار[3] وتم وصف هذا الكشف الأثري في عدد من الأفلام الوثائقية والمقالات والكتب، ثم توالت المقالات، والنشرات، والكتب، والأفلام الوثائقية والمواقع على شبكة المعلومات الدولية بما يؤكد صدق ما جاء بالقرآن

١- القرآن الكريم، سورة الفجر ورقمها ٨٩، آية (٦-٩) ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾.

٢- د. زغلول النجار، جريدة الأهرام، من أسرار القرآن، ٢٦٣. ب، صدرت بتاريخ الإثنين ٢٨ من جمادى الأولى ١٤٢٩ هـ، ٢ يونيو ٢٠٠٨، السنة ١٣٢، العدد ٤٤٣٧٣.

٣- الوصف مثل ما جاء به القرآن الكريم، سورة الفجر، رقمها ٨٩، آية ٧ -٨ ﴿إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ، الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾.

الكريم ومنها أن قوم عاد كانوا في نعمة وافرة[1] وأن حضارتهم دمرتها عاصفة رملية غير عادية[2].

المدعي

متى تم اكتشاف ألواح إبلا؟

التاريخ

عام ١٩٧٥ يا سيادة المستشار.

المدعي

هل كل علماء الآثار مجمعون على وجود علاقة بين ألواح إبلا والكتب المقدسة؟

التاريخ

كما هو الحال دائمًا مع أي اكتشاف جديد، تظهر بعده مباشرة نظريات كبيرة وعلاقات مركبة، ولكن توافق الآراء عليها يأخذ بعض الوقت، في ضوء ذلك، عمر اكتشاف ألواح إبلا الآن ونحن في عام ٢٠١٣ هو ٣٨ سنة فقط، ويعتبر هذا زمنًا غير كافٍ للوصول إلى بيانات موثوق بها ومتفق عليها من الجميع.

---

١ -القرآن الكريم، سورة الأعراف، رقمها ٧، آية ٦٩ ﴿..وَاذكُرُوا إِذ جعَلَكُمْ خلفَاء مِن بعْد قوْمِ نُوحٍ وَزَادكُمْ فِي الْخلْقِ بسْطَةً فَاذكُرُوا آلاء اللّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحونَ﴾.

٢- القرآن الكريم، سورة القمر، رقمها ٥٤، آية ١٨ – ٢٠ ﴿كَذَّبت عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذابي وَنُذرِ إِنَّا أرْسَلْنَا علَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحسٍ مُّسْتمِرٍّ تنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أعْجازُ نَخلٍ مُّنقَعِرٍ﴾.

القاضي

إذن هذا ليس دليلا كافيًا!

وقف رجل مسن في القاعة قائلا:

رجل بين الحاضرين

عدم وجود أدلة كافية تعني عدم توافر الإثبات ولا تعني عدم صدق النصوص.

القاضي

هل لديك أدلة أكثر إقناعًا للقصص المذكورة في الكتب المقدسة؟

التاريخ

إذا كنت لا تعتبر ما قلته بالفعل أدلة مقنعة إذن فليس لدي المزيد!

المدعي

يبدو أنه لا يوجد أي أثر يؤكد صدق ما جاءت به النصوص المقدسة.

التاريخ

ربما فيما بعد يا سيادة المستشار يُكتشف ما هو مقنع بالنسبة لكم، ففي مصر مثلا أعلن الدكتور زاهي حواس[1] أنه

١- الدكتور زاهي حواس من أشهر علماء الآثار المصريين المعاصرين ويحظى بتقدير عالمي في مجال علم الاجيبتولوجي.

لم يتم العثور إلا على ثلاثين في المائة مما يكمن تحت الثرى، أما السبعون في المائة من أسرار مصر لا تزال خفية، ولا تزال تنتظر الاكتشاف[1].

دين

يا سيادة القاضي، لقد أجاد التاريخ في ذكر ما يؤكد صحة النصوص إذا وضعنا في الاعتبار قصوره في أن جزءًا بسيطًا جداً مما حدث أو مما هو مكتوب يبقى، كما أن جزءًا بسيطًا جداً من المواقع الأثرية المتاحة تم مسحها وحصرها، وجزءًا بسيطًا جداً من المواقع المسوحة تم تنقيبه، وفي النهاية جزء بسيط جداً مما اكتشف تم ذكره أو نشره[2].

المدعي بحِدّة:

أعترض، تقليل من شأن الشاهد!

القاضي

تعليق دين لاغٍ، والشاهد يمكنه الانصراف.

---

١ - The Report: Egypt ٢٠١١ – Oxford Business Group, Page ٢٣٠

٢- Randall Price, The Stones Cry Out, Chapter ٢, Harvest House Publishers, ١٩٩٧, Page ٤٦

الفصل الرابع

﴿... وَمَن يُؤْتَ الحِكمَةَ فَقَد أوتِيَ خيرًا كثيراً... ﴾[1].

١- القرآن الكريم، سورة البقرة ورقمها ٢، آية ٢٦٩.

"Logic is the technique by which we add conviction to truth"[1]

"المنطق مقيد بالعقل وليس العقل مقيداً بالمنطق"[2].

"The logic of words should yield to the logic of realities"[3].

"أنا أفكر إذن أنا موجود"[4].

"Grammar is the logic of speech, even as logic is the grammar of reason."[5]

"وَمَلأْتُهُ مِنْ رُوحِ اللهِ بِالْحِكْمَةِ وَالْفَهْمِ وَالْمَعْرِفَةِ وَكُلِّ صَنْعَةٍ"[6].

﴿... رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾[7].

١ - Jean de la Bruyere

٢- عباس محمود العقاد، التفكير فريضة إسلامية.

٣ - Louis D. Brandeis

٤- رينيه ديكارت.

٥ - Richard Chenevix Trench

٦- الكتاب المقدس - سفر الخروج - أصحاح ٣١، آية رقم ٣ .

٧- القرآن الكريم، سورة الكهف ورقمها ١٨، آية ١٠.

الفصل الرابع

المدعي

ناد على الشاهد التالي.

خطا رجل أمام القاضي، وكان يبدو على ملامحه الذكاء، هو في أوائل الأربعينيات من عمره.

قال كاتب المحكمة:

كاتب المحكمة

ارفع يدك وأقْسِم قسم المحكمة.

الشاهد الثاني

أقسم بالله العظيم أن أقول الحق.

المدعي

اذكر اسمك وسنك ومهنتك.

المنطق

اسمي المنطق، عادة ما أدرس أسس التفكير السليم، لقد نشأت قديمًا في بلاد الهند والصين واليونان.

المدعي

هل يعقل أن الله – إن وجد – من شأنه أن يرسل لنا رسالات لا تتوافق مع المنطق؟

المنطق

إن كنت تقصد المنطق البشري فإن حكمة الله وعلمه يفوقان بكثير الإدراك البشري، هل تعتقد أن المنطق البشري يمكن أن يطبق خارج التجربة البشرية؟

القاضي

لا تُجب على السؤال بسؤال آخر يا سيد منطق!

المنطق

أنا أسعى للحصول على تفكير سليم أهتدي به هنا يا سيادة القاضي.

القاضي

حاول أن تكون أكثر موضوعية.

المنطق

الله يعلو على جميع مخلوقاته، ولقد خلق الله المنطق البشري.

المدعي

أستطيع أن أستخلص مما قلته للتو أن الله فوق المنطق، إذن فمن الممكن أن يرسل لنا رسائل غير منطقية أو رسائل متضاربة بالنسبة لنا.

المنطق

لا يا سيادة المستشار، لم أقصد هذا على الإطلاق، صحيح أن الله يعلو فوق المنطق البشري، ولكن إذا كان الخالق قد مد البشر بالمنطق ونظام تفكير معين كوسيلة وسبيل للوصول إليه إذن فمن المستحيل أن يرسل لهم رسائل متناقضة أو ضد هذا المنطق أو التفكير.

المدعي

الآن من الواضح أن دين خدع البشر وسيطر على عقولهم بالعديد من الخرافات والتناقضات التي ليس لها أساس، فهو يدعي وجود كائنات تعيش معنا وقد تؤثر علينا وتتفاعل معنا مثل الشياطين والجن والملائكة ومع ذلك لا نراها.

المنطق

ما ذكرته للتوّ ليس تناقضًا ولكن غيبا بالنسبة للبشر، الله يعلو فوق التجربة الإنسانية، وبالتالي يمكن أن تشمل رسائله غيبا بالنسبة لهم والبشر محدودون، فأنت لا تستطيع أن تسمع دابة النملة التي تسير تحت قدميك ولا تستطيع أن ترى الميكروبات من حولك... أنتم محدودون في حواسكم بل وإدراككم، وهناك فرق بين أن يحكم العقل باستحالة شيء وأن يعلن عجزه عن فهم شيء، فالعقل يحكم بأن اجتماع النقيضين مستحيل، فالضوء مثلا لا يكون موجودًا وغير

موجود في وقت واحد، ولكن العقل الذي يحكم باستحالة هذا يعجز عن فهم حقيقة الضوء ما هي وما كنهها، وهذا العجز الظاهر لا يمس حقيقة الضوء ولا يمس وجودها، فعدم علمك بشيء، ليس علمًا بعدم ذلك الشيء[1].

المدعي

يوجد إجماع على وجود الضوء على الرغم من أننا لا نفهمه ولكن لا يوجد إجماع على الغيب.

المنطق

بالعكس يا سيادة المستشار، فالفلاسفة لم يتفقوا على قضية إلا قضية واحدة وهي البحث فيما وراء المادة، وهذا دليل على الغيب، هب أننا في حجرة مغلقة ثم دق الجرس وطرق الباب، كلنا نتفق في التعقل، نتعقل جميعًا أن طارقًا بالباب، هذا لا نختلف فيه، ولكن واحد يقول: هذا رجل، وآخر يقول: الطرق خفيف؛ فهي امرأة، وآخر يقول: الطرق من تحت الباب فهو طفل صغير، أو هذا بشير، أوهذا نذير، اختلفنا في التصور، ولكننا لم نختلف في التعقل، فلو أن الفلاسفة وقفوا عند مرحلة التعقل، وتركوا لمن وراء المادة يخبرهم عليه، لو كنا نقول "من وراء الباب؟" فقد أرحنا ...[2]

١- محمد الغزالي، عقيدة المسلم، الحقيقة الأولى، نهضة مصر، الطبعة السادسة ٢٠٠٧، صفحة ٣٩.

٢-الشيخ الشعراوي، تفسير سورة الإسراء.

المدعي

وما قولك بترهات القصص التي أخبرتنا بها الكتب المقدسة من رجل شق البحر، وآخر يحيي الموتى، وآخر طار ببراق من المسجد الحرام إلى الأقصى، وآخر جلس في النار ولم يحترق؟

ألا توافقني الرأي بأننا الآن وفي بداية القرن الواحد والعشرين نستطيع أن نرى أن المؤمنين يعانون من اضطراب عقلي؛ لأنهم على استعداد أن يؤمنوا بكثير من الخرافات؟[1]

دين

ما زلت يا سيادة المستشار تحاول أن تضفي على اتهاماتك ثوب التمدين والتحضر على الرغم من أن اتهاماتك كانت توجه حتى إلى الرسل من قديم الزمان، فقد قال الله في كتابه الكريم: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾[2].

المنطق

سيادة المستشار يَتهم المؤمنين بأنهم يعانون من اضطراب عقلي وذلك لأنهم يؤمنون بإله يستطيع أن يخرق قوانينه ليدعم أنبياءه، ولكني أرى أن عدم الإيمان بالله هو الجنون بعينه!

١- Richard Dawkins, The God Delusion, Chapter٣, Bantam Press ,٢٠٠٦, Page ٨٨

٢- القرآن الكريم، سورة الذاريات، رقمها ٥١، آية ٥٢.

المدعي

كيف هذا؟

المنطق

إذا ادعيت أنني أعرف شخصًا أصم وأبكم وأعمى قام بصنع رادار، فهل تصدقني؟

القاضي

وما دخل هذا بقضيتنا؟

المنطق

هذا هو لب قضيتنا يا سيادة القاضي.

القاضي

أجب يا سيادة المستشار.

قال المدعي بغضب:

المدعي

هذه سفاهة... كيف لي أن أعقل أن هناك شخصًا ما أصم وأبكم وأعمى يستطيع أن يقوم بصنع جهاز بمثل هذه الدقة؟

المنطق

أوليس الذي ينسب سلوك الخفافيش في الظلام رغم كلالة أبصارها إلى المادة العمياء الصماء البكماء الميتة أكثر جنونًا؟[1]

١- الدكتور صبري الدمرداش، للكون إله، الأمسية الخامسة، مكتبة المنار الإسلامية، الطبعة الثانية ٢٠٠٦، صفحة ٥٧٩.

المدعي

سلوك الخفافيش في الظلام ما هو إلا تكيف طبيعي مع بيئتها وليس له أي علاقة بخالق، هكذا يقول العلم والعلماء.

المنطق

وهل من المنطق أن نؤمن بأن هذا التكيف حدث بلا مصمم؟

المدعي

هذا التكيف حدث بالتدريج ولذلك لا يوجد حاجة إلى مصمم[١].

المنطق

وهل من المنطق أن نؤمن بأنه يوجد مبنى ما، سقفه مائل ليناسب بيئته التي يسقط فيها الأمطار، ولأنه بني بالتدريج وعلى مراحل من رمي أساسات إلى بناء أعمدة، إلى بناء حوائط، إلى سباكة، إلى دهانات، فإن هذا المبنى وُجد بلا مهندس أو عامل؟

سكت الجميع فأكمل المنطق قائلا:

١- Richard Dawkins, The God Delusion, Chapter ٤, Bantam Press, ٢٠٠٦, Page ١٢١ -١٢٢

المنطق

ما بالك تلك العمارة التي اسمها الإنسان، هل سأل أحدكم عن كمية السباكة داخل جسمه؟[1]

القاضي

يا سيد منطق، أجب دون أن تطرح مزيدًا من الأسئلة... من وجهة نظرك كيف ترى أن الاعتقاد بغياب الله هي الحماقة بعينها؟!

المنطق

من المنطقي أن أي شيء له وجود يكون له سبب، وبما أن الكون موجود إذن فلا بدَّ أن له سببا، من المنطق السليم أن نرفض الاعتقاد بأن التصميم الدقيق للكون والذي سمح لجميع الكائنات الحية أن تعيش، أن يكون وليد الصدفة العمياء أو الفوضى أو الباكتيريا؛ لأنه من لا شيء، لا شيء يأتي، الكون لا يمكن أن يأتي من تلقاء نفسه، لأن هذا سينتج فكرًا متناقضًا، كأننا نقول: إن الأم تلد نفسها أو إن شخصًا ما موجود وغير موجود في آنٍ واحد، هذا تناقض يرقى إلى الاستحالة بالنسبة للمنطق.

١- طول مواسير الدم في أي جسم تبلغ وحدها ثمانية آلاف ميل أي أطول بكثير من المسافة بين القاهرة والخرطوم.... مواسير أكثر ليونة من الكاوتشوك، وأكثر متانة من الحديد، وأطول عمرًا من الصلب الكروم، وفي بعضها صمامات لا تسمح بالسير إلا في اتجاه واحد (دكتور مصطفى محمود، الإسلام ما هو؟ ٢٠٠٨، صفحة ١٢٠ ـــ ١٢١).

المدعي

الاستدلال على وجود الله بقانون السببية مغالطة وخطأ؛ لأن القول بأن الحركة تحتاج إلى محرك والنظام إلى منظم، والوجود إلى مُوجد إنما ينطبق على الحوادث الجزئية التي تقع في الطبيعة، أما الطبيعة نفسها فلا يحتاج وجودها إلى سبب، بل هي غاية وسبب في ذاتها، ولا تفتقر إلى من يوجدها.

المنطق

هذه دعوى بلا دليل! وعلى أي الأحوال فإن الفصل بين الحدث الكلي والحدث الجزئي خطأ ظاهر؛ لأن قانون السببية عقلي، والقوانين العقلية لا تقبل التخصيص أو الاستثناء، وإنما تقبله القوانين الوضعية والتشريعية، مثلا لنا أن نضع قانونًا ينص على أن كل من يخالف السير يعاقب بكذا إلا إذا كان غريبا عن الوطن، وليس لنا أن نقول بأن المساويين بثالث متساويان إلا إذا كان من خشب! لأن حكم العقل لا يقبل الاستثناء[1]

المدعي (بسخرية)

وتبعًا لنفس قانون السببية، ألا يحق لي أن أسأل بنفس المنطق... فمن خلق الله؟

١- محمد الغزالي، نظرات في القرآن، نماذج وصور، دار نهضة مصر، الطبعة العاشرة ٢٠١٢، صفحة ٦٩.

المنطق

وبنفس المنطق أسألك، ما الذي يقع في شمال القطب الشمالي؟[1]

المدعي

أردت أن أسمع جوابا بدلا من سؤال يا سيد منطق!

المنطق

يا سيادة المستشار، أنت تسلم بأن الله خالق ثم تقول من خلقه؟! فتجعل منه خالقًا ومخلوقًا وفي نفس الجملة، وهذا تناقض، والوجه الآخر لفساد السؤال أنك تتصور خضوع الخالق لقوانين مخلوقاته.. فالسببية قانوننا نحن أبناء الزمان والمكان، والله هو الذي خلق قانون السببية، فلا يجوز أن نتصوره خاضعًا لقانون السببية الذي خلقه، وأنت بهذه السفسطة أشبه بالعرائس التي تتحرك بزمبلك، وتتصور أن الإنسان الذي صنعها لا بدَّ هو الآخر يتحرك بزمبلك[2].

المدعي (بسخرية)

سأتماشى مع ما تدعيه يا سيد منطق، يوجد حوالي ٣٧٠٠ اسم ومفهوم للإله منذ العالم القديم، أي منذ ٦٠٠٠ سنة قبل

١- Mustafa Akyol, A writer in Turkish News Paper, Do you believe documentary, Part one, ٢٦:٣٤, ٢٠٠٧, Produced by: Salma Hassaballa

٢- دكتور مصطفى محمود، حوار مع صديقي الملحد، لم يلد ولم يولد، دار المعارف، ١٩٩٧، صفحة ٧.

الميلاد، حتى الأديان السماوية اقترحت صفات وأسماء مختلفة للإله مثل إيل ويهوه والله، من هو الإله الذي تجده أكثر جاذبية لك يا سيد منطق؟

دين

يا سيادة القاضي، الله واحد أحد، المسلمون يعبدون نفس الإله الذي يعبده المسيحيون واليهود، فالجميع يعبدون الله، ببساطة الله بالعربية تعني "God" بالإنجليزية، فالمسيحيون العرب يعبدون الله، في كلا العهدين القديم والجديد، الهويم هو صيغة الجمع لإلواه للتعظيم، إلواه هو أقرب اسم إلى الله من حيث المعنى والنطق[١]، وكلمة إيلى وإلوى اللذان نطق بهما السيد المسيح في العهد الجديد هما بدون جدال أقرب إلى كلمة الله عن كلمة "God"[٢]!

المدعي

إني أعترض، دين يرد على سؤال أوجهه إلى سيد منطق!

القاضي

ألغي رد دين، دين أنا آمرك بعدم الرد على أي سؤال ما لم يوجه لك ... فمن حقق فقط التعقيب إن أردت.

نظر القاضي إلى سيد منطق قائلا:

١- Dr. Laurence Brown, MisGoded, Chapter ٢, ٢٠١٠, Page ٤٤,
٢- Dr. Laurence Brown, MisGoded,Chapter ٢, ٢٠١٠, Page ٤٠,

القاضي

يا سيد منطق رد على هذا السؤال.

المنطق

يا سيادة القاضي، الله واحد، وهذا ظاهر في الكون.. الكون كله مبني من خامة واحدة وبخطة واحدة، فالحياة كلها بنيت من مركبات الكربون "جميع صنوف الحياة تتفحم بالاحتراق". وعلى مقتضى خطة تشريحية واحدة. تشريح الضفدعة والأرنب والحمامة والتمساح... يكشف عن خطة تشريحية واحدة، ثم لماذا يتعدد الله؟ هل به نقص ليحتاج إلى من يكمله؟ إنما يتعدد الناقصون[1].

المدعي

كيف يمكنك الاستنتاج بأن الله أو إلوهيم ... أيًا كان اسمه واحد أحد في حين أن أتباع كل عقيدة أو دين لديهم فكر خاص به ويصفونه بصفات شتى، فاليهود والمسيحيون يعتقدون بأن الله خلق البشر على صورته والمسلمون يعتقدون بأنه ليس كمثله شيء، والمسيحيون ينفردون بالاعتقاد بنسب المسيح إليه...

١- دكتور مصطفى محمود، حوار مع صديقي الملحد، لم يلد ولم يولد، دار المعارف، ١٩٩٧، صفحة ١٠.

المنطق

خبرني أولا هل كل شخص تلتقي به لديه نفس وجهة النظر عنك؟

القاضي

أنت مُصِرّ على أن تجيب عن السؤال بسؤال آخر!

المنطق

يا سيادة القاضي، هذا سيخدم قضيتنا ...

القاضي

أجب يا سيادة المستشار على سيد منطق، وأخبرنا هل كل شخص تلتقي به لديه نفس وجهة النظر عنك.

المدعي

ربما...

المنطق

دعنا نرى... كم من الناس في هذه القاعة تتفق مع المدعي العام في كل ما يقوله ويفعله؟

رفع كثير من الحاضرين أيديهم

المنطق

كم يوافقه الرأي ولكن لا يعجبه أسلوبه في تناوله للقضية؟

رفع البعض أيديهم

المنطق

كم يراه جاهل ولا يعلم.

رفع البعض أيديهم

المنطق

كـم يـراه علـى باطـل وهـو يعلـم بحثًـا عـن مـال أو شـهرة أو سلطان؟

رفع عدد قليل أيـديهم

المنطق

كم من الناس ليس لديهم أدنى فكرة عنه؟

رفع البعض أيديهم

المنطق

بما أننا لدينا وجهات نظر مختلفة عن المدعي العام فـلا بـدَّ أن يوجد نسخ متعددة منه في هذه القاعة!

ضحك الجميع، فقرع القاضي المنصة قائلا:

القاضي

يا سيد منطق، ادخل في الموضوع!

المنطق

يا سيادة القاضي، أريد أن أوضّح أنه ليس من المنطق ألا نؤمن بوحدانية الله لمجرد عدم اتفاق الناس عليه!

فطبقًا لتعريف المنطق لمفهوم الألوهية والمبني على القدرة على التحكم وتسيير الأمور، فإن المنطق يقتضي أنه إذا كان هناك أكثر من إله مثل الآلهة الأسطورية إذن فسوف يكون الكون في حالة من الفوضى، وسوف نفتقد هذا النظام الراقي الموجود في الكون الآن نظرًا لتعدد المتحكمين ومسيري الأمور وبالتأكيد فلكل منهم وجهة نظره ومنطقه، بل وآلياته المختلفة في تسيير أمور الكون.

دين

لقد قال الله في كتابه الكريم: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتا فَسُبْحانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[1].

المدعي

إذا كان هو الله الواحد الأحد كما ذكرت، خبرني هل هو ذكر أم أنثى؟[2]

١- القرآن الكريم، سورة الأنبياء ورقمها ٢١، الآية ٢٢.

٢- أحد الملحدين من أمريكا.

المنطق

لو افترضنا أنك نجار مثلا، هل يصح لي أن أسألك هل أنت باب أم شباك؟

ضحك الجميع فقرع القاضي المنصة قائلا:

القاضي

أجب يا سيد منطق دون طرح مزيد من الأسئلة!

المنطق

الصانع لا يشبه صنعته، والخالق لا يشبه شيئًا من خلقه، لا في ذاته ولا في صفاته، الله ليس من هذا العالم بل متعالٍ عليه، فلا يمكن أن يمرض مثلا أو يزول أو يموت، فالعالم زائل والله دائم.

المدعي

ولكن لماذا أخبرنا بأنه ذكر في كتبه المقدسة؟

قام أحد الحاضرين قائلا:

أحد الحاضرين

بالطبع لأن الرسالات كتبت في مجتمع ذكور.

قامت امرأة من بين الحشود قائلة:

امرأة من بين الحضور

لقد كان الناس يعبدون في هذا المجتمع الذكوري آلهة مؤنثة مثل مناة واللاة والعزى.

المنطق

أنا لا أعرف الكثير عما جاء في النصوص المقدسة، ربما دين يتفوق عني في هذا الصدد.

القاضي

أجب يا سيد دين، هل أخبرنا الله بأنه ذكر في الكتب المقدسة؟

دين

هذا افتراء صريح على الرسالات، فقد روى الكتاب المقدس "اللهُ رُوح وَالَّذينَ يَسْجدونَ لَهُ فَبالرُّوحِ وَالْحقِّ يَنْبغِي أنْ يَسْجدوا"[1] وقال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أحدٌ﴾[2] كما قال ﴿... جعَلَ لَكُم مِّنْ أنفُسِكُمْ أزْوَاجًا وَمِنَ الأنْعَامِ أزْوَاجًا يَذرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبصِيرُ﴾[3].

١- الكتاب المقدس - إنجيل يوحنا - أصحاح ٤، آية رقم ٢٤ .

٢-القرآن الكريم، سورة الإخلاص ورقمها ١١٢، آية ٤.

٣- القرآن الكريم، سورة الشورى ورقمها ٤٢، آية ١١.

المدعي

إنه سميع وبصير... فهو يحدثنا في النصوص المقدسة بضمير المذكر، على الرغم من أن الذات مؤنثة[1]!

دين

إن اللغات من وضع الناس على مر الزمان، وهذه الألفاظ الموضوعة استحدثها الناس لمفاهيم مادية ومعنوية مارسوها وألفوها، ومن هنا فالمجيء بهذه الكلمات للدلالة على أمور مغيبة ليس إلا من قبيل التقريب للذهن، ولا يمكن أن تكون هذه العبارات التي صنعها البشر بيانًا للمحسوسات المأنوسة لهم في عالمهم وصفًا حقيقيًّا لعالم ما وراء المادة.[٢]

وعندما روى لنا القرآن عن موسى وأخيه هارون حينما أمرهما الله أن يذهبا إلى فرعون ﴿قَالا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخافُ أن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أن يَطْغَى﴾[٣] فرد الله عليهما قائلا: ﴿قَالَ لا تخافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾[٤] إذن فالله يسمع ويرى، ولكن ليس كسمعكم وبصركم، فلا نتصوره يسمع بأذن كأذنكم أو يرى بعين كأعينكم، فهو الكمال المطلق، لا يستطيع أن يتصوره بشر.

١- Karen Armstrong, A History of God, Introduction, The Random House Publishing Group, ١٩٩٣, Page xxiii

٢- الشيخ محمد الغزالي، عقيدة المسلم، الحقيقة الأولى، نهضة مصر، الطبعة السادسة ٢٠٠٧، صفحة ٣٧.

٣-القرآن الكريم، سورة طه ورقمها ٢٠، آية ٤٥.

٤-القرآن الكريم، سورة طه ورقمها ٢٠، آية ٤٦.

المدعى

إذا افترضنا أن هناك إلهًا، لماذا علينا أن نصدق ما ورد عنه في الرسالات بأنه يسمع ويرى، وأنه العليم، الحكيم، البصير[1]؟! لِمَ لا نتصوره قوة كهرومغنطيسية عمياء تسوق الكون؟!

المنطق

هذا كلام منافٍ للمنطق، فاقد الشيء لا يعطيه... خلق الله البصر فكيف تصورته أعمى.... وخلق الرشد فكيف تصورته عابثًا أخرق؟![2]

المدعي

ولكني أرى أن العليم والقدير صفات تتعارض بعضها بعضًا!

القاضي

كيف ذلك؟

المدعي

فإذا كان الله لديه علم بالمستقبل فهذه المعرفة المسبقة تحد من قدرته؛ لأنه لا يستطيع أن يغير ما عرفه إذا أراد أن يغير رأيه في شيء ما في وقت ما[3]!

١- Richard Dawkins, The God Delusion, Chapter ٣, Bantam Press, ٢٠٠٦, Page, ٧٧

٢- دكتور مصطفى محمود، حوار مع صديقي الملحد، معتى الدين، دار المارف، ٢٠٠٧، صفحة ١٢٨.

٣- Richard Dawkins, The God Delusion, Chapter ٣, Bantam Press, ٢٠٠٦, Page ٧٨

المنطق

اللّه لا يغير رأيه، وهذا ليس عن عجز منه ولكن لأنه منزَّه عن ذلك، فاللّه ثابت والعالم متغير، الإنسان هو الذي يغير رأيه عندما يستجد في علمه شيء لم يكن يعلمه، ولكن اللّه أحاط بكل شيء علمًا، فهو ليس بحاجة أن يغير رأيه، كذلك فإن اللّه ليس بحاجة أن يُشفى لأنه لا يمرض، فكل الأفعال التي من خصائص البشر مثل التغير والنوم والتعب والولادة... لا يمكن أن يفعلها اللّه، وهذا ليس عن عجز منه ولكن لأنه منزه عنها.

هدأت القاعة فتنفس القاضي نفسًا عميقًا ثم قال:

القاضي

هل لديك أي أسئلة أخرى للشاهد يا سيادة المستشار؟

المدعي

لا يوجد مزيد من الأسئلة الآن.

القاضي

الشاهد يمكنه الانصراف.

انصرف السيد منطق وجلس بين الحضور.

الفصل الخامس

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"إنَّمَا بعِثتُ لِأتمِّمَ مَكَارِمَ الأخلاقِ"[1].

---

1 - رواه الإمام مالك بن أنس في (الموطأ) وغيره.

كتاب السنن الكبرى للبيهقي – باب بيان مكارم الأخلاق .. – حديث رقم ٢٠٧٨٢

إنَّمَا الأمَمُ الاخلَاقُ مَا بقيت فإنْ هُمُ ذهبت اخلاقُهُمْ ذهبوا[1]

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اثقَلُ شَيْءٍ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ خلُقٌ حسَنٌ، إِنَّ اللَّهَ يُبغِضُ الْفَاحِشَ الْبذيء"[2].

لا أمة بدون أخلاق، ولا أخلاق بدون عقيدة، ولا عقيدة بدون فهم[3].

---

١ - أمير الشعراء أحمد شوقي.

٢- كتاب السنن الكبرى للبيهقي – باب بيان مكارم الأخلاق .. – حديث رقم ٢٠٧٩٨.

٣- جمال الدين الأفغاني.

الفصل الخامس

المدعي

ناد على الشاهد التالي.

خطا رجل على استحياء أمام القاضي، فقال له كاتب المحكمة:

كاتب المحكمة

ارفع يدك وأقْسِم قسم المحكمة.

الشاهد التالي

أقسم بالله العظيم أن أقول الحق.

المدعي

اذكر اسمك، وسنك ومهنتك.

الأخلاق

اسمي أخلاق، عادة أرتقي بالأشخاص والشعوب نحو المثل العليا كالعدل والحرية والمساواة من خلال مجموعة من المبادئ والقيم، عمري من عمر آدم.

المدعي

قل لي يا سيد أخلاق، أيمكن للفرد أن يعرف مكارم الأخلاق حتى لو كان ناكرًا لله وجاهلا بالدين؟

الأخلاق

بكل تأكيد.

دين

كل فرد يعلم أن العدل أفضل من الظلم، الشجاعة أفضل من الجبن، الكرم أفضل من البخل، هذا الإلزام الأخلاقي يؤكد أن صوت وروح الله داخل كل إنسان سواء كان هذا الإنسان يؤمن بالله أو لا يؤمن به[١].

المدعي

هذا ادعاؤك أنت يا دين، لكن الحقيقة واضحة وهي أننا لا نحتاج إلى الله[٢] ولا دينه لكي نعيش في مجتمع أفضل، هل توافقني يا سيد أخلاق؟

الأخلاق

أنا لا أوافقك يا سيادة المستشار، ففي غياب الدين لن يكون لدينا أساس مشترك لمفهوم الصلاح، وفي عالمنا المعاصر نشعر بالحيرة الأخلاقية التي وقع فيها البشر في مختلف المجالات كالطب والأعمال الإدارية (البيزنيس) والسياسة لأن الأسس تهاوت لبعدهم عن الدين.

خيم السكون على القاعة حتى اقترب المدعي العام من الأخلاق قائلا:

١- Dr. Hassan Hathout, Islamic Scholar, Do you believe Documentary, Part ١, ٥٣:٠٩, ٢٠٠٧, Produced by: Salma Hassaballa

٢-Richard Dawkins, Vs Lennox on Morality

المدعي

هـل يوجـد بعـض الـذين ينتمـون للأديـان ويلتزمـون بـأداء مناسكها من يفعل الرذيلة؟

الأخلاق

الكثير!!

المدعي

إذا كـان الـدين مصـدر شـرائع الأخـلاق كمـا تقـول، لمـاذا إذن تصدر ممن يلتزم بالدين أعمال شائنة تنافي الأخلاق؟!

الأخلاق

هذا دائمًا لغز يحيرني وأنـا لا أعـرف سببه، ربمـا سـيد دين يعرف عني في هذا الصدد.

القاضي

أجب يا دين.

دين

إذا كنـت تقصـد بالمتـدينين الـذين يـؤدون مجموعـة الشـعائر والمناسك في روتينية مكررة فاترة خالية من الشعور، فهذا لا يكون من الدين في شيء، فالصلاة التي لا تنهي صاحبها عن الرذيلة ليست بصلاة، فالله يقول في كتابه العزيز: ﴿... وَأَقِمِ

الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ...﴾[1].

ولا يوجد ما يسمى بالزي "الديني" لأن الجلباب والسروال واللحية أعراف وعادات اشترك فيها المسلم والبوذي والمجوسي والدرزي، ومطربو الديسكو والهيبي لحاهم أطول[2].

القاضي

إذن ما هو الدين؟ ومن هو المتدين؟

دين

الدين شعور... إحساس باطني بالغيب، لكن مع إبهامه شديد الوضوح بأن هناك قوة خفية حكيمة مهيمنة عُليا تدبر كل شيء، ولذلك عندما سُئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما الإحسان؟ قال: "أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فهو يراك"[3]. والإحساس بالله يظهر على كل سلوك يصدر من المؤمن، فتجده محسنًا في كل تعاملاته. فالمؤمن صادق، رحيم، حليم، ودود، كريم...

١- القرآن الكريم، سورة العنكبوت، رقمها ٢٩، ورقم الآية ٤٥.

٢- دكتور مصطفى محمود، الإسلام ما هو؟ الدين .. ما هو؟ أخبار اليوم، قطاع الثقافة، ٢٠٠٨، صفحة ٥.

٣- كتاب: صحيح البخاري – باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم .. – حديث رقم ٥٠- الجزء الأول صفحة ١٩.
دكتور مصطفى محمود، الإسلام ما هو؟ عن التصوف؟ أخبار اليوم، قطاع الثقافة، ٢٠٠٨، صفحة ٩٨.

المدعي

الملحدون يعملون الخير؛ لأنهم في قرارة أنفسهم يشعرون بأهمية هذا الخير، فهل يتساوى معهم الذين يعملون الخير خوفًا من النار أو طمعًا في الجنة؟[1]

الأخلاق

أما عن الملحدين، فكثير منهم من يفعل الخير لكسب الناس فينجح في حياته ويكون حسن سيره وسلوكه ذريعة إلى كسب الدنيا فحسب، إذن فهو يفعل الخير لأنه يحب نفسه، ومنهم من يفعل الخير كفضيلة ورثها عن آبائه وأجداده...

قام شاب بين الحاضرين قائلا بتحدٍّ:

شاب بين الحاضرين

أنا ملحد.. وأفعل الخير حبا في الناس وحبا في الخير، فما قولك؟!

الأخلاق

إن كنت حقًّا تفعل الخير حبا في الناس وحبا في الخير... فهذا صوت الله فيك دون أن تدري!

القاضي

وماذا عن المؤمن؟ فهل يعمل الخير خوفًا من نار أو طمعًا في الجنة؟

١- Richard Dawkins Vs Lennox on Morality, The debate was filmed on October ٣, ٢٠٠٧

الأخلاق

المؤمن يفعل الخير لأنه يحب الله ﴿..وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حبا لِّلَّهِ...﴾[1] فيبتغي مرضاته بالبعد عما يكره وفعل ما يحب.

دين

قال الله تعالى في كتابه الكريم ﴿... إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتَغَاء مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجرًا عَظِيمًا﴾[2].

المدعي

لقد قلت يا دين إن الله سيؤتي المؤمن أجرًا عظيمًا، أليس ظلمًا ألا يجازي الله الملحد عن فعل الخيرات كما يجازي المؤمن؟

دين

الله لا يظلم أحدًا، فالمؤمن يفعل الخير لآخرته، فله ما سأل، والملحد يفعل الخير لدنياه، فله ما سأل أيضًا، فقد قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿كُلاًّ نُّمِدُّ هَـؤُلاء وَهَـؤُلاء مِنْ عَطَاء رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاء رَبِّكَ مَحظُورًا﴾[3].

١-القرآن الكريم، سورة البقرة ورقمها ٢، آية ١٦٥.

٢-القرآن الكريم، سورة النساء ورقمها ٤، آية ١١٤.

٣-القرآن الكريم، سورة الإسراء ورقمها ١٧، آية ٢٠

الأخلاق

وهم ليسوا سواء، فكلاهما قد يبني مستشفى لعلاج المرضى، فيقول الملحد: أنا بنيت هذا المستشفى العظيم للناس، ويقول المؤمن: ما كنت إلا واسطة خير.

وما أكبر الفرق... واحد أسند الفضل لصاحب الفضل ولم يبق لنفسه إلا مجرد وساطة وحتى هذه يشكر عليها الله؛ لأن جعله سببا، والآخر أسند إلى نفسه الفضل، ظلم إلهه ونكر فضله وراح يقول أنا ... أنا ... أنا كل شيء، فارق كبير بين الكبرياء والتواضع وبين العلو وخفض الجناح وبين الجبروت والوداعة[1]. وأنا لا أرى إنكار الجميل من الأخلاق في شيء.

المدعي

ولكن كثير من العلماء لا يرجعون قضية الأخلاق إلى الدين والله، وإنما يرجعون الميول الأخلاقية إلى أصل دارويني، فما قولك يا سيد أخلاق؟

الدين (مقاطعاً)

لا يمكن للمادة أو الطاقة غير العاقلة أن تمد البشر بشعور الضمير والتطلع إلى الخير.

١- دكتور مصطفى محمود، حوار مع صديقي الملحد، معنى الدين، دار المعارف، ١٩٩٧، صفحة ١٢٨.

المدعي

أعترض.... دين يرد على سؤال أوجهه إلى سيد أخلاق.

القاضي

دين، لا تجب إلا إذا وجه لك السؤال، أجب يا سيد أخلاق.

الأخلاق

أنا لا أعلم عن صحة نظرية دارون وعن تفسيرها... ربما لو وضح لنا سيادة المستشار ما يقصده بالأصل الداروني، أستطيع أن أجيب.

وقف شاب في سن المراهقة في منتصف القاعة قائلا:

شاب بين الحضور

هذا مذهب يستحق المعرفة.

القاضي

يا سيادة المستشار، وضّح لنا كيف يرجع العلماء قضية الأخلاق إلى أصل داروني؟

المدعي

يدفعنا الفكر الداروني إلى الاعتقاد بأن البشر قد عرف الإيثار منذ الأزل بسبب الحاجة إليه، لقد صنع الإنسان المعروف قديمًا لما عرفه من مزايا تبادل المصالح وما اكتسبه

مـن سـمعة طيبـة؛ ولـذلك كانـت القبيلـة التـي تتميـز بالإيثـار والتعاون بين أفرادهـا تصـمد أمـام القبائـل الأخـرى وتبقـى... ومـع مـرور الـزمن اختفـى نظـام القبائـل بقوانينـه واختفـت الحاجة إلى الإيثار، لكن أصبح الميل للإيثار باقيًا مثله مثل بقاء الرغبة الجنسية[1].

القاضي

وما وجة الشبه بين الإيثار والرغبة الجنسية؟

المدعي

الرغبـة الجنسية أيضًـا بـدأت في المجتمعـات الأولـى بسـبب الحاجـة إلـى التكـاثر ثـم اختفـت هـذه الحاجـة بـدليل ظهـور العديـد مـن موانـع الحمـل ومـع ذلـك بقـي الميـل إلـى الجـنس وبنفس المنطق بقي الميل للإيثار[2].

قامت امرأة في الأربعين من عمرها قائلة:

امرأة من الحاضرين

هل حقًّا اختفت الحاجـة إلـى التكـاثر؟ من منـا لا تهفـو نفسـه ليكون له ولد أو ابنة؟!

١-Richard Dawkins, The God Delusion, Chapter ٦, Bantam Press, ٢٠٠٦, Page ٢٢٠
٢-Richard Dawkins, The God Delusion, Chapter ٦, Bantam Press, ٢٠٠٦, Page ٢٢١.

دين

ما قاله سيادة المستشار افتراء بغير دليل، كم من أفكار شاذة ونظريات زائفة وضعت لطمس الحقيقة الواضحة وضوح الشمس ﴿يُرِيدونَ أن يُطْفِؤُواْ نُورَ اللّهِ بأفْوَاهِهِمْ وَيَأْبى اللّهُ إلاّ أن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾[1].

المدعي بجِدّة

أعترض، تقليل من شأن الادعاء!

القاضي

تعليق دين لاغ!

ثم نظر القاضي إلى الأخلاق قائلا:

القاضي

كيف ترى ما رواه سيادة المستشار يا سيد أخلاق؟

الأخلاق

ما ذكره سيادة المستشار ليس له أي علاقة بالإيثار ولا حتى بالأخلاق جملة، وإنما له علاقة بالمتعة الحسية والمصالح المشتركة، فتعريف الإيثار هو أن يقدم الإنسان حاجة غيره من الناس على حاجته، فنجده في كثير من الأحيان لا يستسلم لرغبة جسده - عكس التشبيه الذي ذكره سيادة

١-القرآن الكريم، سورة التوبة ورقمها ٩، آية ٣٢.

المستشار وهو الرغبة في أن يشبع رغبة جسده - فقد يجوع ليشبع غيره، ويعطش ليروي غيره، ويتعب ليستريح غيره، فإذا كان الإنسان هو فقط الجسد إذن من يدفعه لفعل عكس ما يرغب؟ فهذا أروع دليل على وجود النفس بداخل الجسد، النفس التي قد تسوق الجسد إلى هلاكه (وليس إلى بقائه) كي يعيش الآخرون ... النفس التي ينكرها سيادة المستشار.

علا صوت الحاضرين فقال المدعي بصوت أكثر حدة:

المدعي

أجدك لا ترى الشبه بين ممارسة الجنس والإيثار، ولكنك ألا تتفق معي بأن الجنس متعة للبشر؟

الأخلاق

أحيانًا .... إذا ارتضى الطرفان.

المدعي

فإذا كان الله محبة، إذن لماذا يمنع انفراد رجل بامرأة لاختلاس بعض لحظات المتعة بما لا يتعارض مع حقوق الآخرين، لماذا يفرض الله الودود هذا الحرمان؟

الأخلاق

أنا لا أعرف، أعتقد أن دين عنده الرد على هذا السؤال.

القاضي

أجب يا سيد دين.

دين

التحريم في الأديان ليس لمجرد التحريم، ولا التحليل لمجرد التحليل، إنما تحليل لكل ما هو طيب وتحريم لكل ما هو خبيث، يقول الله في كتابه الكريم: ﴿... وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ...﴾[1].

الله حرم الضار الخبيث وأحل الطيب النافع، لم يصدر الأمر تسلطًا ومعاقبة وتضييقًا على الناس، وإنما أقام شريعته محبة ورحمة، لقد حرم الله الزنا لأنه فوضى تختلط فيه الأنساب... وتخضع فيه النفس للنزوات والشهوات والأهواء، وأحل الزواج لأنه تنظيم ونظام ومسئولية وسكينة قلب.[2]

المدعي

إذا كان الضرر هو اختلاط الأنساب، إذن هذا الضرر يسقط حينما يجتمع رجلان على شذوذ جنسي، فلماذا إذن حرم الله هذه العلاقة، على الرغم من صدق ممارسيها؟[3]

١- القرآن الكريم، سورة الأعراف ورقمها ٧، آية ١٥٧.

٢- دكتور مصطفى محمود، القرآن محاولة لفهم عصري، الحلال والحرام، دار المعارف، ١٩٩٢، صفحة ١٠٠، ١٠٧.

٣- متشكك من أستراليا.

دين

لنفهم الضرر لا بدَّ أن نضع الحب والجنس في إطارهما الطبيعي، والطبيعة جعلت من العاطفة والجنس وسائل للتكاثر والإبقاء على النوع وعمار الدنيا .... جعلت منهما أدوات إنتاج .... حينما يجتمع رجلان على شذوذ جنسي فإنهما ينحرفان بالطاقة الطبيعية ويحولان أدوات الإنتاج إلى أدوات استهلاك، وتعم الفوضى في المجتمع، ويحذر من هذه العلاقة لبقاء الجنس البشري واستمراره.

ثم إن اللذين يرتمي الواحد منهما في حضن الآخر.. ويتعلل كل منهما بأنه صادق مع نفسه فيما يفعل... هما في الحقيقة كاذبان؛ لأن صدق الإنسان مع نفسه لا يكون صدقًا حقيقيًّا إلا إذا كان بالمثل صدقًا مع الطبع والطبيعة[1].

الأخلاق

كل ما ينافي الطبيعة مشوَّه وبغيض، فإذا رأيت شابة جميلة ولكن صلعاء بلا شعر، فهذا يؤلمك بينما لا تجد غضاضة أن ترى رجلا كبيرًا أصلع ... وذلك لأن الشابة الصلعاء مخالفة للطبيعة، إلا إذا اعتدت أنت البغيض.

المدعي

ولكن المجتمعات المتقدمة جميعها لا تجد أي غضاضة في أن تفعل ما تشاء ما دمت لا تمس الآخرين بسوء live and let live

١- دكتور مصطفى محمود، القرآن محاولة لفهم عصري، الحلال والحرام، دار المعارف، ١٩٩٣، صفحة ١٠٩.

دين

هـذا مفهـوم الأخـلاق بـالمعنى المـادي؛ وهـو أن تشـبـع رغباتـك بمـا لا يتعـارض مـع حـق الغيـر في إشـبـاع رغبـاتهم هـم أيضًـا، فهو مفهوم مـادي اجتماعي بالدرجة الأولى، وهـدفه هـو حسن توزيع اللذات، أما الأخلاق بـالمعنى الـديني - فهـي بـالعكس - أن تقمـع رغباتـك وتخضـع نفسـك، وتخـالف هـواك وتحكـم شهوتك لتتحقق برتبتك ومنزلتك العظيمـة كخليفـة عـن الله، يقـول الله تعـالى في كتابـه الكـريم: ﴿إِنَّ اللَّـهَ اشْـتَرَى مِـنَ الْمُـؤْمِنِينَ أَنفُسَـهُمْ وَأَمْـوَالَهُم بِـأَنَّ لَهُـمُ الْجَنَّـةَ...﴾[1]، كمـا يقـول المسـيح "فَـإِنَّ مَـنْ أَرَادَ أَنْ يُخَلِّـصَ نَفْسَـهُ يُهْلِكُهَـا، وَمَـنْ يُهْلِـكُ نَفْسَهُ مِنْ أَجْلِي يَجِدهَا، لأَنَّهُ مَاذَا يَنْتَفِعُ الإِنْسَانُ لَوْ رَبِحَ الْعَالَمَ كُلَّهُ وَخَسِرَ نَفْسَهُ؟..."[2]

ومفهوم الأخلاق هنا فردي، وهدفه بلوغ الفرد درجة الكمـال، وإن كانت هناك ثمرة اجتماعية يجنيها ذلك الفرد فإنها تأتي بالتبعية[3].

المدعي

سيد أخلاق، هل ترى أن الله عادل؟

١- القرآن الكريم، سورة التوبة ورقمها ٩، آية ١١١.

٢ - الكتاب المقدس - إنجيل متى - أصحاح ١٦، آية رقم (٢٥،٢٦).

٣- دكتور مصطفى محمود، علم نفسي قرآني جديد، الفصل الأول، أخبار اليوم - قطاع الثقافة، ١٩٩٨، صفحة ١١.

الأخلاق

بلا أدنى شك.

دين

"بارٌّ أنْت يَا رَبُ، وَأحكَامُكَ مُسْتقِيمَةٌ، عَدلا أمَرْت بشَهَاداتك، وَحقًّا إِلَى الْغَايَةِ .... عَدلُكَ عَدلٌ إِلَى الدَّهْرِ، وَشَرِيعَتُكَ حقٌّ"[1].

﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثقَالَ ذرَّةٍ وَإِن تكُ حسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْت مِن لَّدنْهُ أجرًا عَظِيمًا﴾[2].

المدعي

إذن كيف يحاسبنا الله وظروفنا هي التي تقودنا إلى مصائرنا، فما ذنب المجرم الذي عانى الحرمان في بيئة مليئة بالعار والفقر فدفعته ظروفه القاسية إلى المعصية والخطيئة؟[3]

دين

إن الفقر والغنى أخلاق نفسية قبل أن يكونا أعراضًا دنيوية. فالإنسان الغني حقًّا هو القادر على أن يغير ظروفه بدلًا من أن يترك ظروفه هي التي تسوقه إلى الهاوية، وكم من أخيار تغلبوا على ظروفهم بالرغم من حدتها وقسوتها.

١-الكتاب المقدس - سفر المزامير - أصحاح ١١٩ . آية رقم (١٣٧، ١٣٨، ١٤٢).

٢- القرآن الكريم، سورة النساء ورقمها ٤، آية ٤٠.

٣- أحد المتشككين العرب.

المدعي

أعترض!

القاضي

رد دين لاغٍ ... السؤال ليس موجهًا لك يا سيد دين، أجب يا سيد أخلاق.

الأخلاق

الذي يسكن في أعماق الصحراء يشكو مُرّ الشكوى؛ لأنه لا يجد الماء الصالح للشرب، وساكن حي راقٍ حيث يجد الماء والنور والسخّان والتكييف لو استمعت إليه لوجدته يشكو مُرّ الشكوى هو الآخر من سوء الهضم والسكر والضغط... والحظوظ متقاربة في باطن الأمر، ومحصولنا من الشقاء والسعادة متقارب برغم الفوارق الظاهرة بين الطبقات.. فالعذاب ليس له طبقة وإنما هو قاسم مشترك بين الكل.. وليس اختلاف نفوسنا هو اختلاف سعادة وشقاء، وإنما اختلاف مواقف.. فهناك نفس تعلو على شقائها وتتجاوزه وترى فيه الحكمة والعبرة وهناك نفوس تمضغ شقاءها وتجتره وتحوله إلى حقد أسود وحسد أكّال.. وتلك هي النفوس المظلمة الكافرة بخالقها المتمردة على أفعاله[1].

١- دكتور مصطفى محمود، مقال (العذاب ليس له طبقة).

المدعي

وإذا كانت هذه النفوس ورثت صفاتها ... فما ذنبها إذن؟

القاضي

برجاء التوضيح يا سيادة المستشار.

المدعي

يرجع علماء الوراثة أكثر مظاهر السلوك إلى ما ولد به الإنسان من ميول ونزعات...، مثلا يتأثر سلوك الإنسان بشكل كبير بخصائص الجينات التي وُلِد بها، كما نشاهد مجموعة الغدد المجاورة للكلى "أدرينال" أثر في مقدار تهيج المرء حين يخاف أو يغضب ... إذن ما ذنبنا نحن إذا كنا ورثنا صفاتنا وطبائعنا التي تحدد أفعالنا؟

الأخلاق

البشر ليسوا أجهزة كمبيوتر مبرمجين على أفعالهم، وإلا ما كنت تجد بشرًا يرجع عما انتوى من شر لسماعه إلى نصيحة تلقاها من صديق حميم أو من واعظ ديني[1]، فالنفس تسمو عن الجسد، ولها مطلق الحرية في أن تروض هذا الجسد وما ورثه من طباع، ولذلك فأي صفات موروثة يمكن الإنسان أن يجاهدها أو يوجهها حتى توائم ما شرعه الله، فبدلًا من أن يهتاج الإنسان للباطل يهتاج للحق وهكذا، وعلى قدر الجهاد يكون الثواب.

١- Antony Flew, There Is A God, Chapter ٢: Athesim calmly considered, HarperCollins e-books, P. ٨٠.

فالنفوس أشبه ما تكون بمصابيح الكهرباء، هذا يضيء بقوة خمسين شمعة، والآخر بقوة مائة، وغيرهما بقوة مائتين، فإذا أضاء المصباح ذو المائة شمعة بقوة سبعين فقط، فهو أكثر عطلا من مصباح ذي خمسين شمعة يضيء بأربعين، وإن كان المصباح الأول في نظر الناس أسطع من الأخير[1].

دين

﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلاً﴾[2].

المدعي

متى وصلنا ما قرأته علينا؟

دين

أكثر من ١٤٠٠ سنة.

المدعي

أليس من الأفضل أن نأخذ ما نصح به علماء هذا العصر بدلا من قراءة كتب عتيقة، أحدثهم أكثر من ١٤٠٠ سنة عمرًا؟

---

١ - الشيخ محمد الغزالي، عقيدة المسلم، على هامش الأقدار، نهضة مصر، الطبعة السادسة ٢٠٠٧، صفحة ١٢٢.

٢- القرآن الكريم، سورة الإسراء ورقمها ١٧، آية ٨٤.

دين

كتاب الله ليس كسائر الكتب، فهو رسالة من الله إلى الإنسان في أي زمان ومكان.

المدعي

ولكن الأخلاق ومفاهيمها تتغير في كل زمان ومكان، أليس كذلك يا سيد أخلاق؟

الأخلاق

كل شيء يتغير.. كل شيء يتبدل إلا بعض المفاهيم والمعاني... الإيثار يبقى دائمًا إيثارًا، والشجاعة تبقى دائمًا شجاعة، والرحمة تبقى دائمًا رحمة، والصدق يظل دائمًا صدقًا، والعدل يبقى دائمًا عدلاً.

المدعي

سأثبت لك حالا أن الأخلاق نسبية وتتغير حسب معايير كل زمان ومكان، معاملة المجتمع للمرأة مثلا تختلف من مكان إلى مكان، ومن زمان إلى زمان أيضًا... هذا بيان بالأماكن والتواريخ التي مُنحت فيها المرأة حق التصويت[١].

١- Richard Dawkins, The God Delusion, Chapter ٧,Bantam Press, ٢٠٠٦, Page ٢٦٥.

نيوزلاندا	١٨٩٣
أستراليا	١٩٠٢
فنلندا	١٩٠٦
نرويج	١٩١٣
أمريكا	١٩٢٠
إنجلترا	١٩٢٨
فرنسا	١٩٤٥
بلجيكا	١٩٤٦
سويسرا	١٩٧١
كويت	٢٠٠٦

لدي مثال آخر على تغير أخلاق المجتمع عبر الزمان... فليس ببعيد عندما كان الرجل الأبيض -في إنجلترا وكثير من الدول الأخرى- يشعر بالازدراء ناحية الجنس الأفريقي، ولكن الآن ومع التقدم أصبحنا نمقت كل ما له علاقة بالتمييز العنصري[١]، حتى نجد "أوباما" رئيس أمريكا - أكبر دولة في العالم الآن - من أصل أفريقي... أرأيت كيف تتغير معايير الأخلاق مع كل عصر؟

١- Richard Dawkins, The God Delusion, Chapter ٧,Bantam Press, ٢٠٠٦, Page ٢٦٦

دين

بالنسبة إلى نظرة المجتمع للمرأة لقد نسيت أن تضيف في أول قائمتك المرأة المسلمة. فقد صوتت في عصر رسول الله منذ أكثر من ١٤٠٠ سنة عندما أنزل الله على رسوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا....﴾[١] وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - وهو من صحابة النبي - يستشير في قراراته المرأة، فكانت الشفاء بنت عبد الله العدوي من ضمن مستشاريه، وكان يقدمها في بعض الآراء، كما جعلها مسئولة عن الأسواق ومراقبة البيع والشراء، فكانت بمثابة وزيرة، ويرجع فضل هذا إلى الروح التي اكتسبها من الإسلام.[٢]

أما بالنسبة للتمييز العنصري، فقد نهى الرسول أتباعه عنه في قوله: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا لِأَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى ... " - رواه أحمد.[٣]

وقد قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ....﴾.[٤]

١- القرآن الكريم، سورة الممتحنة ورقمها ٦٠، آية ١٢.

٢- الدكتور عمرو خالد، برنامج عمر صانع الحضارة، أذيع في رمضان ٢٠١٢، الحلقة الثالثة عشر.

٣- كتاب نيل الأوتار - باب الخطبة أوسط أيام التشريق - حديث رقم ٢٠٤٦.

٤-القرآن الكريم، سورة الحجرات ورقمها ٤٩، آية ١١.

إن الذي تراه في بعض المجتمعات من تمييز بين الرجل والمرأة أو بين جنس وجنس مرهون بأخلاق المجتمع وتقاليده، وليس قضية دين.

القاضي

هل لديك أي تعليق يا سيد أخلاق؟

الأخلاق

أجل... سيادة المستشار يدعي بأن في التقدم ارتقاء بالأخلاق ولكن ما أرى إلا نوعًا آخر من التدني، فقد أبحتم الربا وفيه استغلال الغني للفقير، وأبحتم الزنا وفيها فوضى وعدم استقرار للأسر، وانتشرت الدعارة عندكم بشتى أشكالها، وفي هذا منتهى المهانة والتحقير للمرأة، وحولتم الاسترقاق الفردي إلى استرقاق جماعي تساند الدول القوية لتمكين مظالمه وتخليد مآثمه، فالتقدم ليس منبع الأخلاق للأمم وإنما هو الدين.

المدعي

أنت تقول أن الرسالات جاءت لتدعم الحب والخير والتراحم بين البشر، ولكن ألا تتفقون معي أن معظم الصراعات في العالم قديمًا وحديثًا كانت من أجل التعصب الديني.

فكان عدد المحكوم عليهم بالإعدام من قبل محاكم التفتيش الإسبانية حوالي ١٠،٠٠٠ فرد، وقد ذبحت الحروب الصليبية

الملايين باسم يسوع... كما شاهدنا في عصرنا هذا كيف غزى بوش الابن العراق، فسحق أمة وقتل أبناءها ورمّل نساءها وشرد شعبا مبررًا ذلك بأنه يلبي نداء ربه، كلهم يحاربون ويسفكون الدماء، ولديهم قناعة تامة بأنهم يفعلون ذلك من أجل إرضاء الإله الذي يعبدونه... لكنك لا ترى ملحدًا يرفع سلاحًا من أجل ما يؤمن به ... فكم هو مسالم ووديع[١٠]!

الأخلاق

إنك تناسيت الملايين التي ذبحت على يد (أدولف هتلر)، و(جوزيف ستالين)، و(ماو تسي تونج)؛ وذلك لبناء ما حلموا به من مدينة فاضلة تخلو من الدين..

المشكلة ليست في الأديان ولكن المشكلة في الإنسان... الإنسان الذي يأخذ مبدأ أو دينًا كوسيلة ليستغل العامة من الناس للوصول إلى مجد أو جاه أو سلطان.

المدعي

ولكن لا تستطيع أن تنكر التعصب الأعمى الذي يصيب كثيرًا من معتنقي الأديان.

الأخلاق

التعصب صفة قد تصيب الإنسان.. وليست صفة في الدين، فيتعصب البشر لاختلاف عرقهم أو ألوانهم أو مذاهبهم أو

١٠. Richard Dawkins, The God Delusion, Chapter ٨, Bantam Press, ٢٠٠٦, Page ٢٨١.

دينهم، فهم في كل مجالاتهم يتعصبون... فترى التعصب بين القبائل قديمًا وبين الأحزاب السياسية حديثًا... حتى بين مشجعي كرة القدم!

قام رجل بين الحضور مقاطعًا:

أحد الحضور

لقد ظننت أن الدين هو السبب في نشر الكراهية لما رأيته من أفعال معتنقيه، فقد وجدتهم يتعصبون ويبغضون ويكرهون بعضهم البعض.

دين

إذا كنت تريد أن تعرف ماذا جاءت به الرسالات بشأن التعصب، فخذ من المصدر وليس من أتباع هذا المصدر، فأغلب معتنقي الأديان - مع الأسف - لا يتبعون ما جاءت به رسلهم ..

لقد قال عيسى عليه السلام: "لكِنِّي أقُولُ لَكُمْ أيُّهَا السَّامِعُونَ: أحِبُّوا أعْداءَكُمْ، أحسِنُوا إلَى مُبغِضِيكُمْ، بارِكُوا لاعنِيكُمْ، وَصَلُّوا لأجلِ الَّذينَ يُسيئُونَ إلَيْكُمْ. مَنْ ضَرَبَكَ عَلَى خدِّكَ فَاعْرِضْ لَهُ الآخرَ أيْضًا، وَمَنْ أخذ رِداءَكَ فَلا تمْنَعْهُ ثوْبكَ أيْضًا. وَكُلُّ مَنْ سَألَكَ فَأعْطِه، وَمَنْ أخذ الَّذي لَكَ فَلا تُطَالِبهُ. وَكَمَا تُرِيدونَ أنْ يَفْعَلَ النَّاسُ بكُمُ افْعَلُوا أنْتُمْ أيْضًا

بهِمْ هكَذا. وَإِنْ أحببتُمُ الَّذينَ يُحِبُّونَكُمْ، فَأيُّ فَضْلٍ لَكُمْ؟ فَإِنَّ الْخطَاةَ أيْضًا يُحِبُّونَ الَّذينَ يُحِبُّونَهُمْ"[1].

وقال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿...ادفَعْ بالَّتي هِيَ أحسَنُ فَإذا الَّذي بيْنَكَ وَبيْنَهُ عَداوَةٌ كَأنَّهُ وَلِيٌّ حمِيمٌ﴾[2] وقال: ﴿...وأن تعْفُوا اقْرَب لِلتَقْوَى وَلا تنسَوُا الْفَضْلَ بيْنَكُمْ...﴾.[3]

القاضي

هل تود أن تعقب على كلام دين يا سيد أخلاق؟!

الأخلاق

لا يا سيادة القاضي.

نظر القاضي إلى المدعي قائلا:

القاضي

هل لديك أسئلة أخرى لسيد أخلاق يا سيادة المستشار؟

المدعي

لا يا سيادة القاضي.

القاضي

الشاهد يمكنه الانصراف.

١-الكتاب المقدس- إنجيل لوقا- أصحاح ٦، آية رقم (٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٢).

٢- القرآن الكريم، سورة فصلت ورقمها ٤١، آية ٣٤.

٣-القرآن الكريم، سورة البقرة ورقمها ٢، آية ٢٣٧.

الفصل السادس

{...وَقُل رَّبِ زدِنِي عِلمًا}.[1]

١- القرآن الكريم، سورة طه ورقمها ٢٠، آية ١١٤.

"اسْألُوا تُعْطَوْا، اطْلُبوا تجدوا، اقْرَعُوا يُفْتح لَكُمْ؛ لأنَّ كُلَّ مَنْ يَسْألُ يَأْخذ، وَمَنْ يَطْلُب يَجد، وَمَنْ يَقْرَع يُفْتح لَهُ"[1].

"Science has made us gods even before we are worthy of being men."[2]

"ليس العلم أن تعرف المجهول، ولكن أن تستفيد من معرفته"[3].

"إن كل تدين يجافي العلم ويخاصم الفكر ويرفض عقد صُلح شريف مع الحياة .. هو تدين فقد كل صلاحيته للبقاء"[4].

١-الكتاب المقدس - إنجيل متى - أصحاح ٧ ، آية رقم (٨،٧).

٢ - Jean Rostand

٣-مصطفى السباعي، هكذا علمتني الحياة.

٤- الشيخ محمد الغزالي.

الفصل السادس

خيَّم الهدوء على القاعة، ثم نادى كاتب المحكمة الشاهد التالي قائلا:

كاتب المحكمة

الشاهد التالي.

دخلت فتاة في العشرينيات من عمرها القاعة وتقدمت المنصة، نظر الجميع إليها بإعجاب من شدة جمالها وأناقتها.

كاتب المحكمة

ردِّي القسم.

العلوم

أقسم بالله العظيم أن أقول الحق.

المدعي

اذكري اسمك وسنك ومهنتك.

العلوم

اسمي علوم، أجمع البيانات وأستنتج الحقائق والمبادئ، ومن ثم أكتسب المعرفة الناتجة عن الدراسة المنهجية، أما عن عمري... فلا تسأل سيدة عن عمرها!

المدعي

ما سعة هذا الكون يا آنسة علوم؟

العلوم

إنه كبير جداً... حجمه يفوق إدراك البشر.

القاضي

كيف ذلك؟

العلوم

مجرتنا "درب التبانة" أو "Milky way" تضم المجموعة الشمسية (من ضمنها كوكب الأرض) جنبا إلى جنب مع بلايين الكواكب الأخرى[1]. شمسنا تقع على حافة مجرة درب التبانة وتبدو تماماً مثل بقعة صغيرة بالمقارنة مع حجم المجرة، طول درب التبانة يساوي حوالي ١٠٠,٠٠٠ سنة ضوئية، هذا يعني أنك لو انتقلت بسرعة الضوء من أحد جانبي المجرة إلى الجانب الآخر ستقطع زمناً يساوي ١٠٠,٠٠٠ سنة[2]، ومجرتنا "درب التبانة" تقع على أطراف الكون، فهي تبعد حوالي ١٩ – ٢٣ ألف مليون سنة ضوئية عن مركز الانفجار الكوني الأول والذي لم يتحدد مكانه بدقة بعد[3]، هناك حوالي مائة بليون مجرة مثل مجرتنا في هذا الكون العملاق[4]

١- Richard Dawkins, The God Delusion, Chapter ٤,Bantam Press, ٢٠٠٦, Page ١٣٧.

٢- الدكتور صبري الدمرداش، للكون إله، الأمسية الثانية، المساهم، الطبعة الثانية ٢٠٠٦، صفحة ٢١٧.

٣ – الدكتور صبري الدمرداش، للكون إله، الأمسية الثانية، المساهم، الطبعة الثانية ٢٠٠٦، صفحة ٢٢٢.

٤- Richard Dawkins, The God Delusion, Chapter ٤,Bantam Press, ٢٠٠٦, Page ١٣٧

قام رجل في منتصف العمر قائلا بين الحضور:

أحد الحاضرين

لماذا خلق الله هذا الكون الفسيح ووضعنا على كوكب صغير يقع في أحد أطرافه، ولا يوجد أي وسيلة لنا أو حتى أمل لنتنقل خارج مجموعتنا الشمسية؟

المدعي

أجل، إن حجم الإنسان ضئيل جداً بالنسبة لهذا الكون الشاسع، وهذا دليل على أن الإنسان لم يوجد عن عمد في وسط هذا الكون العملاق.

العلوم

أتفق معك إن حجم الإنسان ضئيل جداً في هذا الكون، ولكني لا أستطيع الجزم أنه لم يخلق عن عمد، لا توجد أدلة علمية لذلك.

دين

خلق هذا الكون الكبير ليس أصعب عند الله من خلق كون أصغر، لقد خلق الله الكون من لا شيء، فلا تحده كمية المادة أو الطاقة ... اتساع هذا الكون ليس دليلا على أن خلق البشر غير متعمد، وإنما دليل على أن البشر محدود جداً بالنسبة لجلالة الله وقدرته، فقد أشارت الرسالات على قدرة الله في الكون، فروى الكتاب المقدس: "الْمُزَحزِح الْجبالَ

وَلا تعلَمُ، الَّذي يَقْلِبهَا فِي غَضَبهِ الْمُزَعْزِعُ الأَرْضَ مِنْ مَقَرِّهَا، فَتتزَلْزَلُ أعْمِدتُهَا. الآمِرُ الشَّمْسَ فَلا تُشْرِقُ، وَيَختمُ عَلَى النُّجومِ، الْباسِطُ السَّمَاوَات وَحدهُ، وَالْمَاشِي عَلَى أعَالِي الْبحرِ، صَانِعُ النَّعْشِ وَالْجبَارِ وَالثُّرَيَّا وَمَخادعِ الْجَنُوب، فَاعِلُ عَظَائِمَ لا تُفْحصُ، وَعَجائِب لا تُعَدُّ."[1].

وقال الله تعالى في القرآن: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذي خلَقَ السَّمَاوَات وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثمَّ اسْتوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبهُ حثيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجومَ مُسَخَّرَات بِأَمْرِهِ ألا لَهُ الْخلْقُ وَالأَمْرُ تبارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[2].

القاضي

آنسة علوم، هل يوجد أي دليل أن الإنسان خلق عمداً؟

العلوم

إن كل ما أستطيع بيانه هو أن كل العوامل الفيزيائية والكيميائية على كوكبنا جعلته الكوكب الوحيد - فيما نعلم - المأهول بالحياة، فكل الثوابت والمتغيرات الكونية في عالمنا لها قيم أو قيمة محددة، ولو كانت هذه القيمة أقل من هذا أو أكبر قليلا ما كان على كوكبنا حياة.

١- الكتاب المقدس - سفر أيوب - اصحاح ٩، آية رقم (٥، ٦، ٧، ٨، ٩، ١٠).

٢- القرآن الكريم، سورة الأعراف ورقمها ٧، آية ٥٤.

القاضي

كيف ذلك؟

العلوم

النماذج عديدة، ولكني سأكتفي بضرب بعض الأمثلة للتوضيح. فالأرض خلقت بدقة بالغة، فلو كانت صغيرة كالقمر لعجزت عن الاحتفاظ بغلافها الهوائي والمائي، ويترتب على ذلك أن تبلغ الحرارة فيها حد الموت، أما لو كانت كبيرة كالمشتري لتضاعفت جاذبيتها فتتثاقل المخلوقات على سطحها فلا تستطيع حراكًا.

والأرض تبعد عن الشمس مسافة ٩٣ مليون ميل لكي تستقبل من الشمس ما يكفي لاستمرارية الحياة عليها، ولو أزيحت الأرض إلى ضعف بعدها الحالي بعيدًا عن الشمس تتجمد الأرض، وإذا اقتربت الأرض نصف هذه المسافة ناحية الشمس لاحترقت الأرض.

والأرض تدور حول نفسها مرة كل ٢٤ ساعة بسرعة تصل إلى نحو ١٠٠٠ ميل في الساعة، لو زادت سرعة دوران الأرض حول نفسها عن ١٠٠٠ ميل في الساعة أو قلت كما هو الحال في بقية كواكب منظوماتنا الشمسية، فكانت مثلا عشرة آلاف ميل في الساعة لأصبح طول النهار أقل من ساعة وربع! ولو كانت ١٠٠ ميل في الساعة لأصبح طول النهار ١٢٠ ساعة

ولاحترقت أجسامنا وحيواناتنا ونباتنا في لهب النهار أو تجمدت في زمهرير الليل.

وإذا كان القمر أكبر من حجمه لأصبح المد على الأرض طاغيًا يغمر اليابسة كلها، وإذا كان أصغر تعطل عمل المد والجذر بقلة الجذب واختل النظام.

والغلاف الجوي الذي يحيط بالأرض، هذا الهواء مخلوط من غازات أساسية وبنسب معينة، وقد قدر العلماء أنه إذا ارتفع نسبة الأكسيجين في الهواء بمقدار ١٪ أي صارت ٢٢٪ فإن ٧٠٪ من غابات الأرض تشتعل، وأما إذا بلغت الزيادة ٤٪ أي صارت نسبة الأكسجين ٢٥٪ فإن كل ما على الأرض يشتعل، كذلك إذا انخفضت نسبة النيتروجين بمقدار ٣٪ أي صارت ٧٥٪ فإن الأرض تدخل في عصر جليدي جديد[١].

القاضي

وكأن الكون خلق عن عمد.

دين

﴿... وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾[٢].

١- دكتور صبري الدمرداش، للكون إله، الأمسية الأولى، المساهم، الطبعة الثانية ٢٠٠٦، صفحة ٧١، ٧٢، ٧٦.
٢- القرآن الكريم، سورة الفرقان ورقمها ٢٥، آية ٢.

المدعي

لقد كشفت نظرية داروين أن التطور عن طريق الانتخاب الطبيعي يفسر لنا وجود الحياة على الكون بدون الحاجة إلى إله.

العلوم

نظرية التطور تشرح كيف تطورت وتنوعت الحياة منذ أن نشأت، ولا تنفي وجود خالق مهيمن على هذا التطور، التطور يقره العديد من المؤمنين بالله وكذلك غير المؤمنين.

القاضي

وما هي نظرية التطور؟

العلوم

جميع الكائنات الحية لديها جينات[1]، مع مرور الوقت، تتحول (تتحور) هذه الجينات تلقائيًا فتسبب تغييرات في الكائنات، إذا أعطت هذه التغييرات صاحبها فرصة أكبر عن غيرها للبقاء، وانتقلت هذه الجينات المتغيرة إلى الجيل اللاحق، ستتكاثر الكائنات التي تحمل الجينات المتغيرة وتسود، ومع

١- الجينات هي الوحدات الفرعية العاملة من الحمض النووي داخل الخلية الحية. كل جين يحتوي على مجموعة معينة من الإرشادات، جيناتك هي المسئولة عن الطبيعة المبدئية من حياتك، فهي تحدد صفاتك الوراثية بدءًا من لون بشرتك وشعرك وحتى مدى حساسيتك تجاه الأمراض أو مقاومتك لها.

تلاحق الأجيال العديدة قد تصبح الكائنات مختلفة تمامًا عما كانت عليه، على سبيل المثال: إذا افترضنا أن هناك طيورًا لديها مناقير طويلة نتيجة لتحور جيناتها وكانت تعيش في مكان خصب مع مجموعة أخرى من الطيور ذات المناقير المختلفة، فإذا جف هذا المكان ستعيش الطيور ذات المناقير الطويلة فقط؛ لأنها ستكون قادرة على الوصول إلى الزرع من باطن الأرض، أما الطيور ذات المناقير الصغيرة فستموت جوعًا، ومع الوقت ستظهر سلالة ذات المناقير الطويلة فقط. ويسمى هذا التكيف الطبيعي للفصائل مع بيئتها من أجل البقاء "الانتخاب الطبيعي" أو "Natural Selection" حيث يكون البقاء للأصلح.

القاضي

هذا منطقي، ولكنها مجرد نظرية.

المدعي

كلمة نظرية في استخدامنا اليومي تعني تخمينًا أو حدسًا، أما النظرية العلمية فهي موثقة ومدعمة لأنها ببساطة تفسر ملاحظات العلماء على الظواهر التي يشاهدونها.

العلوم

أود أن أشرح الفرق بين النظرية والظاهرة.. النظرية العلمية تفسر الظواهر المثبتة، فمثلا الأجسام تسقط على الأرض

ظاهرة، وكانوا قديمًا يعتقدون أن الأرض هي مركز الكون، فكانت هذه النظرية مناسبة تمامًا لظاهرة سقوط الأجسام، سنة ١٥٤٣، قام (كوبرنيكوس) بتوضيح أن الأرض ليست مركز الكون، وبالتالي أصبحت تلك النظرية غير صالحة، مع ذلك بقيت الأجسام تسقط على الأرض. وفي عام ١٦٨٧ قدم (نيوتن) نظرية الجاذبية، واستطاعت أن تتنبأ بسقوط الأجسام وحركة الكواكب بشكل عالي الدقة، وقد ارتقت هذه النظرية إلى حقيقة ثابتة بعد أن أكدتها اكتشافات (أينشتاين)[1] ومعادلاته. أما بالنسبة لنظرية (داروين) لا يوجد إجماع من قبل العلماء عليها على الرغم من وجود بعض الظواهر؛ مثل خروج سلالات من بعضها البعض وتنوعها بتكرار التزاوج وتكرار التوليف بين الأمشاج والجينات، والتشابه التشريحي لجميع الكائنات، هذا فضلا عما لاحظه بعض العلماء من تخلف بقايا من الأعضاء المنقرضة بلا وظيفة في كل مجموعة حيوانية، مثل ضمور الذيل في الأجزاء الثلاثة الأخيرة في العمود الفقري داخل جسم الإنسان.

قامت امرأة في الخمسين من عمرها قائلة:

١- منتدى التوحيد، الأقسام العامة، قسم الحوار عن المذاهب الفكرية، ما يجب أن تعرفه عن نظرية التطور البيولوجي (مجازًا: نظرية داروين).

امرأة بين الحضور

النظرية المثبتة عادة يكون لها معادلة حسابية دقيقة فمثلا قانون نيوتن للجاذبية له أكثر من معادلة حسابية[1]، ولكن داروين لم يضع لنا أي معادلة حسابية في كتابه (أصل الأشياء) "Origin of Species" ليحسب لنا مثلا شكل السلالات بعد ١٠٠ سنة من تاريخ محدد.

المدعي

تتميز طبيعة العلوم الفيزيائية بدقة قوانينها الحسابية على خلاف علوم الأحياء، ولأن نظرية داروين نظرية تتبع علم الأحياء فلا يوجد لها معادلة حسابية تدعمها[2]

العلوم

أتفق معك تمامًا أن العلوم الفيزيائية أكثر اعتمادًا على المعادلات الحسابية من علوم الأحياء، ولكن هذا لا ينفي وجود بعض المعادلات الرياضية في علوم الأحياء مثل قانون (ماندل) للوراثة وغيره ... ولو كانت نظرية التطور لداروين هي الأخرى تتمتع بمعادلة حسابية ما اختلف عليها العلماء ولحسم الأمر.

١- Newton's Law of Gravity: $F = Gm_1m_2/r^2$ where F is the gravitational force, G is gravitational constant, M١, M٢ are the masses of two objects, R is the distance between two objects.

٢-NBC News.com, Einstein and Darwin, a tale of two theories, interview with Astrophysicist Neil deGrasse Tyson, director of New York's Hayden Planetarium and co-author of the book "Origins", updated ٥/٢/٢٠٠٥.

المدعي

ولكن يا آنسة علوم، كيف لا يوجد إجماع على داروين؟ بعد أن أكدت الحفريات صدقها؟

القاضي

كيف هذا؟

العلوم

مؤيدو نظرية التطور يرون أن الحفريات (fossils) تؤكد ظهور الإنسان في آخر السلسلة التي بدأت منذ ٣ آلاف مليون سنة صعودًا من الكائنات البسيطة وحيدة الخلية إلى عديدة الخلايا، ترتقي هونًا من الزمان درجة بعد درجة وتنوعًا بعد تنوع من بكتيريا إلى طحالب إلى فطر إلى زهريات في المملكة النباتية، ومن البروتوزوا إلى الإسفنج إلى الديدان إلى القشريات إلى العناكب إلى الحشرات إلى الأسماك إلى الضفادع إلى السلاحف إلى الطيور إلى الثديات بأنواعها. وعمر الإنسان في أرشيف الصخور الثابت المليون سنة زيادة أو نقصًا[1].

المدعي

هذا يفسر وجودنا دون موجد، ففي البدء كانت مادة، ثم تطورت إلى حياة عن طريق تفاعل كيميائي أو مجموعة من التفاعلات

١-دكتور مصطفى محمود، الإسلام ماهو؟ عن التطور، أخبار اليوم – قطاع الثقافة، ٢٠٠٨، صفحة ١١٧ – ١١٨.

الكيميائية[1]، ثم تطورت هذه الحياة إلى "الإنسان العاقل"، وحدث كل ذلك تلقائيًا بالقوانين الجدلية الباطنة في المادة وبدون أي عوامل خارجية من ورائها.

دين

ما قاله سيادة المستشار لم يفسِّر أصل الخلق، كيف وجدت أول خلية بها حياة، ولم يفسر كيف يشعر البشر بالحياة... وما هي النفس وما سبب وجودها، ذلك الإحساس "بالأنا" الذي يكمن داخل كل إنسان، وما معنى كلمة "نحن" التي يستعملها ذلك المتكلم؟

العلوم

أنا لا أستطيع أن أبدي رأيًا فيما لا أراه، فأنا لا أرى النفس التي تتحدث عنها!

المدعي

لقد عاد دين ليحدثنا عن أشياء لا نراها ....

دين

وهل ترى عقلك؟

العلوم

ولكن يا سيد دين وجود العقل مثبت علميًّا.

١- Richard Dawkins, The God Delusion, Chapter ٤,Bantam Press, ٢٠٠٦, Page ١٣٧

دين

يا آنسة علوم، إذا رد جسم الإنسان إلى العناصر الأساسية فيه فما النتيجة التي نخرج بها؟

العلوم

وما هو وزن هذا الإنسان؟

دين

لنقل ١٤٠ رطلا.

العلوم

قدر من الدهن يكفي لصنع سبع قطع من الصابون.

قدر من الكاربون يكفي لصنع سبعة أقلام رصاص.

قدر من الفسفور يكفي لصنع ١٢٠ عود ثقاب.

قدر من المغنسيوم يصلح جرعة واحدة لأحد المسهلات.

قدر من الحديد يمكن عمل مسمار متوسط الحجم منه.

قدر من الجير يكفي تبييض بيت الدجاج.

قدر من الكبريت يطهر جلد كلب واحد من البراغيث.

قدر من الماء يملأ برميلا سعته عشرة جالونات.

دين

وهـذه المـواد تشـترى مـن الأسـواق بمبلـغ مـن المـال يسـاوي ٦٥ جنيهًا مصريًا.... هل هذه قيمة الإنسان في نظركم[١]؟

المدعي

أعترض، هذه فلسفة لا تفيد القضية!

القاضي

ألغي تعقيب دين.

ثم نظر القاضي إلى الآنسة علوم قائلا:

القاضي

يا آنسة علوم، هل حاولتم خلق حياة في معاملكم؟

العلوم

أجـل يـا سـيادة القاضـي علـى الـرغم ممـا جـاء بـه (لـويس باستور) أن الحياة لا يمكن أن تأتي من عدم.

القاضي

وهل هذه التجارب أسفرت عن نتيجة إيجابية؟

١- الشيخ محمد الغزالي، نظرات في القرآن، نماذج وصور، دار نهضة مصر، الطبعة العاشرة ٢٠١٢، صفحة ٤٩.

العلوم

حتى الآن لم يستطيع الكيميائيون في أكثر المعامل تقدمًا خلق حياة جديدة.

المدعي

ذلك لأن التفاعل الكيميائي الذي أتى بأول خلية حية حدث خلال ملايين بل بلايين السنين ولا يستطيع أي معمل مهما بلغ من تطور أن يوفر هذا الوقت لأي تجربة.

قام المنطق من بين الحاضرين قائلا:

المنطق

خلق الحياة لا يحتاج إلى ملايين السنين كما قلت يا سيادة المستشار، فكلنا نعلم أن الحياة تنتهي في لحظة، وتتكون داخل الأرحام في لحظة... لا يوجد مراحل بين الميت والحي، فلا يوجد شيء نصف حي، فإما أن يكون ميتًا وإما أن يكون حيًا.

أشار المنطق على المنصة التي أمام القاضي ثم أكمل قائلا:

المنطق

آنسة علوم، هل تعتقدين لو مر على هذه المنصة بلايين السنين أو حتى وقت لا نهائي، هل يمكن لهذه المنصة فجأة أو تدريجيًا أن تعي وتدرك ما يحيطها؟ أن تعقل وتفهم وتدرك هويتها وهويتك؟

العلوم

هذا مستبعد تمامًا.

المنطق

بل مستحيل أن يحدث هذا لأي نوع من أنواع المادة، فلا أحد يمكن أن يعقل أن طبيعة المادة والكتلة والطاقة تسمح بأن يكون للأشياء دراية، أو قدرة على التفكير أو أن تقول: "أنا"، ومع ذلك نجد الملحدين مصممين أنه في وقت ما من تاريخ الكون حدث المتسحيل واللا معقول![1]

المدعي

ولكن نظرية التطور لداروين تنص على أنه في وقت ما في الأزمنة البعيدة دبّت الحياة في المادة... دون الحاجة إلى إله.

العلوم

أود أن أذكرك يا سيادة المستشار أن نظرية داروين لا تنفي وجود إله.

قام الصبي نور من بين الحاضرين قائلا:

نور

بل تؤكده... يجب أن نسأل أنفسنا إذا كانت هذه النظرية صحيحة.. إذن من أين أتت الكائنات غير العاقلة بحنينها أو

١- Antony Flew, There is a God, Appendix A, HarperCollins e-books, Page ١٦٣

توجهها الدائم للارتقاء نحو الأصلح والأنفع؟ ومن علم هذه الكائنات كيفية التكيف مع بيئتها؟ إن البعوضة تضع بيضها في المستنقع.. وكل بيضة تأتي إلى الوجود مزودة بكيسين للطفو، من أين تعلمت البعوضة قوانين (أرشميدس) لتزود بيضها بهذه الأكياس الطافية؟ لا يمكن أن تكون الطفرات العشوائية أساسًا لما نرى حولنا من دقة وإبداع وإحكام في كل شيء..

التحسين لا ينفي العناية الإلهية بل يؤكدها! والترقي في الزمان هو قانون الله وسننه لكي يكون للزمان حكمة[1].

المدعي

هذا اعتقادك أنت يا نور ولكن يرى الكثيرون أن النظرية لا تحتاج إلى إله.

القاضي

على كل لقد أشارت الآنسة علوم أنه لا يوجد إجماع على نظرية داروين.

المدعي

يا آنسة علوم، ألم تقولي للتو إن الحفريات تؤكد صدق النظرية؟

١- دكتور مصطفى محمود، الإسلام ... ما هو، ٢٠٠٨، صفحة ١٢٠.

العلوم

هذا ما استند عليه مؤيدو نظرية التطور، ولكن معارضي النظرية لهم رأي آخر بالنسبة للحفريات.

القاضي

ما هو؟

العلوم

إنهم يرون أنه على الرغم من البحث المكثف خلال ١٠٠ سنة أو أكثر توجد حلقات مفقودة، وهذا ينفي تدرج الحفريات من كائن إلى كائن.

المدعي

ما تقولينه يا آنسة علوم يتعارض مع صورة الحفريات المعروضة في معظم متاحف أمريكا وغيرها، فقد تم وضع حفريات في جامعة (يال) تظهر التطور تدريجيًّا لمجموعة من الخيول، ثم تم نشر نسخ منها في كثير من المتاحف الأمريكية وغيرها، إنهم يعرضون هياكل مختلفة لثلاثين حصانًا في مراحل تطورها، بدءًا من هيكل حصان صغير في الحجم قدمه بها ٣ أصابع، ثم هيكل لحصان أكبر حجمًا، وله أصبعان في قدميه، ثم هيكل لحصان أكبر حجمًا وله إصبع

واحد حتى الوصول إلى هيكل حصان بالحجم الطبيعي وله الحوافر التي نعرفها[1].

العلوم

لقد انتقد هذه الصور وهذه العينات نورمان ماكبيث، وأعلن تزويرها بعد اكتشافه أنه قد تم العثور على هذه الهياكل من أماكن مختلفة ومن أزمنة مختلفة، فلا يوجد أي علاقة بين الحفريات الموضوعة، ولا يمكن أن يكون هذا من ذاك[2]، وقد نشر اكتشافه في بعض كتبه أشهرها بعنوان "تقاعد داروين"، كما ترى هناك دائمًا بين مؤيد ومعارض لهذه النظرية.

القاضي

هل يوجد أي دليل آخر غير الحفريات يستند إليه العلماء؟

العلوم

لقد تطور علم الجينات والوراثة، والجينات داخل الخلية الحية هي التي تنقل الصفات الوراثية من جيل إلى آخر، وهي جزء من الحمض النووي DNA، وبمقارنة الحمض النووي لكثير من الكائنات أصبح من اليسير على العلماء تحديد العلاقات بين الأنواع الحية species من خلال ما يسمى بالخريطة الكروموسومية أو خريطة الجينات، وقد رأى كثير من العلماء أن هذه العلاقات أكدت صدق نظرية

١- دكتور مصطفى محمود، برنامج العلم والإيمان، حلقة نظرية التطور.

٢-دكتور مصطفى محمود، برنامج العلم والإيمان، حلقة نظرية التطور.

داروين، فالإنسان مثلا لديه ٤٪ فقط من الجينوم مختلف عن الشمبانزي[١].

المدعي

إذن فنظرية داروين صحيحة.

العلوم

كما ذكرت سابقًا يا سيادة المستشار، لا يوجد عليها توافق حتى الآن، فقد رأى بعض العلماء أن الخريطة الجينية عقبة أمام نظرية داروين (فالتطور يمكن أن يحدث لينتج أنواعًا من نفس الفصيل ... فيمكن أن يتطور الطير إلى نوع آخر من الطير (micro evolution)، لكن لا يمكن أن يتطور فصيل إلى فصيل أفضل؛ أي لا يمكن أن يتطور طير ليصبح إنسان مثلا (macro evolution)[٢].

القاضي

كيف هذا؟

العلوم

لكل نوع حيواني خريطة جينية خاصة به، ويستحيل أن يخرج نوع من نوع آخر بسبب اختلاف هذه الخريطة الكروموسومية[٣].

علا صوت الحاضرين في القاعة فقرع القاضي المنصة، ثم نظر إلى آنسة علوم قائلا:

---

١ - Ajit Varki١ and Tasha K. Altheide, Comparing the human and Chimpanzee genomes: searching for needles in a haystack, Genome research, CHS press, ٢٠٠٥, ١٥: ١٧٤٦-١٧٥٨

٢ -Dr. John Morris, President of ICR, http://www.icr.org/article/١١٥٦/٢٨٥/

٣- دكتور مصطفى محمود، حوار مع صديقي الملحد، موقف الدين من التطور، دار المعارف، ١٩٩٧، صفحة ١١٠.

القاضي

إذن فنظرية داروين خاطئة!

العلوم

لا نستطيع الجزم بهذا، فكما ذكرت أوجه الاختلاف بين العلماء كثيرة في هذا الصدد، فمثلا أبسط أنواع البكتيريا لها أقل من ٥٠٠ جين، لدى الإنسان حوالى ٢٢٠٠٠ جين، ولكي تتطور البكتيريا لتصبح إنسانًا لا بدَّ أن يكون للكائنات الحية القدرة على إضافة جينات حتى يرتفع عدد الجينات من ٥٠٠ إلى ٢٢٠٠٠، يرى مؤيدو نظرية داروين أن هناك آليات قليلة لإضافة جينات جديدة لتطور الكائنات للأصلح ومن أهمها "ازدواجية الجينات"، "أو "gene duplication"[١]، بينما يرى معارضوها أنه لا توجد على الإطلاق آلية وراثية لإضافة جينات للتطور[٢]، فالكائن الأقل إذا أعطيته جينات أكثر بغرض تحويله إلى كائن أفضل لن يرتقي، ولن يغير فصيله، ولكن هذا سيؤدي فقط إلى إمراضه، الطفرات الوراثية Mutations التي تعتمد عليها نظرية التطور تغير الجينات الموجودة ولا تضيف جينات جديدة بدون إحداث أمراض ولن

١- http://www.biology-online.org/dictionary/Gene_duplication
٢- http://www.darwinconspiracy.com/article_٢_rev٢.php

تغير الفصيل، هذا فضلا عن أنها عشوائية ونادرة الحدوث وتأثيرها الإجمالي ضار على الكائنات[1].

المدعي

ولكن يا آنسة علوم لقد نجح العلماء في تغيير جينات حشرة اسمها ذبابة الفاكهة[2] داخل المعامل، وأنتجوا سلالة مختلفة تمامًا عما كانت عليه.

العلوم

لي بعض التحفظات فيما قلته يا سيادة المستشار، أولا: أن الذبابة ظلت ذبابة ولم تتحول إلى شيء آخر، هذا فضلا عن أن ذبابة الفاكهة مثل سائر الحشرات لها جناحان وستة أرجل، ولكن بعد عملية التحور أصبح لديها أربع أجنحة وثمانية أرجل مثل العناكب والعقارب، فالبعض يرى أن ما حدث لها هو أنتكاس للفصيل وليس ترقيًا[3].

قام الصبي نور من بين الحاضرين في أول القاعة قائلا:

نور

لأن البشر محدودون في تفكيرهم لم يستطيعوا أن يحدثوا أي ترقٍّ حتى لذبابة!

١- Bert Thompson, Neo-Darwinism: A look at the alleged genetic mechanism of evolution, Apologetics Press, ١٩٧٧

٢-لقد وقع الاختيار على ذبابة الفاكهة لأن كل ١٥ يومًا ينتهي جيل ويبتدئ جيل جديد، وبالتالي يكون لدى العلماء حوالي ١٨ جيلا للتجربة في المعمل في فترة بين ٥ إلى ٦ أشهر.

٣- دكتور مصطفى محمود، برنامج العلم والإيمان، حلقة نظرية التطور.

قام أحد الحاضرين قائلا:

أحد الحضور

أنا لست مع نظرية التطور... لأن هذا يعني أننا ربما نتطور إلى ما هو أفضل بعد مرور زمن ما من الوقت الراهن، .. وبذلك يكون الإنسان مجرد حلقة من مراحل تطور الكائنات! وهذا تقليل من شأن الإنسان!

قامت امرأة بين الحاضرين لتقول بقلق:

امرأة بين الحاضرين

وماذا سيحدث للجنس البشري كله في حالة وجود كائنات متطورة عنه ومتفوقة عليه؟ هل سيستمر أم سينقرض؟ وإذا استمر... هل سيعمل عند هذه الكائنات المتفوقة بالسخرة أم سيأخذ مكانًا بجانب قفص الشمبانزي في حديقة الحيوان!

نور

وكيف يكون الأنسان خليفة الله على الارض اذا ظهر عليها كائنات متميزون عنه؟

العلوم

أنا لا أعلم ماذا سيكون مصيركم، ولا أملك أدنى مشاعر لكي أرثي حالكم أيها البشر إن صحت هذه الظروف...

علا صوت الحاضرين بالقاعة فقرع القاضي المنصة حتى هدأت ثم قال:

القاضي

آنسة علوم، ما حجم المعلومات المتوفرة داخل الخلية الحية؟

العلوم

الشفرة الجينية genetic code في الخلية الحية تحتل أقل من واحد على مليون من المليليمتر المكعب وإذا تم بسطها سيصل طولها إلى مترين، وفي هذين المترين لدينا ١٨,٦ بليون قاعدة كيميائية وهذه القواعد منظمة بدقة وترتيب حتى إذا ما غيرنا وضع إحدى هذه القواعد النيتروجينية أو الكيميائية سيتشوه هذا الكائن أو يمنع وجوده كلياً.[١]

وهناك ما يكفي من المعلومات في الحمض النووي داخل الخلية البشرية الواحدة لملء موسوعة من مليون صفحة[٢].

القاضي

هل لديك تفسير كيف توافرت الصفات الوراثية لدى الجينات؟ ... من أين جاءت هذه المعلومات حتى تنتقل من جيل إلى جيل؟

العلوم

عندما سُئل جين ماير – عالم الكمبيوتر الذي وضع خريطة الجينوم – عن أصل الشفرة الوراثية أجاب: "نحن لا نفهم

---

١ - Dr. Zagloul El Naggar, Professor of Earth, Science and Geology, "Do you believe?" documentary, ٣٠:٥٢, ٢٠٠٧, Produced by: Salma Hassaballa.
٢ - Harun Yahya, The collapse of the theory of evolution In ٢٠ questions, http://harunyahya.com/en/works/٩٦٤/the-collapse-of-the-theory/chapter/١٢٤٠٦.

أنفسنا بعد، لا يزال هناك غيب أشبه بالسحر.... ولكن الذي يذهلني حقًّا أن النظام معقد للغاية، وكأنه مُصمم"[1].

دين

لو سألتم أنفسكم كيف توافرت المعلومات داخل الجين لوجدتم إجابة واحدة وهي الله ... لأن من واقع خبراتكم اليومية أنتم تعلمون أنه لايمكن العدم أن يوفر لكم معلومات!

المدعي

أوليس الكمبيوتر يوفر المعلومات؟

دين

لو استمرنا هذا التشابه يا سيادة المستشار وقلنا إن الخلية مثل الكمبيوتر، فلا يستطيع الكمبيوتر أداء أي مهمة إلا إذا قام مبرمج بإعطائه مجموعة من الأوامر أو المعلومات في هيئة أكواد "برمجة". وإذا أراد المبرمج أن يطور هذا الكمبيوتر ليؤدي وظيفة أخرى مثلا فلا بدّ من تدخله لإعطائه أوامر ومعلومات أخرى... فالكمبيوتر بغير مبرمج جثة هامدة.

المدعي

ولكن الجينات الذكية بدأت بخلية بدائية بدون الاحتياج إلى مصمم.

---

١ -Tom Abate, San Francisco Chronicle, "Human Genome Map Has Scientists Talking About the Divine." February,١٦, ٢٠٠١.

العلوم

لا يوجد خلية بدائية، كما تصور داروين، فحتى خلية البكتيريا تتكون من آلات في غاية الدقة والتعقيد، فمثلا تحتوي بعض أنواع البكتريا (*E. Coli* و*Salmonella*) على خطاف وعمود إدارة ومحرك مروحة، تبدو هذه الأجزاء وكأنها وضعت بتصميم دقيق حتى يتسنى للخلية السباحة عندما تدور هذه الأجزاء كالمروحة[١]. كما ترى، فأبسط الخلايا تعمل وكأنها مصانع مزودة بأعقد الآلات وأجهزة الكمبيوتر والبرامج فتبدو وكأنها مصممة من عقل خبير حكيم.

القاضي

هل فسرت نظرية داروين سبب وجود السماء والأرض، الشمس والقمر... أي سبب وجود الكون كله؟

العلوم

نظرية داروين لم تفسر خلق الكون ولكنها اهتمت فقط بتطور الكائنات الحية وتنوعها على الأرض.

المدعي

ولماذا نتصور أن الكون له بداية؟ لِمَ لا يكون هذا الكون أزليًا أبديًا وبالتالي لا يوجد سبب لإيجاده؟

١- Michael J. Behe is an American biochemist, author, and intelligent design advocate. He currently serves as professor of biochemistry at Lehigh University in Pennsylvania.

العلوم

لقد أثبت القانون الثاني للديناميكا الحرارية Entropy Principle أن الكون له بداية، إذ أقر هذا القانون أن الحرارة تنتقل من الساخن إلى البارد حتى يتعادل المستويان فيتوقف التبادل الحراري، ولو كان الكون أبديًا أزليًا بدون ابتداء لكان التبادل الحراري قد توقف في تلك الآباد الطويلة المتاحة وبالتالي لتوقفت كل صور الحياة... ولبردت النجوم وصارت بدرجة حرارة الصقيع والخواء حولها وانتهى كل شيء[1].

القاضي

هل لديك نظرية علمية تفسر لنا وجود الكون كما نراه الآن؟ وكيف بدأ؟

العلوم

نظرية الانفجار العظيم يا سيادة القاضي تفسر لنا بداية الكون ووجوده كما نراه الآن.

القاضي

كيف ذلك؟

العلوم

حسب نظرية الانفجار العظيم، منذ حوالي ١٧ بليون عام نشأ الكون من حالة كثيفة وحارة جدًا وكان حجمه بحجم

---

١ – دكتور مصطفى محمود، رحلتي من الشك إلى الإيمان، الله، دار المعارف، ١٩٩٧، صفحة ١٧ — ١٨.

رأس المسمار، ثم بدأ بالتمدد والتوسع دافعًا المجرات بعيدًا عن بعضها حتى أصبح الكون كما نراه الآن[١].

المدعي

يمكن أن يحدث هذا الانفجار العظيم وينشأ الكون بدون الحاجة إلى إله.

دين

وهل يمكن أن نتوقع من انفجار فوضوي أن يأتي بكون بهذه الدقة والتصميم الرائع؟

العلوم

الدقة والتصميم الرائع للكون لهما تفسيران لدى العلماء، رأى مجموعة من العلماء أن هذا التصميم الرائع للكون إنما هو دليل على خالق قدير، أما المجموعة الأخرى فقد رأت أن كوننا واحد ضمن أكوان عديدة أخرى مع فارق واحد وهو أنه تصادف مع كوننا وجود الظروف الملائمة لوجود الحياة، وهذه النظرية تسمى بـ (الأكوان المتوازية) "Parallel universes"or"Multiverses"[٢]

---

١ - ولقد قامت المنظمة الأوروبية للأبحاث النووية CERN بعمل جهاز اسمه: "مصادم الهدرون الكبير" HLC يقع على الحدود الفرنسية السويسرية بالقرب من جينيف، وكلفته أكثر من ١٠ مليارات دولار، وذلك لمحاكاة ما حدث اثناء الانفجار العظيم حتى يتوصلوا إلى حقيقة نشأة الكون وهم يرون أن هذه التجربة قد تكشف تفاصيل نشأة النجوم والكواكب، وما يعرف بالطاقة المعتمة، في نفس الوقت يرى آخرون أن هذه التجربة قد تكون بمثابة عبث مع الطبيعة، وقد تاذن لاكتشاف يوم القيامة بدلا من اكتشاف بداية الخلق.

٢- Antony Flew, There is a God, Chapter ٦, HarperColins e-books, Page ١١٥.

قام رجل في آخر القاعة قائلا:

أحد الحاضرين

حتى لو تعددت الأكوان فهذا لا ينفي وجود الله.

قام رجل في الثلاثين من عمره في منتصف القاعة يقول:

رجل في الثلاثين

إنها لحماقة أن نفسر وجود كون واحد بأكوان عديدة، فإذا كان الكون الواحد يتطلب تفسيرًا، فالأكوان المتعددة تحتاج إلى تفسير أكبر بكثير، لقد تضاعفت المشكلة بعدد الأكوان المطروحة، أنا مدرس وهذا يذكرني بتلميذ عندي تعلل بأنه لم يأت بواجبه المدرسي لأن الكلب أكله، وعندما كذبته استبدل التلميذ القصة الأولى بقصة جديدة وهي أن مجموعة من الكلاب هي التي أكلت الواجب[1].

القاضي

وهل لنظرية الأكوان المتوازية أي دليل يؤكدها؟

العلوم

لا يوجد حاليًا أي دليل لدعم الأكوان المتوازية[2]

قام الصبي نور في أول القاعة قائلا بأسى:

١- Antony Flew, There is a God, Chapter ٨, HarperColins e-books, Page ١٣٧.
٢- Antony Flew, There is a God, Chapter ٦, HarperColins e-books, Page ١١٩.

نور

إنه أمر مؤسف! .... إنهم أنكروا الله بحجة أنهم لم يجدوا دليلا، وعللوا هذا بنظرية أخرى ليس لها أيضًا أي دليل لديهم.

المدعي

أنا أرى نظرية "الأكوان المتعددة" منطقية جداً، ولكن العلماء محتاجون بعض الوقت لإثباتها.

نور

إذا افترضنا يا سيادة المستشار بأن الكون دون إله، إذن من أبقاه ملايين السنين؟

المدعي

ولِمَ يحتاج من يبقيه؟

دين

قد يصطدم المشاة والركبان على أرضنا وهم أصحاب عقل وبصيرة فما بالك هذه الكواكب في هذا الفضاء الفسيح وهي في حركة مستمرة، أيعقل ألا تزيغ أو تصطدم من تلقاء نفسها؟[1] ﴿وَالشَّمْسُ تجري لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حتى عَاد كَالْعُرْجونِ الْقَديمِ لا

١- الشيخ محمد الغزالي، عقيدة المسلم، وجوده، نهضة مصر، الطبعة العاشرة ٢٠٠٧، صفحة ١٤.

الشَّمْسُ يَنبغِي لَهَا أن تُدرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحونَ﴾[1].

العلوم

القانون الثاني للديناميكا الحرارية يؤكد أن أي نظام سيئول إلى فوضى ما لم توجد أي خطة خارجية لإبقائه على نظامه.

قالت سيدة في الثلاثين من عمرها في منتصف القاعة:

السيدة

هذا فعلا ما نراه في حياتنا اليومية ... فمن المستحيل أن يبقى شيء على حاله إلا إذا قمت دائمًا بصيانته وترتيبه، فإذا دخلت حجرتي فوجدتها مرتبة ومنظمة سأستنتج على الفور أن هناك فاعلًا يهتم بي.

دين

وإذا دخلت حجرتك ووجدتها مرتبة ومنظمة ومزينة بالزينة والورد ما عساك أن تقولي؟ أن الجمال في الكون من زهور ونقوش على جناح فراشة وعلى ريشة طاووس، والنجوم المرصعة في السماء كاللآلئ والأسماك الملونة في أعماق البحار إنما يصرخ بوجود إله يعتني بخلقه، أي نظرية تعجز عن أن تفسر سبب الجمال البارز في الكون إذا لم تُشِرْ إلى

---

١ -القرآن الكريم، سورة يس ورقمها ٣٦، آية: ٣٨، ٣٩، ٤٠.

إله ... فنظرية داروين فسرت لنا سبب بقاء الكائنات الملائمة للطبيعة (البقاء للأصلح) ولم تفسر سبب بقاء الكائنات الجميلة (البقاء للأجمل)، فإن الجناح المنقوش لا يمتاز بأي صلاحيات مادية ومعاشية عن الجناح الأبيض وليس أكفأ في الطيران[1]!

المدعي

الجمال في الكون لا يبرر وجود إله! فالوردة جميلة؛ لأنها ببساطة جميلة، وأعمال شكسبير وبيتهوفن الجميلة دليل على براعة شكسبير وبيتهوفن، وليست دليل على وجود خالق لهما[2].

دين

لو كان الجمال صفة ناشئة من الأشياء وحدها ما كنا رأينا ذبول وردة، ولو كانت الأعمال الجميلة نابعة من الفنانين فحسب، ما فقد فنان موهبته إثر حادث أو مرض أو شيخوخة.... إن الجمال هبة يعطيها الله لخلقه لفترة ثم يأخذها وقتما شاء.

المدعي

إنما المؤمنون يروا في هذا الكلام مسكنًا لحقدهم على الموهوبين، وذلك بإسنادهم الموهبة لغير صاحبها[3].

١- دكتور مصطفى محمود، حوار مع صديقي الملحد، موقف الدين من التطور، دار المعارف، ١٩٩٧، صفحة ١٠٨.

٢- Richard Dawkins, The God Delusion, Chapter ٣,Bantam Press, ٢٠٠٦, Page ٨٦.

٣- Richard Dawkins, The God Delusion, Chapter ٣,Bantam Press, ٢٠٠٦, Page ٨٧.

قام الصبي نور قائلا:

نور

المدعي حصر الموهبة على غير المؤمنين ... وحصر الحقد على المؤمنين دون أي سند أو دليل.

القاضي

هل يوجد تفسير علمي للجمال يا آنسة علوم؟

العلوم

أنا لا أتذوق الجمال ولا أراه، فالألوان عندي ما هي إلا موجات لا تختلف إلا في طولها، وذبذبات متفاوتة في ترددها[1]، ولكن ما يبهرني حقًّا هي قوانين الطبيعة.

القاضي

ماذا تقصدين بقوانين الطبيعة؟

العلوم

أنا ببساطة أعني النظام في هذا الكون المحكوم بقوانين دقيقة ومُحكمة، لا تتبدل ولا تتغير مثل قوانين نيوتن للحركة وقوانين الحفاظ على الطاقة وقانون أرشميدس للطفو وغيره من قوانين.

١-دكتور مصطفى محمود، أينشتين والنسبية، دار المعارف، صفحة ٧.

دين

﴿... فَلَن تجـد لِسُـنَّت اللَّـهِ تبـديلا وَلَـن تجـد لِسُـنَّت اللَّـهِ تحويلا...﴾[1].

القاضي

وما هو الذي يبهرك بالتحديد؟

العلوم

الذي يبهرني ليس فقط هذا النظام المتقن في الطبيعة، ولكن هذه القوانين التي تحكم هذا النظام بدقة حسابيًا بالمعادلات الرياضية وارتباطها بعضها ببعض[2]. إنه حقًا مثير للدهشة والتأمل.

القاضي

أي قانون له من يسنه، إذن من سن هذه القوانين؟!

العلوم

هذا هو نفس السؤال الذي سأله نيوتن وآينشتاين وهازنبرج، وأجابوه.

القاضي

وماذا كانت الإجابة؟

١- القرآن الكريم، سورة فاطر، رقمها ٣٥، آية ٤٣.

٢- Antony Flew, There is a God, Chapter ٥, HarperColins e-books, Page ٩٦

العلوم

كان جوابهم حكمة الله[1].

خيم الهدوء على القاعة، قال المدعي العام للآنسة علوم:

المدعي

ولكن يا آنسة علوم.... لا تنكري أن معظم علماء هذا العصر يتفقون مع نظرية التطور ولا يؤمنون بإله لهذا الكون!

العلوم

على الرغم من وجود البعض الذين يؤمنون بالله ونظرية التطور لداروين في آنٍ واحد، لا أستطيع أن أنكر أن ما جاء به داروين من ١٥٠ سنة دفع كثيرًا من العلماء إلى التشكك في وجود الله، ولكن في أواخر القرن الماضي وأوائل هذا القرن بدأ الكثير من العلماء يرجعون إلى الله من جديد بعد ما أظهرت المزيد من الاكتشافات العلمية أن الطبيبعة العمياء لا يمكن أن تكون وراء هذا التصميم الرائع في الكون، وفي عام ١٩٩٣ اجتمع نخبة مميزة من العلماء، وقد جاءوا من مراكز أكاديمية عالمية وجامعات مرموقة بما في ذلك كامبريدج وميونيخ وجامعة شيكاغو، وقد أعلنوا استياءهم الشديد من

١- Antony Flew, There Is a God, Chapter ٥, HarperCollins e-books, Page ٩٦.

نظرية داروين بسبب الاكتشافات العلمية الحديثة، وأعربوا عن استعدادهم للنظر في إمكانية أن يكون للكون مصمم[1].

القاضي

دعنا من هذا الكلام ولنركز على محور القضية.. آنسة علوم هل توجد أي أبحاث علمية لإثبات وجود الله؟

العلوم

أجل يا سيادة القاضي.

القاضي

ما هو البحث؟ وبماذا أسفر؟

العلوم

لقد قامت مؤسسة تمبلتون "Templeton" بعمل بحث كلفته ٢,٤ مليون دولار، تحت قيادة الدكتور هربرت بنسون، طبيب القلب في المعهد الطبي للعقل والجسم "Mind/body Medical institute" بالقرب من بوسطن، دكتور بينسون وفريقه قاموا بملاحظة ١٨٠٢ مريض مجهزين لعملية القلب المفتوح في ٦ مستشفيات، لقد تم تقسيم المرضى إلى ثلاث مجاميع، المجموعة الأولى تلقت دعاء بالشفاء دون أن تعلم، أما المجموعة الثانية لم تتلق أي دعاء (Control group)،

١- Conference at the California beach town of Pajaro Dunes, ١٩٩٣. Present were scientists and philosophers who would later become well known themselves, such as biochemist Michael Behe, author of *Darwin's Black Box* (١٩٩٦), mathematician and philosopher William Dembski, author of *The Design Inference* (١٩٩٨) and *Intelligent Design* (١٩٩٩), and developmental biologist Jonathan Wells, author of *Icons of Evolution* (٢٠٠٠).

والمجموعة الثالثة تلقت دعاء وهي تعلم وذلك لمراقبة ما إذا كان هناك عوامل نفسية تؤثر في صحة المريض عن طريق الدعاء، قام بالدعاء مصلون في ثلاث كنائس، كنيسة في ولاية مينيسوتا، والثانية في ولاية ماساشوستس، والثالثة في ولاية ميسوري، جميع الكنائس بعيدة عن المستشفيات الثلاثة، ولقد تلقى المصلون الاسم الأول وأول حرف من اسم العائلة (Surname) لكل مريض سيدعون له بالشفاء. نشرت نتائج هذه التجربة في جريدة "أمريكان هارت" في أبريل، ٢٠٠٦، وكانت النتائج صادمة للغاية[١].

القاضي

وماذا كانت النتيجة؟

العلوم

لم يوجد أي فرق بين المجموعتين الأولى والثانية، أي المجموعة التي تلقت الدعاء دون علم والمجموعة التي لم تتلقَ أي دعاء، أما المجموعة الثالثة أي الذين علموا أنهم كانوا المستفيدين بالدعاء عانوا من مضاعفات أكثر بكثير من المجموعتين الأخريين.

القاضي

ولِمَ؟

١- Richard Dawkins, The God Delusion, Chapter ٢,Bantam Press, ٢٠٠٦, Pages ٦٢ – ٦٣ -٦٤.

العلوم

لقد رجّح الأطباء أن حالتهم النفسية تدهورت ظنًّا منهم أن حالتهم ساءت إلى حد الحاجة إلى الدعاء، وقد أثّر ذلك سلبيًّا على حالتهم الصحية.

المدعي

إذا كان الله لا يجيب الدعاء فعلى أي أساس نؤمن به؟

دين

هذه تجربة فاسدة! يعجز فيها الباحثون عن الاضطلاع على قلوب الدعاة!

القاضي

وما دخل قلوب الدعاة يا دين بالدعاء؟

دين

أثناء الدعاء لا بدّ من حضور القلب، فيكون الداعي الحاضر القلب مستشعرًا عظمة من يدعوه، إنه اعتراف من الإنسان بعجزه، وأنه لا حول له ولا قوة إلا بالله، قال صلى الله عليه وسلم: " ...واعلموا أن الله لا يستجيب دعاءً من قلب لاهٍ " [١]

١- رواه الترمذي، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢٤٥).

المدعي

وهل نتوقع من الذين يترددون على بيوت الله غير ذلك؟

دين

خبايا القلب تظلّ في القلب يا سيادة المستشار.

القاضي

أكمل يا سيد دين.

دين

ولا بدّ أيضًا أن يكون الداعي مخلصًا في دعائه، وصادقًا فيه، وملحًا في طلبه لشدة الحاجة إليه، فقد قال الله في كتابه العزيز: ﴿فَادعُوا اللَّهَ مُخلِصِينَ لَهُ الدِّينَ....﴾[1] وقال تعالى: ﴿أمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ...﴾[2]، فليس من اليسير أن نتوقع ذلك لكل من دعا لأناس لا يعرف عنهم إلا الحروف الأولى من أسمائهم.

ولا بدّ للداعي أن يكون حسن الظن بالله، قال صلى الله عليه وسلم: "يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي..."[3]. وفي حديث أبي هريرة: "ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة"[4].

١-القرآن الكريم، سورة غافر ورقمها ٤٠، آية ١٤.

٢- القرآن الكريم، سورة النمل ورقمها ٢٧، آية ٦٢.

٣- رواه البخاري (٧٤٠٥) ومسلم (٤٦٧٥).

٤- رواه الترمذي، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢٤٥).

أما أن ندعوا الله لنجريه فهذا ليس من الإيمان في شيء، فقد نهى الكتاب المقدس عن ذلك قائلا:

"لا تُجرِّبوا الرَّبَّ إلهَكُمْ كَمَا جرَّبْتُمُوهُ فِي مَسَّةَ"[1].

"قَالَ لَهُ يَسُوعُ: مَكْتُوبٌ أيْضًا: لا تُجرِّب الرَّبَّ إلهَكَ"[2]

وقال الله في كتابه الكريم: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾[3]، أي من يعبد الله على شك خسر الدنيا والآخرة!

القاضي

يشهد دين بفساد التجربة... فما رأي العلم في ذلك؟

العلوم

لا يمكن أن نثق في مثل هذه الأبحاث كثقتنا بتجاربنا الفيزيائية والكيميائية، ذلك لأنه سيظل دائمًا بعدًا لا نراه، إما بعد معنوي أو مادي أو الاثنان معًا.

القاضي

كيف؟

١- الكتاب المقدس - سفر التثنية - اصحاح ٦ ، آية رقم ١٦ .

٢- الكتاب المقدس - إنجيل متى- أصحاح ٤، آية رقم ٧.

٣- القرآن الكريم، سورة الحج ورقمها ٢٢، آية ١١.

العلوم

أما البعد المعنوي فهو ما تخفيه الأنفس، فمثلا إذا سألت إنسانًا عن مدى إيمانه فهل إقراره بمدى إيمانه سيعكس فعلًا مدى إيمانه؟

وإذا سألته عن صدقه، فإذا أجاب بنعم، فهل يعني ذلك أنه صادق؟ إذا كان كذابا سيقول: "أنا دائمًا صادق"؛ لأنه كاذب بطبعه!

القاضي

وما هو البعد المادي الذي قد يغفله هذا النوع من الأبحاث؟

العلوم

على سبيل المثال عندما نقارن الأمم ببعضها والعلاقة بين التدين ومعدلات الجريمة وما شابه ذلك، لنأخذ أمريكا وكندا كمثال، أمريكا غالبا بلد أكثر تدينًا من كندا، وأمريكا أيضًا بها جرائم عنف أكثر من كندا، وقد نقول: حسنًا، انظروا فالمتدينون أكثر عنفًا، بالطبع في الحقيقة المتدينون ليسوا أكثر عنفًا، ولكن الدستور الأمريكي ينص على أنه من حق المواطن حمل السلاح، حتى إذا قامت الحكومة بقهر الناس فيمكن للناس أن تنهض ضد الحكومة، هذا يعني المزيد من السلاح، وأمريكا بها العديد من المشكلات بسبب إتاحة السلاح، وإطلاق النار في المدارس لا يحدث لأن هؤلاء

يذهبون للصلاة في الصباح، ثم يذهبون لإطلاق الرصاص على الناس، هذا يحدث لأن السلاح متاح لهم. لذلك إذا قمنا بهذا التعميم الشامل بأن أمريكا بلد متدين لذلك بها مزيد من جرائم العنف، وكندا أقل تدينًا ولهذا ليس بها عنف، إذن لقد أغفلنا في بحث كهذا أسبابا أخرى تؤثر على نتيجة البحث[١].

القاضي

هل يوجد لديك أي تجارب مثبت صحتها في هذا الصدد؟

العلوم

واي كروموزومال آدم "Y-Chromosomal Adam"

وميتوكوندريال إيف "Mitochondrial Eve"

القاضي

برجاء الإيضاح.

العلوم

واي كروموزومال آدم وميتوكوندريال إيف هما نظريتان علميتان مثبتان، النظرية الأولى بيَّنت أن كل رجل على قيد الحياة اليوم هو من سلالة رجل واحد، ففي عام ١٩٩٥نشرت مجلة (ساينس العلمية)[٢] journal Science نتائج دراسة تتبع

١- Dr. Matthew Whoolery, Psychology Unit heat, AUC, "Do you believe" documentary, ٥٥:٥١, ٢٠٠٧, Produced by: Salma Hassaballa.

٢- Dorit, R.L., Akashi, H. and Gilbert, W. ١٩٩٥. "Absence of polymorphism at the ZFY locus on the human Y chromosome." Science ٢٦٨:١١٨٣–١١٨٥.

الأصل الذكري للبشرية من خلال دراسة الحمض النووي الشهير (دي إن إيه)، وتتبع تسلسل الصفات الوراثية والجينية على الكروموزوم الذكري[1]

"Y-Chromosomal Adam" لثمانٍ وثلاثين رجلا من مجموعات عرقية مختلفة، ولدهشتهم لم يجد الباحثون أي اختلاف بين المجموعات العرقية على الإطلاق، وقد تم إجراء المزيد من البحوث، وتقرر أن كل رجل على قيد الحياة اليوم ينحدر فعلا من رجل واحد. يشير إليه العلماء "بواي كروموزومال آدم".

القاضي

وماذا عن النظرية الثانية "ميتوكوندريال إيف"؟

العلوم

والنظرية الثانية بيَّنت أن كل رجل وامرأة على قيد الحياة اليوم ينحدر من امرأة واحدة.

في يناير ١٩٨٧ نشرت ريبيكا كان Rebecca Cann ومارك ستونكينج Mark Stoneking، والان ويلسون Allan Wilson بحثًا أظهر أن الحمض النووي داخل خلايا جميع البشر يعود

١- دكتور صبري الدمرداش، للكون إله، الأمسية الخامسة، الطابعة الثانية ٢٠٠٦، صفحة ٦٠٦، ٦٠٧.

إلى امرأة واحدة، كانت تعيش من ٢٠٠,٠٠٠ سنة، ويشير إليها العلماء بميتوكوندريال إيف[1].

قام نور من بين الحاضرين قائلا:

نور

إذن هذا دليل على وجود آدم وحواء اللذين جاء ذكرهما في الكتب المقدسة!

أحد الحاضرين

هذا الاكتشاف يعد قنبلة في وجه نظرية التطور.

العلوم

وجود آدم أو حواء لا ينفي نظرية التطور ولا يدعمها.

المدعي

دعني أسأل آنسة علوم أولا هل كشفت هذه البحوث عن المكان الذي كان يعيش فيه هذا الأب الذي ينحدر منه الرجال والأم التي انحدر منها البشر؟

العلوم

تشير الأبحاث أنهما كانا يعيشان في نفس المنطقة، تقريبا في شمال غرب أفريقيا.

---

١ - Rebecca Cann, mark Stoneking, Allan Wilson, Nature ٣٢٥, ٣١ - ٣٦, ١٩٨٧.
http://io٩.com/٥٨٧٨٩٩٦/how-mitochondrial-eve-connected-all-humanity-and-rewrote-human-evolution

المدعي

لقد ذكرت يا آنسة علوم أن الأم التي انحدر منها البشر كانت تعيش من ٢٠٠,٠٠٠ سنة، هل الأب الذي انحدر منه جميع الرجال كان يعيش في نفس الحقبة لكي يتقابل معها؟

العلوم

في الحقيقة لقد أشارت الأبحاث أنه عاش من ١٤٢,٠٠٠ سنة.

المدعي

إذن هذه الأبحاث تؤكد أن حواء لم تكن معاصرة لآدم إذ جاء بعدها بحوالي ٥٠,٠٠٠ سنة.

العلوم

يا سيادة المستشار، لم تستقر هذه الدراسات نهائيًا على ميعاد مجيء آدم، فمثلا في عام ٢٠٠٠ حدد تومسون وفريقه

(Thomson *et al.*, ٢٠٠٠) أن آدم كان يعيش من ٥٩,٠٠٠ سنة ولكن في عام ٢٠١١ قام كروسياني وفريقه (Cruciani et al., ٢٠١١) بأبحاث أشار فيها أن آدم كان يعيش من ١٤٢,٠٠٠ أي في زمن أقدم بكثير مما كان يظنه العلماء من قبل[١].

---

١ -Fulvio Cruciani,١,* Beniamino Trombetta,١ et al., A Revised Root for the Human Y Chromosomal Phylogenetic Tree: The Origin of Patrilineal Diversity in Africa, Am J Hum Genet. ٢٠١١ June ١٠; ٨٨(٦): ٨١٤–٨١٨.

المدعي

ولكن هذه الأبحاث لا تؤكد أن آدم المزعوم كان الرجل الوحيد في زمانه وحواء المزعومة كانت المرأة الوحيدة في زمانها.

العلوم

نحن لا نعلم، ولكن كل ما نعرفه عن يقين أن آدم أو حواء اللذين تشير إليهما الأبحاث انحدر من نسلهما هؤلاء البشر، فربما تزامن مع آدم رجال وتزامن مع حواء نساء آخرون، ولكن لم يَعِشْ لهم حمض نووي يشير إليهم.

القاضي

إذن وجود آدم وحواء كأب وأم للبشرية بأسرها غير مثبت علميًّا إلى أن يثبت تزامنهما معًا مع عدم تزامن آخرين معهم.

قام أحد الحاضرين قائلا بيأس:

أحد الحاضرين

لم نستقر على نظرية دارون أيضًا يا سيادة القاضي.

دين

﴿مَا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾[1].

١- القرآن الكريم، سورة الكهف ورقمها ١٨، آية ٥١.

قام رجل عجوز بين الحاضرين ليقول:

أحد الحاضرين

يبدو أننا لن نستطيع أن نصل إلى شيء.

قام شاب من وسط القاعة قائلا في يأس:

شاب بين الحضور

أو حتى نثبت وجود الله بالعلوم.

نور

ولن تستطيع أن تنفيه.

المدعي

ولِمَ لا نستعين بالعلوم في إثبات وجود الله، إما أنه موجود أو غير موجود، إنها مسألة علمية، وأنا أؤمن بقوة العلم، وفي يوم ما سوف تدلنا فروع العلوم على إجابة هذا السؤال، كما دلتنا على التركيب الكيميائي للنجوم حينما ظن العلماء قديمًا أنهم لن يقدروا أبدًا على فهمها[١].

قام الصبي نور:

نور

يا أيها المستشار، كيف تتصور أن البحث في معرفة الخالق يشبه بأي حال البحث في مخلوقه (النجم)؟!

١- Richard Dawkins, The God Delusion, Chapter ٢, Bantam Press, ٢٠٠٦, Page ٤٨.

المدعي

العلم لا يفرق ... العلم دراسات وتجارب وله أدلة إثبات أو نفي أي شيء خالقًا كان أو مخلوقًا.

دين

إن العقل يحكم ببداهة أن الله خالق المادة ليس بمادة، ولا يجب أن يكون؛ لأن المادة لا تخلق مادة، وإذا كان منتهى إدراك الحواس هو المادة المحسوسة فقط فلن يكون الله محل إدراكها[1] وأنت يا سيادة المستشار تذكرني بفرعون حينما ظن أنه بأدواته وحواسه يستطيع أن يصل إلى الله ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبلُغُ الأَسْبَابِ﴾[2].

قام المنطق من بين الحضور ليقول:

المنطق

العلوم من فيزياء وكمياء وبيولوجيا وطب هي في الواقع علوم جزئية تبحث في الجزيئات والعلاقات والمقادير والكميات، بينما الدين علم الكلي يبحث في الكليات والماهيات[3].

قام رجل بين الحاضرين قائلا في ضيق:

١- دكتور صبري الدمرداش، للكون إله، الأمسية الخامسة، المساهم، الطبعة الثانية ٢٠٠٦، صفحة ٤٨٥.

٢- القرآن الكريم، سورة غافر ورقمها ٤٠، آية ٣٦.

٣ -دكتور صبري الدمرداش، للكون إله، المساهم، الطبعة الثانية ٢٠٠٦، صفحة ٢٧.

أحد الحضور

لقد سئمنا الكليشيهات المملة بأن العلم يختص فقط بالكيفيات، ولكن الدين وحده هو الذي يختص بالماهيات[1].

المنطق

إن العلم في الأساس ما هو إلا نوع واحد من المعرفة ضمن وسائل أخرى يملكها الإنسان كالفطرة والبداهة والبصيرة، ولكن للأسف في وقتنا هذا يعتبره البشر كل المعرفة، أنا مندهش أننا نقيم صحة الكتب المقدسة على خلفية أو مرجعية علمية، فمن قال إن العلم هو المقياس المطلق لكل شيء؟ هل العلماء يعلمون كل شيء عن كل شيء؟ فهل يستطيع أي عالم أن يعرف متى سيموت؟ أو ماذا سيحدث له في المستقبل أو كيف يقيس الضمير داخل الإنسان؟

فأنت تريد أن تثبت وجود الله بعلوم وضعية وذلك لفرط انبهارك بها، فوقعت في خطأ من يحاول أن يقيس السماء بالشبر ويزن الحب بالدرهم[2]!

المدعي

كعادتنا كلما يعجز العلم عن تفسير أي شيء نقول: إنه "الله"، إنه جهل من الناس ودعوة إلى التقاعس عن البحث والكشف عن الأمور بالطريق العلمي[3].

١- Richard Dawkin, The God Delusion, Bantam Press, ٢٠٠٦, Page ٥٦.

٢- دكتور مصطفى محمود، الإسلام ... ما هو، الحج، أخبار اليوم، قطاع الثقافة، ٢٠٠٨، صفحة ٣٢.

٣- Richard Dawkins, The God Delusion, Chapter ٤ , Bantam Press, ٢٠٠٦, Page ١٣٣.

دين

هذا افتراء، فالله دائمًا يحث الناس على العلم لأن كل شيئ من حولكم يدل على قدرة الله وبديع صنعه... ستجدوا آيات الله حتى فى أنفسكم، ففى كل شيئاً آيه لو تدبرتم.

﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أنفُسِهِمْ حتَى يَتبيَّنَ لَهُمْ أنَّهُ الْحقُّ...﴾[١].

المدعي

ما تقوله يخالف ما نراه من رجال الدين، فهم دائمًا يستبعدون البحوث العلمية، وكلنا نذكر ما حدث لجاليليو في ١٦٠٠، فقد تحدَّى جاليليو عقيدة الكنيسة الكاثوليكية بإعلانه أن الأرض تدور حول الشمس وليس العكس، فأدانته الكنيسة، واستغرق الأمر أكثر من ثلاثة قرون لكي يعرب الفاتيكان عن أسفه لهذا الخطأ.

دين

لا ينبغي لأحد توجيه اللوم للأديان بسبب أخطاء البشر، فقد يكون ذلك الفعل الخاطئ تفسيرًا خاطئًا لأحد رجال الدين، ولا يمكن أن يكون الخطأ في صحيح النص والعقيدة، إذا نظرنا إلى الأديان السماوية في مصادرها الأصلية نجد

١- القرآن الكريم، سورة فصلت ورقمها ٤١، آية ٥٣.

تعاليمها تحث على العلم والمعرفة، لقد ذكر في الكتاب المقدس: "اسْألوا تُعْطَوْا، اطلبوا تجدوا، اقْرَعُوا يُفْتح لَكُمْ لأنَّ كُلَّ مَنْ يَسْألُ يَأخذ، وَمَنْ يَطْلُب يَجد، وَمَنْ يَقْرَعُ يُفْتح لَهُ"[١].

أول ما نزل من القرآن سورة العلق وبدايتها: ﴿اقرأ﴾. وتوالت الآيات التي ترفع من شأن العلم والعلماء ومنها: ﴿..يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذينَ أوتُوا الْعِلْمَ درَجات﴾[٢] ومنها: ﴿وَيَرَى الَّذينَ أوتُوا الْعِلْمَ الَّذي أنـزِلَ إلَيْكَ مِن رَّبِكَ هُوَ الْحقَّ...﴾[٣] ومنها: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أنَّهُ لا إلَهَ إلا هُوَ وَالْمَلائكَةُ وَأوْلُوا الْعِلْمِ...﴾[٤] فجعل الله أولي العلم إلى جواره مع الملائكة المقربين من حيث قيمة شهادتهم، وهذا منتهى ما يحلم به الإنسان من رفعة المقام، وحث القرآن على طلب العلم في الآية ﴿... وَقُل رَّبِ زِدنِي عِلْمًا﴾[٥] وقال: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الأرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بدأ الْخلْقَ...﴾[٦].

وقال الرسول - عليه أفضل الصلوات - في حثه على طلب العلم: "الحكمة ضالة المؤمن حيثما وجدها فهو أحق بها"[٧].

١-الكتاب المقدس- إنجيل متى - أصحاح ٧ ، آية رقم (٧، ٨).

٢- القرآن الكريم، سورة المجادلة ورقمها ٥٨، آية ١١.

٣ - القرآن الكريم، سورة سبأ ورقمها ٣٤، آية ٦.

٤ - القرآن الكريم، سورة آل عمران ورقمها ٣، آية ١٨.

٥- القرآن الكريم، سورة طه ورقمها ٢٠، آية ١١٤.

٦- القرآن الكريم، سورة العنكبوت ورقمها ٢٩، آية ٢٠.

٧- رواه ابن ماجه في سننه (أ.د أحمد شوقي إبراهيم، موسوعة الرد على الشبهات والافتراءات الموجهة ضد الإسلام - الجزء الأول، صفحة ٩٢).

وقال: "إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له "[1]، وقال:

"... من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهَّل الله به طريقًا إلى الجنة"[2].

كما ترى يا سيادة المستشار فالنصوص الدينية تنادي بالعلم وتشجعه.

قامت سيدة عجوز قائلة:

أحد الحضور

أنتم الآن تناقضون أنفسكم، تارة تصفون العلم بالعجز وتارة أخرى تشجعونه.

قام المنطق من بين الحضور ليقول:

المنطق

لا يوجد تناقض بين التشجيع على العلم وبين ما نقوله أن العلم الوضعي ليس منتهى العلم، فالعلم الوضعي مفيد جدًّا إذا استخدم في الخير، لكن وحده لا يستطيع أن يجيب على جميع تساؤلات البشر مثل سبب قدومهم إلى هذه الدنيا وما الهدف من الحياة.

قال المدعي ضاحكًا:

١- الراوي: أبو هريرة في صحيح مسلم -كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته الجزء ٣ – صفحة ١٢٥٥ – رقم الحديث ١٦٣١.

٢- رواه الإمام ابن ماجه باب ١٧ باب: فضل العلماء والحث علي طلب العلم – رقم الحديث ٢٢٣- عن أبي صالح عن أبي هريرة.

المدعى

ما الهدف من الحياة؟! إنه سؤال بلا معنى مثله مثل "ما لون الطمع"، فهو سؤال مصاغ بلغة سليمة ولكن في النهاية ليس له معنى[1].

المنطق

لقد أدهشتني يا سيادة المستشار، فأنت تظن أن "ما الهدف من الحياة" سؤال بلا معنى!... ومع ذلك فأنت إذا ذهبت إلى السوق فأنت تعلم أنك ذاهب للشراء، وإذا ذهبت إلى النادي فأنت تعلم أنك ذاهب للتريض أو لرؤية بعض الأصدقاء، وإذا ذهبت إلى العمل فأنت تعلم أنك ذاهب لتعمل، وإذا ذهبت إلى البنك فأنت ذاهب لتحصل أو لتدخر بعض المال، وإذا ذهبت إلى السينما فأنت تعلم أنك ذاهب لترفّه عن نفسك... فكل مكان تذهب إليه له هدف وله معنى، ومن لم يعلم سبب مجيئه إلى مكان ما إذن فهو يساق كالحيوان، وأنا أعتقد أن البشر يتميزون عن الحيوان بتحديد أهدافهم.. وأنا لا أظن أنك تريد أن تحط من قدر البشر.

دين

﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ﴾[2]

نظر القاضي إلى المنطق وقال:

---

١ - Richard Dawkins quote, Dawkins is an atheist, a vice president of the British Humanist Association, and a supporter of the Brights movement.

٢-القرآن الكريم، سورة الأنفال ورقمها ٨، آية ٢٢.

القاضي

لماذا لا يستطيع العلم أن يخبرنا عن سبب مجيئنا إلى هذه الدنيا؟

المنطق

لكي أجيب عن سؤالك لا بدّ أن أطرح على الآنسة علوم سؤلاً.

القاضي

اتفضل.

المنطق

يا آنسة علوم تخيلي معي لو العمة "س" قامت بعمل فطيرة تفاح... هل تستطيعين أن تعرفي مكونات هذه الفطيرة؟

العلوم

بالطبع أستطيع أن أعرف مكوناتها ونسب كميات هذه المكونات إذا أخذت عينة منها.

المنطق

هل تستطيعين أن تخبرينا عن السبب الذي دفع العمة "س" لإعداد هذه الفطيرة؟

العلوم (بتردد)

دعني أفكر... فربما تكون أعدتها احتفالا بنجاح ابن أخيها، وربما لأنها تود أن تتذوقها، وربما لأنها ستقدمها هدية لصديقتها وربما... وربما... لا بدَّ أن تفصح العمة "س" نفسها عن السبب لكي أعرف.

المنطق

يا سيادة القاضي، العلم لا يستطيع أن يعرف السبب الذي دفع العمة "س" لعمل الفطيرة، فهل تتوقع منه أن يعرف السبب الذي من أجله خلق الله هذا الكون؟ آنسة علوم قالت إنها تستطيع أن تعرف مكونات فطيرة التفاح ولكن لا تستطيع أن تعرف سبب عمل هذه الفطيرة إلا إذا أبلغتها به العمة "س"، وكذلك العلم يستطيع أن يدرس مكونات الخامات الموجودة في هذا الكون وقوانينه، ولكن لا يستطيع أن يعرف سبب صنعه إلا إذا أبلغنا به خالقه، ولقد أبلغنا بالفعل عن طريق رسالاته[١].

المدعي

وإذا كان الله موجودًا بالفعل لماذا اكتفى بإرسال رسالات نختلف عليها وجعلنا في حيرة من أمرنا... أليس هو قادرًا

١- Professor John Lennox , Oxford University.

على أن ينهي هذا الجدال صراحة ويكشف عن نفسه بصخب لينهي الأمر لصالحه؟![1]

العلوم

أنا لا أستطيع أن أقول لماذا فعل الله هذا أو ذاك فهذا ليس في تخصصي.

المنطق

وأنا أيضًا .... ربما دين يستطيع أن يرد على هذا السؤال.

القاضي

أجب يا سيد دين.

دين

الله قادر على أن ينزل آية من السماء فيؤمن به جميع مَنْ في الأرض، لقد قال الله هذا لرسوله حتى لا يبتئس من الذين كفروا قائلا: ﴿لَعَلَّكَ باخِعٌ نَّفْسَكَ ألا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ إن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّن السَّمَاء آيَةً فَظَلَّت أعْنَاقُهُمْ لَهَا خاضِعِينَ﴾[2].

القاضي

إذن لماذا لم يفعل هذا ليريحنا وينهي القضية؟

١- Richard Dawkins, The God Delusion, Chapter ٢, Bantam Press, ٢٠٠٦, Page ٥٠.

٢- القرآن الكريم، سورة الشعراء ورقمها ٢٦، آية ٣، ٤.

دين

لقد رفض الله أن يُكْرِه الناس على الإيمان، وكان هذا في إمكانه، ولكنه أراد للإنسان أن يكون حراً مختاراً، يختار الكفر أو الإيمان كما يشاء ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ....﴾[1] وقال: "وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ...."[2].

قام نور من بين الحاضرين ليقول:

نور

إذا رأينا أو سمعنا أو تفوحنا الغيب كما ترغب يا سيادة المستشار، سيصبح الإيمان بالله والغيب مسألة حتمية، وسينكمش الإيمان ليتحول إلى مجرد معرفة، وحينئذ سنفقد فضل الجهاد للوصول إلى الله.

خيم الصمت على القاعة ثم قال القاضي:

القاضي

هل لديك أسئلة أخرى لآنسة علوم يا سيادة المستشار؟

المدعي

آنسة علوم، آخر مرة أوجه لك هذا السؤال... هل أنت متأكدة أنك لا تستطيعين أن تثبتي أو تنفي وجود الله؟!

١- القرآن الكريم، سورة البقرة ورقمها ٢، آية ٢٥٦.

٢-القرآن الكريم، سورة الكهف ورقمها ١٨، آية ٢٩.

قام رجلا بين الحاضرين ليقول:

أحد الحضور

أو أن تقولي لنا عن سبب وجودنا في هذه الدنيا؟

العلوم

معذرة هذا أبعد من إمكاناتي.

دين

"لأَنَّ أفْكَارِي لَيْسَت أفْكَارَكُمْ، وَلا طُرُقُكُمْ طُرُقِي، يَقُولُ الرَّبُّ، لأَنَّهُ كَمَا عَلَت السَّمَاوَاتُ عَنِ الأَرْضِ، هكَذا عَلَت طُرُقِي عَنْ طُرُقِكُمْ وَأفْكَارِي عَنْ أفْكَارِكُمْ"[1].

قام المنطق من بين الحاضرين قائلا:

المنطق

عجبت لأمركم أيها البشر! فعلى الرغم من ضآلة علم الإنسان بالنسبة لهذا الكون الهائل، فهو يجادل دائمًا في خالقه!

دين

﴿يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾[2].

القاضي

الشاهد يمكنه الانصراف.

١- الكتاب المقدس- سفر إشعياء- أصحاح ٥٥ ، آية رقم (٩،٨).

٢- القرآن الكريم، سورة الانفطار ورقمها ٨٢، آية (٧،٦).

الفصل السابع

﴿...أليس منكم رجل رشيد﴾[1]

١- القرآن الكريم، سورة هود ورقمها ١١، آية ٧٨.

الفصل السابع

كان الحاضرون في القاعة يشاور بعضهم بعضًا حتى نادى كاتب المحكمة الشاهد التالي.

القاضي

يمكنك استدعاء الشاهد التالي.

المدعي

أنا بحاجة أن أسأل دين بعض الأسئلة الحرجة!

نظر القاضي إلى كاتب المحكمة ثم أعطاه إشارة ليأخذ دين خارج قفص الاتهام.

أخرج كاتب المحكمة دين من وراء القضبان، وخطا دين خطوات واسعة نحو منصة القاضي، ثم قال كاتب المحكمة:

كاتب المحكمة

ارفع يدك وأقْسِم قسم المحكمة.

دين

أقسم بالله العظيم أن أقول الحق.

مشى المدعي ناحية دين، ثم وقف أمامه.

المدعي (بمكر)

إذا كان الله رحيمًا بنا كما تقول... إذن لماذا جعلنا نعاني في هذه الدنيا؟

دين

إن المعاناة هي ضريبة الحرية التي منحها الله للإنسان. فلا معنى للحرية الممنوحة للإنسان دون أن تكون له حرية الخطأ كما تكون له حرية الصواب، وكثير من المعاناة التي يشكو منها البشر من أخطائهم، فإن الله وضع للعالم نظامًا جيدًا يكفل له سعادته، ويجعل قويه عونًا لضعيفه وغنيه بفقيره، فإذا جاء الناس فقطعوا ما أمر الله به أن يوصل وأفسدوا في الأرض، وتعاونوا على الإثم والعدوان فكيف يشكون ربهم إذا حصدوا المر من آثامهم[1]؟

المدعي

وماذا عن الفقر والمرض والموت وتعرضنا للكوارث الطبيعية مثل الزلازل والطوفان والبراكين والعواصف ... ولماذا خلق الحشرات والأفاعي؟

دين

أولا: إن النظر المنصف المحايد سوف يكشف لنا أن الخير في الوجود هو القاعدة، وأن الشر هو الاستثناء، فالصحة قاعدة والمرض استثناء... وبالمثل الزلازل هي في مجملها بضع دقائق في عمر الكرة الأرضية وهكذا، وقد قدّر الله هذا ليبتليكم.

١-الشيخ محمد الغزالي، قذائف الحق، الفصل السابع، دار القلم دمشق، الطبعة الرابعة ٢٠١٠، صفحة ٢٠١، ٢٠٢.

المدعي

ولماذا يبتلينا؟

دين

إن المرء يسهر الليالي في تحصيل العلم، ويتصبب عرقًا ليحصل إلى النجاح المنشود وليتبوأ أحسن المناصب، ولولا هذا التعب ما تذوق حلاوة النجاح، فإن كان ذلك هو القانون السائد في الحياة التي نحياها على ظهر الأرض، فأي غرابة أن يكون ذلك هو الجهاد الصحيح للخلود المرتقب؟

المدعي

أهذه هي فلسفتك في تسويغ المآسي التي تخالط حياة الخلق وتصبير الناس عليها؟

دين

أنت تتعرض للابتلاء لكي تكشف عن معدن نفسك ومعادن النفوس من حولك، فلا يمكن أن نصف النفس بالشجاعة أو الجبن بغير تعرضها للخطر، ولا معنى أن نصفها بالكرم أو البخل بغير تعرضها للحاجة، ولا معنى أن نصفها بالصبر أو الجزع بغير تعرضها للشدة، وليست فقط النفوس تفصح عن سرها وتفشي مكنونها وإنما الأشياء تعرف بمضادها، إذ أنت لا تعرف لذة الشبع بغير ألم الجوع، ولا تقدر نعمة الصحة دون الإصابة بالمرض، ولا يطيب لك منظر جميل ما لم يكن

من طبيعتك أن يسوءك منظر القبيح! ولا تعرف معنى العدل إلا إذا عانيت من الظلم.

المدعي

حسنًا، سوف نقول لأطفال تسونامي إنكم هلكتم لكي تعرفوا معدن نفوسكم التي زهقت!

دين

يا سيادة المستشار، لا يمكن الحكم على رواية بحضور فصل صغير من فصولها، فحياتنا لم تنتهِ بعد، كما أنها بالموت لم يسدل عنها الستار، وإنما ستكون لها فصول أخر، ولا يمكن الحكم من هذا الفصل العابر الذي نعيشه على مغزى الرواية كلها[1].

المدعي

يا سيد دين ... نحن نتكلم عن هذه الدنيا... فلا تأخذنا إلى عوالم لا نلمسها ولا نراها.

دين

حتى هذه الدنيا أنت لا ترى إلا جزءًا صغيرًا منها، إنك تنظر من زاوية واحدة فلا تستطيع أن ترى الصورة كاملة ولا تستطيع أن تدرك الحكمة من وراء الأشياء، فالمرض يخلف الوقاية، والزلزال تنفس عن الضغط المكبوت في داخل الكرة

١- دكتور صبري الدمرداش، للكون إله، الأمسية الخامسة المساهم، الطبعة الثانية ٢٠٠٦، صفحة ٦٥١ – ٦٥٢.

الأرضية، وتحمي القشرة الأرضية من الانفجار، والبراكين تنفث المعادن والثروات الخبيثة وتكسو الأرض بتربة بركانية خصبة، ومن سم الثعبان يخرج الترياق، ومن الميكروب نصنع اللقاح، ومن التجارب يتعلم الإنسان ويثقل معدنه، والذبابة التي تبدو تافهة في نظرك، هذه الذبابة يمكن أن تغير التاريخ! فإنها يمكن أن تنقل الكوليرا إلى جيش، وتكسب معركة لطرف آخر، تتغير بعدها موازين التاريخ كله[1] فأنت فكرك محدود في هذه الدينا وحكمك قاصر فيها ﴿... وَعَسَى أن تكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تعْلَمُونَ﴾[2].

قام شيخ عجوز في التسعين من عمره من بين الحاضرين قائلاً:

الشيخ العجوز

الله أغدق علينا نِعَمًا لا تحصى في الحياة الدنيا، ولكن ما قيمة هذه النعم إذا ما كتب علينا في نهاية المطاف الهلاك والموت، فأنا أهاب الموت وأخافه... إذا وُضعت في مكان ضيق ومظلم في باطن الأرض أعوامًا طويلة أكثر بكثير مما عشته فوق الأرض... كيف يكون في هذا رحمة؟

١- دكتور مصطفى محمود، حوار مع صديقي الملحد، دار المعارف، ١٩٩٧، صفحة ١١، ٢١، ٢٢، ٢٣.

٢- القرآن الكريم، سورة البقرة ورقمها ٢، آية ٢١٦.

دين

إذا كان الله منح البشر الحياة، فهو لا يمكن أن يسلبها بالموت، لأنه الكريم، هكذا وصف نفسه، وهكذا عرفه البشر، والكريم لا يسلب شيئًا أعطاه إلا إذا بدله بأفضل منه... فلا يمكن أن يكون الموت سلبا للحياة... وإنما هو انتقال بها إلى حياة أخرى بعد الموت، ثم حياة أخرى بعد البعث، ثم عروج في السماوات إلى ما لا نهاية، وإذا كنت ترى في وضع جسدك في باطن الأرض قسوة ... فذلك هو إدراكك أنت، ولكن ليست هذه الحقيقة، فالجنين يوضع أيضًا في غرفة مظلمة تكاد تكون في حجمه لمدة تسعة أشهر! لكن هذه الغرفة هي أحشاء أقرب الناس إليه وأحنهم عليه وهي أمه كي يهيأ للحياة الدنيا، فهل تجد في ذلك قسوة على الجنين؟

قام رجل أعمال في الأربعين من عمره وقال باستياء وهو ينظر إلى دين

رجل في الأربعين

أنت تقول إن الموت انتقال إلى حياة أبدية، إذا كان الله محبة وهو الكريم الودود، ألا يتنافى هذا الوصف مع إله يعذب مخلوقاته في الحياة الأبدية هذه؟

دين

لا يوجد أي تناقض بين حقيقة حب الله للبشر وبين معاملته لهم بالعدل والرحمة، ولو أنه ساوى في آخرته بين الظالم

والمظلوم.. بين القتيل والقاتل الذي قتله .. لو أنه فعل ذلك بحجة الرحمة لكان أبعد ما يمكن عن الرحمة.. وعن العدل.. فالمساواة بين غير المتساويين ظلم فادح.. تعالى الله عن أن يقع فيه[1].

قال الله تعالى: ﴿أَمْ حسب الَّذينَ اجترَحوا السَّيِّئَات أن نَّجعَلَهُمْ كَالَّذينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحات سَوَاء مَّحيَاهُم وَمَمَاتُهُمْ سَاء مَا يَحكُمُونَ﴾[2].

قامت امرأة في الأربعين بين الحاضرين ونظرت حولها بتردد وقالت:

امرأة بين الحضور

ولماذا خلق الله أنفسًا خيرة تستحق الرخاء وأخرى شريرة تستحق العذاب؟! لماذا لم يخلق كل الأنفس خيرة؟!

دين

الله لم يخلق أنفسًا خيرة وأنفسًا شريرة... وإنما خلق كل نفس بخيرها وشرها وترك لها حرية الاختيار، فالجميع سواسية، فقد قال الله تعالى في كتابه الكريم:

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾[3] كما هو مذكور فألهمها فجورها وتقواها ولم يقل: فألهمها فجورها أو تقواها.

١- مصطفى محمود، القرآن محاولة لفهم عصري، دار المعارف، الجنة والجحيم، ١٩٩٣، صفحة ٨٢.

٢ -القرآن الكريم، سورة الجاثية ورقمها ٤٥، آية ٢١.

٣-القرآن الكريم، سورة الشمس ورقمها ٩١، آية ٧،٨.

فأنت كالفلاح، تلقي البذور وعلى الله الإنبات، فازرع عمرك إن شئت خيرًا، فإن يد القدرة سوف تنميه لك وردًا يانعًا، أو ازرع عمرك إن شئت شرًا، فإن يد القدرة سوف تنميه شوكًا مؤلمًا.

كما ترون، الله لا يظلم أحدًا وإنما الفرد هو الذي يختار مكانه في آخرته، وما سيحدث للبشر بعد البعث هو أن كل واحد ستلازمه رتبته ودرجته التي حصلها في الدنيا بأعماله لا أكثر، فالذى امتلأ صدره بنار الحقد والغيرة والمكيدة في هذه الدنيا سوف يبعث على ما كان عليه من نار تأكله...

قام نور من مقعده في الكرسي الأمامي وقال بحماس

نور

لقد كان لأحد فلاسفة الإسلام "محمد إقبال" قصيدة جميلة في هذا الموضوع، تحدث فيها عن ملك أخذه في جولة إلى الجنة والجحيم، فوجد الجحيم خالية باردة وفارغة، فقال: هذه لا يمكن أن تكون الجحيم، فالجحيم يجب أن تكون حارة، فأجابه الملك بأن الناس تأتي إلى الجحيم بوقودها[1].

المدعي

ولماذا يحاسب الله الذين يجحدون به والذين لا يشكرونه؟ فهذا يذكرني بمحسن أعطى شحاذًا نقودًا كثيرة، ثم تولى

١- Arnold Yassin Mol interview, Beyond life documentary, ٢٠١١, Produced by: Salma Hassaballa.

هذا الشحاذ دون أن يشكره، فعاد المحسن ليأخذ من الشحاذ ما أعطاه له، وقام بجلده لأنه لم يشكره![1]

دين

وهل تجعل الشحاذ خليفة لك؟!

فالله أكرمكم، إنك تحاسب مَنْ وَلَّيْته بالخلافة عنك، فالحساب ذاته تكريم لك لأنك تحاسب المسئول العاقل. قدركم عند الله أكبر بكثير من شحاذ يتسول .... فهذا الكون بعظمته ودقته خلق للبشر، والبشر ليسوا ذرة ولا هباء في الكون، وأن شأنهم عند الله ليس هينًا بل عظيمًا، وكل اختيار أو عمل تقوم به له قيمة عند الله، ولو لم تحاسَب فأعمالك بخيرها وشرها لن يكون لها ثمن، وبالتالي مشيئتك الحرة لن تكون لها أي ثمن على الإطلاق.

المدعي

ولكن بهذا الحساب ليس لدينا حرية حقيقية في الاختيار... فهذا الموقف يذكرني بالدكتاتور الذي يقول لشعبه: "من حقك أن تقول وتتحدث كما تشاء، ومن حقي أن أزج بك في السجن بعد ذلك!".

أليس هكذا هو الأمر؟ اعتقد وآمن بما تريد، ثم من حق الله أن يلقي بك في غيابات جهنم بعد ذلك!! أين هي تلك الحرية إذن؟![2]

١-من الملحدين العرب.

٢-من الملحدين العرب.

دين

كيف تقارن حاكم دكتاتور بالله! ثم ماذا قدم هذا الدكتاتور لشعبه كي يطيعوه؟! وعلى كل سأتماشى معك في هذا المثل، وتعالَ نتخيل معًا حاكمًا قدم لشعبه كل شيء من ازدهار وحضارة وكبرياء وكرامة، وأغدق عليهم بكل شيء (مع الفارق فهذا لا يساوي شيئًا مما قدمه الله لكم من نعمة الوجود والإدراك والبصر والسمع والصحة والرزق والأولاد و...) وبالرغم من ذلك تمرد فئة خارجون عليه ونشروا الذعر في البلاد، وفسدوا في الأرض، فمن الطبيعي أن يزج بهم في السجون، ولكن من رحمته لم ينل منهم جزاء ما فعلوا، ولكن قام بإنذارهم بكل الطرق والسبل وأمهلهم حتى يتوبوا ويرجعوا، ولو رجعوا لغفر لهم في الحال، ولكنهم عاندوا وصمموا بعد كل ذلك على الخروج عليه، هل من المنطق والعدل أن يساويهم بمن أطاعوه؟!

الحساب لا يتنافى مع الحرية، بالعكس، الحرية بلا حساب تكون فوضى وهمجية، ففي مجتمعاتكم المتحضرة اليوم، كل شخص لديه حرية، ولكن إذا قمت بارتكاب خطأ ما، من سرقة أو رشوة أو جريمة، أو خالفت النظام، ستحاسب وستعاقب بقدر فعلتك.

المدعي

لقد قلت العقاب على قدر الفعل، فهل من العدل أن أعاقب على عدد محدود جدًا من الأعوام قضيتها في معصية فأزج في جهنم في الحياة الأبدية؟

دين

الأعمال لا تقاس بزمن، اكتشاف مصل جديد لعلاج أجيال كثيرة قادمة قد يأخذ فقط بضعة أعوام، واتخاذ قرار لإبادة شعب بأسره قد يأخذ ساعات قليلة.

والحياة الدنيا قصيرة ولكنها تكشف عن معادن النفوس، تمامًا مثلما تدخلون امتحانًا مدته ساعة أو ساعتان فقط، ولكنه يكشف مستوى الفهم والجهد المبذول طوال فترة فصل دراسي أو عام دراسي أو ربما مرحلة دراسية كاملة[1].

قامت امرأة أرستقراطية جالسة في آخر القاعة وقالت:

امرأة أرستقراطية

في العهد القديم يصف (أشعيا) يوم الرضوان[2] قائلا: "وَيَصْنَعُ رَبُّ الْجُنُودِ لِجَمِيعِ الشُّعُوبِ فِي هذَا الْجَبَلِ وَلِيمَةَ سَمَائِنَ، وَلِيمَةَ خَمْرٍ عَلَى دُرْدِيّ، سَمَائِنَ مُمِخَّةٍ"[3].

١- Beyond life documentary, ١:١٦, ٢٠١١, Produced by: Salma Hassaballa.

٢- الدكتور مصطفى محمود، القرآن محاولة لفهم عصري، الجنة والجحيم، مطبوعات مايو، ٢٠٠٢، صفحة ٨٨.

٣- الكتاب المقدس،- سفر أشعياء - اصحاح ٢٥، آية رقم ٦ .

وذكر في القرآن: ﴿مَثَلُ الْجنَّةِ الَّتي وُعِد الْمُتَّقُونَ فيهَا أنْهَارٌ مِّن مَّاء غَيْرِ آسِنٍ وَأنْهَارٌ من لَّبنٍ لَّمْ يَتغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأنْهَارٌ مِّنْ خمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ...﴾[1]

وأنا أكره الخمر واللبن، ولا أجد تلذذًا في حضور الولائم، هل سأسعد في جنتكم هذه المذكورة في كتبكم؟!

دين

الجنة والجحيم أمور غيبية بالنسبة لكم، لا يمكن تصويرها في كلمات من قاموسكم، فكل الغاية في الكتب المقدسة تقريب تلك المعاني المستحيلة بقدر الإمكان، فترى في الآية القرآنية التي ذكرتيها مثلا أنها تبدأ بضرب مثل ﴿مثل الجنة...﴾ وليست الأوصاف الحرفية، ولكن القرآن لا يترككم في ضباب الأمثلة، فما يلبث أن يقطع بالقول الفصل: ﴿فَلا تعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أخفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أعْيُنٍ جزَاء بمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[2] . كذلك قال رسول الله عن الجنة: "...فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر"[3].

وقد قال الله تعالى: ﴿وَعَدَ اللّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جنَّات تجرِي مِن تحتهَا الأنْهَارُ خالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جنَّات عَدنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللّهِ أكْبرُ ذلكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[4].

١-القرآن الكريم، سورة محمد ورقمها ٤٧، آية ١٥.

٢- القرآن الكريم، سورة السجدة ورقمها ٣٢، آية ١٧.

دكتور مصطفى محمود، القرآن – محاولة لفهم عصري، الجنة والجحيم، دار المعارف، ١٩٩٣، صفحة ٨٨ – ٩٢.

٣- صحيح البخاري – باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة – رقم الحديث ٣٢٤٤ – الجزء ٤ – صفحة ١١٨

٤-القرآن الكريم، سورة التوبة ورقمها ٩، آية ٧٢.

والله بعد أن استطرد وصف الجنات يختم الآية قائلا: ﴿..وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾. والمعنى واضح، إن مقام الرضا ... رضا الله أعظم من كل تلك اللذات المادية.

المدعي

هكذا تخدرون الفقراء والمظلومين ليناموا على ظلمهم وفقرهم ويحلموا بالجنة.

دين

ليس أبعد من الخطأ القائل بأن الدين مخدر أو أفيون، الدين صحوة وانتباه ويقظة ومراقبة للضمير في كل فعل، وفي كل كلمة وفي كل خاطر، وليس هذا حال آكل الأفيون، إنما آكل الأفيون الحقيقي هو المادي الذي ينكر الدين هربا من تبعاته ومسئولياته وتكاليفه[1].

المدعي

ولماذا كلفنا الله بأعباء كالصلاة والصيام... وهو الغني ... فهل هو في حاجة إلى صلاتنا هذه؟

دين

أنت الذي في حاجة إلى صلاتك ... فبصلاتك تكون موصولا بخالقك، تكلم الله مباشرة بلا وساطة أو ميعاد،

١- دكتور مصطفى محمود، حوار مع صديقي الملحد، معنى الدين، دار المعارف، ١٩٩٧، صفحة ٣٧.

فأنت تخرج من دنيا التوتر والقلق إلى الحضرة الإلهية وتتصل بعالم الكمال، فتستعيد الطمأنينة والراحة النفسية! فلعلك بصلاتك العميقة تتذكر ولعلك بالعبادة والتوجه تتصل بنبع وجودنا فتستمد منه حياتك.

المدعي

لماذا الحركات إذن في الصلاة، ولماذا لا نكتفي بالخشوع القلبي؟

دين

ولماذا خلق لك الجسد أصلاً.. ولماذا لا تكتفي بالحب الشفوي فتريد أن تعانق وتقبل.. لماذا لا تكتفي بالكرم الشفوي فتجود باليد والمال؟! بل خلق الله لك الجسد إذا كان خشوعك صادقاً فاض على جسدك فركعت وسجدت.. وإن كان خشوعك زائفًا لم يتعد لسانك..[1]

المدعي

نحن مَنْ في حاجة لعبادة الله والصلاة إليه والصلة معه، ونحن من سنزداد وليس هو كما تقول...

فهل القوي يقوم بمعاقبة الضعيف الذي يحتاج إليه لأنه لم يتقرب منه؟ وبمَ يمكن أن نصف شخصًا ما يهدد الآخرين بأنه سوف يعاقبهم إن لم يتقربوا إليه وقت شدتهم وحاجتهم إليه[2]؟

١- دكتور مصطفى محمود، حوار مع صديقي الملحد، معنى الدين، دار المعارف، ١٩٩٧، صفحة ١٢٩.

٢- سؤال من أحد الملحدين العرب.

دين

وبمَ نصف المدرس الذي يحذر تلميذه بأنه سيعاقبه إذا لم يَقُمْ بعمل واجبه المدرسي؟ فالمدرس ليس بحاجة إلى هذا الواجب والتلميذ هو الذي في أمس الحاجة إليه... فإذا حذر المدرس تلميذه بأنه سوف يعاقبه إذا أهمل الواجب، وشدد عليه بأن هذا الإهمال سيؤثر سلبا على مستواه في نهاية العام الدراسي، فهذا دليل على حب المدرس لتلميذه والاهتمام به وليس العكس... فإذا فرضنا أن المدرس ترك هذا التلميذ بدون تحذير أو محاسبة فهذا يعد تجاهلا ودليلا على أن المدرس يئس من تلميذه مثلا، أو أن هذا التلميذ ليس له أي شأن عند المدرس على الإطلاق...

نور

الحمد لله، شأننا عند الله عظيم...

صمت الجميع برهة ثم قال القاضي:

القاضي

دين ليس أفيونًا إذن ما هو؟

قامت فتاة من بين الحاضرين تقول:

فتاة

ربما هو نوع من الفلسفة.

قام رجل عجوز في آخر القاعة قائلاً:

أحد الحاضرين

أنـا متخصـص في الفلسـفة، وأرى أن الفلسـفة تثيـر الأسـئلة وتُعَقِّدها، أما الدين فيوفر الإجابات[1].

قامت امرأة من بين الحاضرين تقول:

امرأة في منتصف العمر

الدين ما هـو إلا نـوع مـن أنـواع الفنـون ابتكـره البشـر وطـوَّروه على مر العصور في محاولة للعثور علـى معنـى وقيمـة للحيـاة[2] ولإعطائهم السعادة المنشودة.

دين

ما هو دليلك على ادعائك؟

الفـن يعطـي مسـتمعيه أو المنشـغلين بـه سـعادة لحظيـة بينمـا يعطي الدين ممارسيه سعادة وسكينة أبدية.

الفن أداة تعبير لما يشعر به الفنان مـن غضـب أو فـرح..... أو مـا يـؤمن بـه مـن أفكـار وآراء، ولـذلك فهـو متغيـر لأنـه يعتمـد علـى فكـر ورؤى ومشـاعر وأهـواء الفنـانين علـى اخـتلاف

[1] -Prof. Dr. Walter Lammi, Chair of Philosophy Department, American University in Cairo, Beyond Life documentary, ١:٠٦:١٤ , ٢٠١١, Produced by: Salma Hassaballa
[2] Karen Armstrong, A History of God, Introduction, Ballantine Books, ١٩٩٣, page xix

طبائعهم وثقافتهم وأمزجتهم، بينما الدين ثابت؛ لأنه رسالة من الله إلى البشر...

القاضي

ولمَ أرسلت يا دين إذا كنت حقًّا رسالة من الله إلينا؟

دين

لأن الرحمن ما كان ليترك الناس حيارى يتخبطون دون هدى، فأرسل رسالاته ليهتدوا بها إليه، ويعرفوا منهجهم وسبب وجودهم، ويبشر المتقين وينذر الفاسقين لعلهم يرجعوا، فالرسالات رحمة من الله إلى البشر، فقد قال الله عن الألواح التي نزلت على النبي موسى عليه السلام:

﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾[1]. وقال لرسوله عليه أفضل الصلوات: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[2].

المدعي

من قال إننا لا بدَّ لنا أن نعرف سبب مجيئنا إلى هذه الدنيا عن طريق الرسالات؟[3] فربما نحن مثل النبات ينقي الهواء ويجدده دون الحاجة لرسالات تعرفها سبب وجودها.

١-القرآن الكريم، سورة الأعراف، رقمها ٧، آية ١٥٤.

٢- القرآن الكريم، سورة الأنبياء ورقمها ٢١، آية ١٠٧.

٣- سؤال من أحد الملحدين العرب.

دين

لقد وهب الله للكائنات السبل، وهداهم لكي يقوموا بدورهم الذي شرعه لهم على أكمل وجه، أما عن الإنسان فقد وهبه الله العقل وميَّزه به عن باقي المخلوقات ليقوم بدوره المشروع على أكمل وجه أيضًا، ولكي يعمل العقل بكفاءة لا بدَّ أن يعرف الغرض من مهمته، هل تجد معماريًّا يقوم بتصميم مبنى دون أن يعرف أي مبنى يصمم، أو طبيبا يكتب دواء لمريض دون أن يعرف الداء الذي يعاني منه مريضه، أو محاميًا يترافع عن متهم دون أن يعرف خبايا قضيته؟

صمت المدعي برهة ثم قال:

المدعي

إذا جاءت الرسالات رحمة كما ذكرت، وقد خلق الله كل واحد منا، لماذا عاهد بنى إسرائيل فقط واستبعد الباقين، ألسنا نستحق جميعًا الرحمة والهدايا؟

دين

يفهم البعض أن العهد بين الله وإبراهيم عليه السلام ميراث خاص أو أنه مقتصر على بني إسرائيل، ولكن في حقيقة الأمر يكون العهد مع أي إنسان يسلم وجهه إلى خالقه، والقرآن يبين لنا أن العهود كانت وفيرة وغير حصرية، وقد بعث الله نبيًّا إلى كل أمة وليس فقط لبني إسرائيل، لقد قال

الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خلا فِيهَا نَذِيرٌ﴾[1].

المدعي

لا يوجد أي دليل بأن الله أرسل نبيًا لكل أمة.

قام نور ليقول:

نور

والعكس صحيح!

تنفس القاضي نفسًا عميقًا ثم قال:

القاضي

هل لديك أي أسئلة أخرى للشاهد يا سيادة المستشار؟

المدعي

لا يوجد مزيد من الأسئلة الآن.

أشار القاضي إلى كاتب المحكمة ليعيد دين داخل قفص الاتهام

القاضي

هذه الجلسة على وشك الانتهاء، حضرات السيدات والسادة أعطوني ملاحظاتكم الآن.

قال شاب في يأس:

١- القرآن الكريم، سورة فاطر ورقمها ٣٥، آية ٢٤.

الشاب

قطعًا لم نحرز على أي أدلة.

قالت سيدة عجوز بين الحاضرين:

سيدة عجوز

ربما لا بدَّ لنا أن نؤمن قبل أن نأخذ أي قرار في هذه القضية.

قال الشيخ العجوز:

الرجل العجوز

اسكتي، ما هذا الهراء الذي تقولينه، نؤمن بماذا؟ أو نؤمن بمن؟

قال شاب اخر بين الحضور:

شاب اخر

يبدو أن الدلائل كثيرة!

قامت فتاة من بين الحاضرين قائلة:

الفتاة

أننا لسنا بحاجة إلى أدلة لكي نؤمن بالله ورسالاته، الله موجود ووضع بذور الإيمان في قلوب كل واحد منا، وإما أن ننميها أو نتركها تجف.

هَمَّ رجل أعمال بين الحشود بالخروج وهو يقول:

رجل الأعمال

هذا مضيعة للوقت، فمن الواضح أن دين دجال.

القاضي

سوف نكمل القضية بعد الاستراحة.

الجزء الثاني

الفصل الثامن

عبقري أو خاتم المرسلين؟!

الفصل الثامن

بعد الاستراحة عاد الحاضرون إلى أماكنهم، كان بعضهم يتحدث والبعض يصيح بهتافات بدين أو ضده، والبعض الآخر يتأملون في صمت.

فتح كاتب المحكمة الباب للقاضي قائلا:

كاتب المحكمة

هدوء في القاعة، قيام.

هدأت القاعة ووقف الجميع، ودخل القاضي من وراء المنصة، وبعد الجلوس في مكانه أشار للحضور بالجلوس، ثم قال:

القاضي

خلاصة الجلسة السابقة: القضية تتناول الاتهام المقدم من الادعاء بعدم مصداقية الأديان السماوية، بعد ساعات من المناقشات الطويلة بين دين والناس ما زلنا لا نجد أي دليل إما لإثبات أو لدحض الادعاء المعلن، التهمة ضد المدعى عليه هي السيطرة على عقول البشر من خلال محاولة إظهار كل ما هو باطل لبث الكراهية بينهم وشن الحروب.

في هذه الجلسة يحق للمدعي العام استدعاء بعض الشهود السابقين، سوف نستأنف.

ثم نظر القاضي إلى المدعي العام وقال:

القاضي

يمكنك استدعاء الشاهد التالي.

المدعي

أنا بحاجة أن أوجه أسئلة جديدة إلى دين.

نظر القاضي إلى كاتب المحكمة وأعطاه إشارة ليأخذ دين خارج قفص الاتهام مرة أخرى.

أخرج كاتب المحكمة دين من وراء القضبان، واقترب دين نحو منصة القاضي، ثم قال كاتب المحكمة:

كاتب المحكمة

ارفع يدك وأقسِمْ قسم المحكمة.

دين

أقسم بالله العظيم أن أقول الحق.

المدعي

هل كتبت الأديان السماوية وقت نزول الوحي؟

دين

القرآن الكريم هو الكتاب الوحيد الذي كُتب أثناء نزول الوحي الإلهي على النبي محمد[١].

١ - Jerald F. Dirks, the Cross & the Crescent, chapter ٣: the books of revelations and scriptures, Second Reprint ٢٠٠٦, Page ٦٤. Dr. Laurance B. Brown, Goded?, A brief history of the Holy Quran, Dr.Laurance B. Brown, ٢٠٠٧, P. ٧.

المدعي

بالطبع تم كتابة القرآن في عهد محمد لأنه ببساطة هو مؤلف الكتاب ولقد سرقه من الكتاب المقدس!

القاضي

هل لديك أي دليل على هذا الاتهام؟

المدعي

بالطبع، فالقصص التاريخية والدينية الوارد ذكرها في القرآن تشبه إلى حد كبير القصص المذكورة في الكتاب المقدس، بل في بعض المواضع تتطابق معها، كل ما فعله هو "قص ولصق" الكتاب المقدس.

دين

يا سيادة القاضي، وجه الشبه واضح لأن المصدر واحد لأنه ببساطة الله واحد.

كيف يمكن لرجل أو حتى فريق من الرجال أن يكتب كتابا بهذه الدرجة من التعقيد؟

القاضي

التعقيد؟! هل من الصعب قص ولصق من مصادر أخرى؟

دين

ببساطة الرسول لم يكن باستطاعته أن يقص ويلصق من مصادر أخرى يا سيادة القاضي، وذلك لأسباب عديدة، أولها مثلا أنه لم يتم ترجمة الكتاب المقدس إلى العربية إلا بعد وفاة النبي محمد بقرون[1]، وعلاوة على ذلك فالنبي كان أميًّا لا يعرف القراءة والكتابة.

المدعي

أنتم الذين تصورونه لا يعرف القراءة والكتابة لدحض اتهامه بتأليف القرآن وتضفوا إعجازًا على نزول الوحي، ولكني سأنفي هذا من كتابكم نفسه.

كلمة أمي لها معنى آخر غير الجهل بالقراءة والكتابة وهو الجهل بقضية معينة، وفي القرآن أتت بمعنى الجهل الديني وعدم العلم بالكتب السماوية لقوله:

﴿هوَ الذي بعَث فِي الأمِّيِّينَ رَسُولا منهم يَتلو عَلَيهِم آيَاتِهِ وَيُزَكيهِم وَيُعَلِمُهُمُ الكِتابَ وَالحِكمَةَ وَإن كَانوا مِن قَبلُ لفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾[2].

دين

حتى لو كان النبي جاهلا بالدين كما تزعم فإن ادعاءك باطل؛ لأنه لا يستطيع وهو جاهل بالدين أن يؤلف مثل هذا الكتاب!

1- Dr. Laurence B. Brown, MisGoded , Dr. Laurence B. Brown, ٢٠١٠, P. Xvii

٢-القرآن الكريم، سورة الجمعة ورقمها ٦٢، آية ٢.

يا سيادة المستشار، النبي صلى الله عليه وسلم كان أميًّا بمعنى عدم قدرته على القراءة والكتابة لقول الله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾[1]. ولو كان يعرف القراءة والكتابة قبل نزول الوحي كانت هذه الآية كفيلة بأن تجعل جميع الناس المعاصرين له يكفرون به!

المدعي

جهل محمد بالقراءة والكتابة لا يثبتْ أي شيء، وليس من الضروري أن يكون هناك كتب للقص واللصق منها، فمن الممكن أن يكون محمد قد تلقى تعاليم شفاهية من اليهود أو المسيحيين المنتشرين في جزيرة العرب آنذاك، ثم جاء بشيء يعتقد أنه الأفضل.

وقف شيخ عجوز من بين الحشود قائلا:

رجل عجوز

هل من الممكن لرجل أمي أن يتوصل إلى مثل هذا الكتاب من خلال فقط الاستماع شفويًّا إلى الآخرين؟

المدعي (بدهاء ومكر)

نحن نتحدث عن رجل عبقري هنا.

١-القرآن الكريم، سورة العنكبوت ورقمها ٢٩، آية ٤٨.

دين

العبقري عادة تتجه عبقريته إما إلى ميادين الحروب فيكون من عظماء القادة أو تتجه إلى أندية الرأي والشورى فيكون من كبار الساسة والدهاة، أو أن يكون نابغًا في العلم، أو نابغًا في التشريع أو في الشعر والفن، فيجذب عواطف الخاصة والعامة[١].

أحد الحاضرين (مقاطعًا)

يوجد من يجمع بين عبقريتين أو ثلاث...

قام نور قائلا:

نور

ولكن عبقرية محمد كانت في كل المجالات ... يقول مايكل هارت في كتابه (مائة رجل من التاريخ): "قد يدهش بعض القراء من اختياري لمحمد في صدر قائمة أعظم الأشخاص تأثيرًا في العالم، وقد يطعن عليه آخرون، لكنه الوحيد في التاريخ كله الذي نجح نجاحًا مبهرًا دينًا ودنيا"[٢].

دين

هكذا النبوة... فهي امتداد في المواهب كلها، واكتمال عقلي وعاطفي، وعصمة من الدنايا ورسوخ في الفضائل، حياتهم أسوة، سريرتهم وعلانيتهم سواء[٣].

١- الشيخ محمد الغزالي، نظرات في القرآن، الإعجاز العلمي، دار نهضة مصر، الطبعة العاشرة ٢٠١٢، صفحة ١٣٤.

٢ - Michael H. Hart, The ١٠٠: A ranking of the most Influential persons in History, ١ Muhammed, A citedal press book, published by carol publishing group, page ٣.

٣- الشيخ محمد الغزالي، عقيدة المسلم، الأنبياء، دار نهضة مصر، الطبعة السادسة ٢٠٠٧، صفحة ٢٠٤.

توقف دين إثر همس الناس في القاعة فقال له القاضي:

القاضي

أكمل يا دين.

دين

طوال التاريخ البشري، هل سمعتم عن رجل جمع بين كل المواهب وسمحت له عبقريته أن ينتج كتابا مماثلا له ذلك التأثير البالغ - فحول مجموعة من القبائل البدائية المتفرقة إلى مجتمع منظم وراق، وتسبب في قيام حضارة عظيمة أثّرت في تاريخ البشرية كلها - من خلال فقط الاستماع شفويًّا إلى الآخرين؟

قام رجل من بين الحضور يقول:

أحد الحضور

لقد ذكرتني يا دين بما ذكره الفيلسوف البريطاني (توماس كارليل) في هذا الصدد وهو يصف العرب قائلا:

"إن هم إلا قومٌ من الرعاة عالة يجوبون الصحاري، لا ذكر لهم منذ بدء الخليقة، بعث فيهم نبي بطل بكلام آمنوا به، فإذا بهولاء المغمورين يذيع صيتهم، وإذا بالصغار أصبحوا عظماء الدنيا، وبعدها بقرن واحد امتدت حضارة العرب إلى جرناطة من طرف وإلى دلهي من الطرف الآخر"[١].

[١] The British philosopher & a Nobel prize winner: Thomas Carlyle , "Title: Heroes and Hero Worship", LECTURE II. THE HERO AS PROPHET. MAHOMET: ISLAM., May ٨, ١٨٤٠.

أما الكاتب والسياسي الفرنسي (ألفونس دو لا مارتين) فقد قال: "لو أخذنا عظم المقصد ومحدودية الوسائل وروعة النتائج كمعايير ثلاثة للعبقرية البشرية فمن يجرؤ أن يقرن أي عظيم من عظماء التاريخ بمحمد؟! إن أشهر الرجال جيشوا الجيوش وسنوا القوانين وبنوا الإمبراطوريات، ولم يبنوا – إن صح القول – سوى قوى مادية كثيرًا ما تهاوت أمام أعينهم، أما هذا الرجل فلم يحرك جيوشًا وشرائع وإمبراطوريات وشعوبا ودولا فحسب بل ملايين من البشر في ثلث العالم المأهول حينئذٍ، بل وأكثر من ذلك، زلزل المذابح والأرباب والديانات والأفكار والعقائد والأرواح، فهو فيلسوف وخطيب ورسول ومشرع ومجدد الأفكار، هو مؤسس عشرين إمبراطورية أرضية وإمبراطورية روحية واحدة، إنه محمد، أما بالنسبة لكل المعايير التي يمكن أن تقاس بها عظمة البشرية يجدر بنا أن نسأل هل هناك أعظم منه؟[1]

ولقد ذكر المؤرخ الفرنسي المعروف (جوستاف لوبون) الآتي: "محمد هو أعظم رجل عرفه التاريخ في أي وقت مضى".

أما (ويل دوران) مؤلف كتاب "قصة الحضارات" فقال: "إذا كنا نقيم درجة العظمة بدرجة تأثير العظماء على الناس سوف نستنتج أن محمدًا أعظم عظماء التاريخ" و...

قاطعه المدعي قائلا:

١ Alphonse de La Martaine wrote in 'Historie de la Turquie': Paris ١٨٥٤, Vol II, pp ٢٧٦ – ٧٧.

المدعي

هذا ما دفع محمد لتأليف القرآن، لقد أراد بهذه الدعوة الوصول إلى القمة، وأن يصبح سيدًا على قومه، ويكون من عظماء التاريخ ويبدو أنه نجح...

دين

لو كان النبي يرجو بهذه الدعوة غرضًا دنيويًا كما تدعي لقبل عرض قريش له في بداية الدعوة.

القاضي

من هم قريش؟ وماذا عرضوا عليه؟

دين

هم قبيلته وعشيرته، ولقد حاولوا إغراءه بالمال والسلطة والنساء حتى يترك الدعوة قائلين: "إذا أردت نقودًا فسنجمع لك ما يكفيك لتكون الأغنى بيننا، لو أردت القيادة سنجعلك قائدنا ولا نحتكم في أي أمر دون الرجوع إليك، وإذا أردت مملكة فسنتوجك ملكًا علينا، لو أردت زوجة فسندلك على أجمل النساء"، ولكن رفض النبي كل هذا![1]

١- "لقد هددت قريش -قبل هذا الحدث- أبا طالب (عم رسول الله) حتى يمنع ابن أخيه عن الدعوة في قولهم "فإنا لسنا بتاركي ابن أخيك على هذا، حتى نهلكه أو يكف عنا". فبعث أبو طالب إلى رسول الله فقال له: "يا ابن أخي، إن قومك جاءوني، وقالوا كذا وكذا، فأبقِ عليّ وعلى نفسك، ولا تحملني ما لا أطيق أنا ولا أنت. فاكفف عن قومك ما يكرهون من قولك". فأجابه رسول الله: "والله، لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في يساري، على أن أترك هذا الأمر، حتى يظهره الله أو أهلك فيه، ما تركته".

محمد الخضري بك، نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، ١٩٩٠، صفحة ٣٢ .

الدكتور عمرو خالد، على خطى الحبيب، الفصل العاشر، نهضة مصر، الطبعة الأولى ٢٠١٠، صفحة ١١٣.

علا صوت همس الحاضرين في القاعة، ثم أكمل دين قائلا:

دين

إذا كان النبي يريد بهذه الدعوة شهوة مال أو نساء أو سلطة، لماذا إذن أصر على الدعوة؟! فقد كان بإمكانه أن يحصل على كل هذا بلا مخاطر ولا مشقة.

القاضي

هذا ليس دليلا كافيًا على نبوة محمد!

عم الهدوء في القاعة، ثم قال دين:

دين

يا سيادة القاضي، أي كتاب من صنع الإنسان كتب ليجذب الحشود من الناس، من المتوقع أن يؤكد بدلا من أن ينفي الآراء السائدة.

إذا كان النبي محمد قد نسخ من اليهود أو المسيحيين إذن نتوقع منه أن يرفض أن يكون يسوع هو المسيح مثل معظم اليهود أو أن ينادي ببنوة يسوع لله مثل معظم المسيحيين، ولكن أي من هذا لم يحدث.

المدعى

محمد كان ذكيًا جدًا، أراد أن يكتب كتابا فريدًا فأحدث بعض التغييرات في العقيدة قد يكون أخذها من الزنادقة الموجودين في ذلك الوقت لكي يأتي بكتاب به بعض الاختلافات عن الكتاب المقدس ليضفي ثوب الأصالة على ما يدعيه.

دين

النبي لا يمكن أن يأخذ من زنادقة... ولو كان كذلك لصدق ما قيل عنه عند وفاة ابنه إبراهيم وكسوف الشمس من بعده، فقد ظن الناس إن هذا الكسوف عزاء إلهي لموت ابنه، ولكنه نهى عن ذلك التأويل قائلا: "إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته...".

المدعي

هذا لا ينفي استعانة محمد ببعض المعاصرين له لتأليف القرآن.

دين

لو كان هذا صحيحًا لوجدنا النبي يستخدم المصطلحات والتعبيرات الخاصة بهم في ذلك الوقت، ولكن هذا لم يحدث، محمد لم يذكر أبدًا أتباع يسوع كمسيحيين. فلماذا استخدم القرآن كلمة نصارى على أتباع يسوع ولم يستخدم كلمة

"مسيحيين" التي كانت شائعة الاستخدام بين المسيحيين العرب؟ من قال لمحمد أنه على الرغم من أن جميع المسيحيين يعرفون أنفسهم بلفظ مسيحيين، يسوع لم يفعل ذلك أبدًا؟!

قامت سيدة مُسِنَّة من بين الحاضرين قائلة:

السيدة المسنة

هذا حقيقي، فلفظ "مسيحيين" بدأ كلفظ مهين، ولم ينطق به يسوع أبدًا[1].

قام رجل في أول القاعة ليقول:

رجل بين الحضور

هذا ليس صحيحًا، فأول من أطلق لفظ مسيحيين هو بولس، وأطلقه على كل من يتبعه.

السيدة المسنة

أنا متأكدة مما أقول.

القاضي

هدوء.... في كل الأحوال هذا عجيب! كيف علم محمد بأن أبتاع يسوع لم يلفظوا بلفظ مسيحيين أيًّا كان سبب ذلك؟

١- Dr. Laurence B. Brown, Goded, Chapter ٥, ٢٠٠٧, Page ٦١. Reference: Meagher, Paul Kevin OP, et al., ١٩٧٩, Encyclopedic Dictionary of Religion. Philadelphia: Corpus publications Vol ١, p. ٧٤١.

ولماذا يستخدم لفظ نصارى بدلا منه في القرآن مع العلم بأن لفظ مسيحيين كان شائعًا بين المسيحيين العرب في وقته؟

أخذ الجميع يتحدثون في القاعة، أما المدعي العام فلاذ بالصمت حتى قال دين:

دين

يا سيادة القاضي، إذا كان النبي قد كتب القرآن لوجدناه يعكس حياة النبي وسيرته الذاتية بما في ذلك من مشاعر إنسانية ومعاناة وأحاسيس ولكن هذا لم يحدث، فكل واحد من أبناء النبي الأربعة ماتوا في حياته، عمه المفضل حمزة قُتل ومُثّل بجسده بطريقة بشعة في أحد المعارك، لقد تعرض الرسول وأتباعه بصفة مستمرة إلى الإهانة والضرب والقتل في بعض الأحيان، ولم يُذكر أي شيء من هذا في القرآن، في الواقع هناك سورة كاملة في القرآن تحمل اسم مريم، ولا يوجد سورة باسم خديجة.

القاضي

خديجة! من هي خديجة؟

دين

الزوجة الحبيبة للنبي، أول امرأة آمنت برسالته، ساندته ماديًا ومعنويًا، وماتت في حياته، أمضى معها ٢٥ عامًا من شبابه، خمسة وعشرون عامًا من العناية والحب والعطف.

قامت امرأة في العشرينيات من وسط الحشود قائلة في دهشة:

امرأة في أواخر العشرينيات

هذا غريب حقًا، فالموسيقيون عادة يفتنون على ذكرى أحبائهم، والفنانون يخلدون قصص الهوى على لوحاتهم، والمرأة التي ملأت حياة وفكر محمد لم تذكر في القرآن.

المدعي

فلتكن مريم أو خديجة، فليكن نصارى أو مسيحيون، هل ينبغي لنا أن نؤمن بكتاب بأن يكون وحيًا من الله لمجرد أنه ذكر اسم شخص أو أشخاص بدلا من اسم آخر؟!

قام رجل في منتصف العمر بين الحاضرين قائلا:

رجل في منتصف العمر

تغيير أو تبديل الأسماء لا ينفي تأليف محمد للقرآن.

دين

إذا كان النبي محمد هو مؤلف القرآن إذن لرأينا القرآن يعكس أفكاره وآراءه، ولكن في الواقع في بعض الأحيان القرآن يفعل العكس تمامًا، حين يصحح أخطاء النبي محمد في الرأي.

القاضي

كيف ذلك؟

دين

على سبيل المثال في سورة رقم ٨٠، القرآن يعاتب النبي محمد لعبوسه في وجه مسلم أعمى[1]، هذا الأعمى أثناء سعيه إلى الهداية قطع محادثة بين الرسول وآخرين أعطاها الرسول الأولوية عن طريق الخطأ، كما ترون فإن القرآن لا يعكس فكر الرسول.

المدعي

من الواضح أنه لم يعكس فكر محمد، ولكن ربما يعكس فكر شخص آخر، خبرني يا دين، كم كان عمر محمد عندما بدأ يتلقى الوحي؟

دين

٤٠ سنة.

المدعي

أربعون عامًا، ألا تظن أن لديه وقتًا كافيًا للتعلم على يد معلم أو معلمين لتأليف كتاب مثل القرآن؟

دين

عندما كان النبي في الأربعين من عمره كان الناس بالفعل يعرفون شخصيته ومشيته وطريقة حديثه، وكانوا يلقبونه

١- القرآن الكريم، سورة عبس، آيات ١ -١١ ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى وَهُوَ يَخْشَى فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ...﴾.

بالصادق الأمين، علاوة على ذلك فهم لم يعرفونه أبداً كشاعر أو مؤلف، فمن الواضح أن لغة الرسول في حياته اليومية آنذاك تختلف اختلافا كليًا عن لغة وطريقة القرآن الكريم، ليس هناك أي التباس حول حقيقة أن كلمات النبي محمد لم تقترب من بلاغة القرآن، حتى يومنا هذا يمكننا التحقق من هذا الاختلاف بمقارنة مفردات وصياغة أي من الأحاديث النبوية للرسول بالمفردات والصياغة الإلهية للقرآن الكريم[1].

المدعي

هذا يؤكد رأيي يا سيادة القاضي واتهامي السابق له، فلا بدَّ أن يكون هناك اختلاف بين كلمات المعلم وكلمات محمد.

دين

من عادة الشخص المضلل أن ينوِّه عن أفكاره بطريقة منتظمة وعلى فترات منتظمة، ولكن هذا لم يحدث مع النبي، فبعد نزول الوحي له لأول مرة امتنع الوحي عن النزول لفترة زمنية معينة، ثم عاود، تعد هذه الفترة غريبة بالنسبة لفكر دجال[2].

القاضي

هذا مجرد فكرك أنت، أو استنتاج خاص بك، وأنا لا أرى في ذلك ما يكفي من الأدلة ولا ينفي وجود معلم لمحمد.

١- Dr. Laurence B. Brown, Goded, Chapter ٤, ٢٠٠٧, P. ٤٣.
٢ - Dr. Laurence B. Brown, Goded, Chapter ١, ٢٠٠٧, P.٥-٦

دين

إذا كان هذا المعلم موجودًا بالفعل، أين يمكن للرسول أن يلتقي مثل هذا المعلم؟

المدعي

ربما التقاه أثناء رحلته التجارية وتعلم منه الدين.

دين

وإذا افترضنا إنه وجد معه أثناء رحلته التجارية، فإن تلك الفترة - مع عدم ثبوت ذلك - ليست كافية أبدًا للتعلم والمعرفة، فلا تكفي عشرة أيام للإلمام بكل هذا ولتعلم القرآن[1].

المدعي

ربما كان يقابله بين حينٍ وآخر في شبه الجزيرة.

دين

لقد صرح القرآن حينما كان يقص قصص الأنبياء القدامى بأن النبي ومعاصريه يجهلون هذه القصص في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾[2] فلم يعلن أحد من اليهود أو المسيحيين المعاصرين للنبي على الملأ أن

١- أ.د. احمد شوقي إبراهيم، موسوعة الرد على الشبهات والافتراءات الموجهة ضد الإسلام، الجزء الأول، الباب الثالث، دار نهضة مصر، الطبعة الأولى ٢٠١٢، صفحة ٢٨٨.

٢ - القرآن الكريم، سورة هود ورقمها ١١، آية ٤٩.

ما جاء في القرآن ليس صحيحًا لعلمه بهذه القصة قبل أن يقصها النبي محمد، وهذا دليل كافٍ على أنهم لم يكن لديهم دراية على الإطلاق بما جاء به القرآن، فكيف نقل النبي من أي منهم؟[١]

القاضي

هذا استنتاج ولا أعده دليلًا كافيًا.

دين

يا سيادة القاضي، إذا كان هناك في أي وقت مضى مثل هذا المعلم المنجز كما أشرتم، فمن هو هذا المعلم؟ وماذا حدث لباقي أعماله؟ أين مؤلفاته الأخرى المماثلة للقرآن في التميز والبلاغة؟

القاضي

وهل كان القرآن متميزًا في البلاغة؟

دين

أسلوب القرآن الكريم فريد من نوعه في الأدب العربي، استشعر عدد كبير من العرب جمال القرآن المعجز، وهم من اشتهروا بإتقان فنون اللغة والبلاغة بل والتباري والتنافس في ذلك، حتى أعداء النبي تأثروا به إلى حد أن بعضهم كانوا

١ -Dr. Laurence B. Brown, Goded, Chapter ٥, Evidence #٣, ٢٠٠٧, P.٥٤)

يتسللون ليلًا في ظلام الصحراء ليستمعوا إلى تلاوة القرآن، الوليد بن المغيرة كان من أعداء النبي وكان شاعرًا، قال في القرآن: "والله ما فيكم من رجل أعلم بالأشعار مني ولا أعلم برجزه ولا بقصيده ولا بأشعار الجن مني، والله ما يشبه الذي يقول شيئًا من هذا، والله إن لقوله الذي يقول حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليعلو وما يعلى عليه، وإنه ليحطم ما تحته،"[1] هكذا واحد من أفضل الشعراء وألدّ أعداء النبي اعترف بتفوق القرآن.

القاضي

وهل يوجد من تحدث عن بلاغته من غير العرب؟

دين

الكثير ومن بينهم الروائي (جيمس ميشنر) James A. Michener وقد كتب في مقال بعنوان: "الإسلام الدين الذي أسيء فهمه "Islam, the misunderstood religion

"لا تجد كتابا على وجه الأرض يقرؤه قارئ أكثر من القرآن، ولا يحفظه حافظ سوى القرآن، ولعله أعظم كتاب أثّر في

١- الدكتور عمرو خالد، على خطى الحبيب، الفصل الثامن، نهضة مصر، الطبعة الأولى ٢٠١٠، صفحة ٨٧ .
محمد الخضري بك، نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، ١٩٩٠، صفحة ٣٧.

حياة من آمنوا به، ما أروع منطقه، فما هو بالشعر ولا من نثر البشر، من سمعه تذوق حلاوة الإيمان"[1].

علا همس بعض الناس في قاعة المحكمة ولكن الغالبية كانوا ملتزمين الصمت، وبدأت تبدوا عليهم علامات التفكير، ثم قام رجل من بين الحشود قائلا:

رجل بين الحشود

معذرة، لقد قرأت بعضًا من القرآن وأنا لم أجده سوى كتاب آخر مثل باقي الكتب.

دين

الكتب المقدسة مرآة للحقيقة، وهي تحتوي كل شيء، هذا يعني أنك لا يمكن أن تنظر إليها دون الأخذ بعين الاعتبار نفسك.

القاضي

ماذا تقصد؟

دين

إذا أغمضت عينيك فلن ترى الشمس البازغة في وضح النهار حتى لو شعرت بدفئها.

قام شاب بين الحضور ليقول:

١- Dr. Laurence B. Brown, Goded, Chapter٤, the language of the Quran, ٢٠٠٧, Page ٣٨, Reference: Michener, James A. May, ١٩٥٥. "Islam: the Misunderstood Religion", in Reader's Digest (American Edition).

أحد الحشود

معذرة فما زلت لا أفهم ماذا تعني!

دين

القرآن يقول: ﴿... قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُوْلَئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾.[1] فالقرآن عطاؤه للجميع ولكن المهم من يتقبله، وكيف يستقبله عندما يتلى عليه، كما نعلم لم يؤمن بعض أعداء النبي بالقرآن على الرغم من إدراكهم إعجازه في البلاغة لأنهم لم يكن لديهم الاستعداد لاستقباله.

قام نور قائلا:

نور

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد وينكر الفم طعم الزاد من سقم[2].

قامت امرأة من بين الحشود قائلة:

امرأة بين الحشود

لقد قال أحد الفلاسفة الألمان: "إذا نظر أحد القرود إلى كتاب فما الذي يخرج به؟" فالكتاب مثل المرآة إذا نظر إليه

١ - القرآن الكريم، سورة فصلت ورقمها ٤١، آية ٤٤.

٢- قصيدة البردة للإمام شرف الدين أبو عبد الله محمد بن سعيد بن حماد البوصيري الصنهاجي.

قديس فسوف يعكس قديسًا، وإذا نظر إليه قرد فسوف يعكس قردا"[1].

دين

الكتب المقدسة لا تنقل فقط كلام الله، ولكن أيضًا تعكس انطباعك وأفكارك، فسوف تجد نفسك فيها ومن خلالها، وهذا يعني أن تقرأها كثيرًا حتى تكون أقرب للقديس من القرد.

القاضي

هل لديك أسئلة أخرى؟

المدعي

لا يوجد مزيد من الأسئلة يا سيادة القاضي.

القاضي

الشاهد يمكنه أن يعود إلى مكانه.

أعاد الكاتب دين وراء القضبان.

١ - Georg Christoph Lichtenberg, "Sudelbücher" (Waste Books).

الفصل التاسع

{أفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى القُلُوب الَّتِي فِي الصُّدُور}[1].

---

١ - القرآن الكريم، سورة الحج ورقمها ٢٢، آية ٤٦.

الفصل التاسع

كاتب المحكمة

الشاهد التالي.

دخل التاريخ القاعة مستندًا على عكازه حتى وقف أمام القاضي، قال له كاتب المحكمة:

كاتب المحكمة

ارفع يدك، وأقْسِم قسم المحكمة.

التاريخ

أقسم بالله العظيم أن أقول الحق.

المدعي

هناك قصة في القرآن تحكي عن فرعون موسى الذي أمر وزيره هامان أن يبني له برجًا ليصل إلى السماء حتى يستطيع النظر إلى إله موسى في قوله تعالى: ﴿... فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾[1]. ومع ذلك يروي لنا الكتاب المقدس[2] أن هامان كان وزيرًا للملك الفارسي أحشويروش؛ أي زركيس الأول، هل هذا صحيح؟

١- القرآن الكريم، سورة القصص ورقمها ٢٨، رقم الآية ٣٨.

٢ - "بَعْدَ هذهِ الأُمُورِ عَظَّمَ الْمَلِكُ أحشَوِيرُوشُ هَامَانَ بنَ هَمَدَاثَا الأجاجيَّ وَرَقَّاهُ، وَجَعَلَ كُرْسِيَّهُ فَوْقَ جميعِ الرُّؤَسَاءِ الَّذِينَ مَعَهُ" (الكتاب المقدس- سفر أستير - أصحاح ٣، آية رقم ١).

تاريخ

أجل يا سيادة المستشار.

المدعي

يا سيد تاريخ، هل هامان وزير الملك الفارسي كان معاصرًا لموسى وفرعون؟

تاريخ

لا يا سيادة المستشار، فهامان وزير الملك الفارسي عاش قرونًا طويلة بعد موسى وفرعون.

المدعي

إذن فمن الواضح للجميع أن محمدًا نسخ اسم هامان في المكان الخطأ، وأيضًا في فترة زمنية خطأ!

تاريخ

يا سيادة القاضي، كلمة هامان لا تشير فقط إلى اسم وزير الملك الفارسي، ولكن لها مرجع آخر، فهي أيضًا تعني رئيس عمال مقالع الحجر في اللغة الهيروغليفية القديمة[1].

القاضي

ما هي اللغة الهيروغليفية؟

---

١ -Dr. Laurance B. Brown, Goded, Chapter ٥, Dr.Laurance B. Brown, ٢٠٠٧, Page ٦٠. Reference: Rank, Hermann. Die Agyptischen Personennamen (The Egyptian personal names). Verzeichnis der Namen Verlag Von JJ Augustin in Gluckstadt, Band I (١٩٣٥); Band II (١٩٥٢).

تاريخ

اللغــة الهيروغليفيــة هــي نظــام الكتابــة الرســمي الــذي استخدمه قدماء المصريين، وقد تم فك شفرته بعد اكتشاف حجر رشيد في عام ١٧٩٩[1].

قامت امرأة من بين الحضور لتقول:

أحد الحاضرين (امرأة في الأربعين)

من المنطقى جداً أن فرعون يطلب من رئيس العمال أن يبني برجًا ولكن كيف يمكن للنبي أن يعرف الكتابة الهيروغليفية بينما تم فك شفرتها بعد مئات السنين بعد وفاته؟

التاريخ

معذرة، أنا لا أعرف الجواب سيدتي...

المدعي

مهلا سيدتي ... ولا تتعجبي، سوف أثبت لك زيف هذه الآية حالا، لقد استخدم المصريون القدماء الحجر في بناء معابدهم القديمة، هل توافقني يا سيد تاريخ؟

تاريخ

أجل.

١- حجر رشيد الآن بالمتحف البريطاني بلندن.

Randall Price, The Stones Cry out, Chapter ٣, Harvest House Publishers, ١٩٩٧, Page ٥٤.

المدعي

إذن هناك خطأ واضح في القرآن، لقد ذكر أن فرعون أمر هامان أن يبني صرحًا بالطين وليس بالحجر ...

تاريخ

الفراعنة كانوا يبنون بالحجر، ولكنهم أيضًا بنوا بالطين، بل إنهم كانوا يستخدمون الطين في رفع كل بناء، يستوي في ذلك ما بني من طين وما بني من حجر، به رفعوا المسلات وبه رفعوا الأهرام والمعابد".[1]

المدعي

ما زال الخطأ موجودًا، فقد ذكر القرآن أن فرعون أمر هامان أن يوقد على الطين، أي أن يستخدم الطين المحروق؛ ولكن استعمال الطين المحروق (الآجرّ) في البناء لم يُعرف في مصر إلا بعد العصر الروماني.

التاريخ

هذا كان الرأي السائد بين المؤرخين حتى عثر علماء الآثار على كمية من الطين (الآجر) المحروق في مصر القديمة، ولقد سجل المؤرخون أن الطين المحروق قد عُرف في مصر القديمة في وقت مبكر جدًّا، في البداية استخدمه المصريون القدماء استخدامًا عرضيًّا، أما في عصر الدولة المصرية

١٠. Paul. T. Nicholson & I. Shaw (eds.), Ancient Egyptian Materials And Technology, ٢٠٠٠, Cambridge University Press: Cambridge (UK), ٢٠٠٠, p. ٧٩.

الوسطى فقد كانوا يستخدمونه كبلاطات للرصف في حصون النـوية بمقـاس ٥ X ٢٠ X ٢٠ سينتيمتر[1]، وفي عصـر الدولـة المصـرية الحديثـة، عثر (بتـري عـالم الآثـار) علـى طائفـة مـن الآجر المحروق، بنيت بـه القبـور وأقيمت بـه بعـض مـن أسـس المنشـآت، ترجـع إلـى عصـور الفـراعين: رمسـيس الثـاني ومرنبتاح، وسيتي الثاني من الأسرة التاسعة عشـرة (١٣٠٨ – ١١٨٤ ق.م)، وكـان عثوره عليهـا في نبيشـة Nebesheh ودفنـه Defenneh غيـر بعيـد مـن "بـي رمسـيس" (قنيتـر)، عاصـمة هؤلاء الفراعين في شرق الدلتا[2].

ومـن الدراسـة نسـتطيع أن نسـتخلص أن الآجـر (الطـين المحـروق) كـان يسـتخدم في مصـر القديمـة بكافـة عصـورها، وهذا لقدرته على التحمل وإن كـان لـم يكـن شـائع الاستخدام لأجل توفير الوقود.

قال المدعي بعد لحظة صمت:

المدعي

لي سؤال آخر... جاء في القرآن ذكر كلمة "يم" بمعنى بحر... هل هذه الكلمة كلمة عربية أم عبرية؟

١. A. J. Spencer, Brick Architecture In Ancient Egypt, Aris & Phillips., ١٩٧٩, p. ١٤٠ - ١٤١.

٢- د. محمد بيومي مهران، دراسات تاريخية من القرآن الكريم جزء ٢ في مصر، الفصل الثالث: موسى الرسول النبي، دار النهضة العربية، الطبعة الثانية، ١٩٨٨، صفحة ٢١٢ – ٢١٣.

تاريخ

لقد أطلق الكتاب المقدس على البحر الذي اجتازه بنو إسرائيل أثناء خروجهم من مصر لفظ "يم ساف" "Yam Suph". البحر الأحمر هو الترجمة المعروفة للكلمتين العبريتين، فكلمة "يم" تعني "بحر" بالإجماع[1]، ولكن لم يكن هناك إجماع على معنى "ساف"[2].

المدعي

إذن هذا دليل قاطع على أن محمدًا قد أخذ من يهود شبه الجزيرة.. وإلا من أين جاء بكلمة عبرية كهذه؟

دين

يا سيادة القاضي، إذا كان يهود شبه الجزيرة يتكلمون اللغة العربية الفصحى فمن البديهي إذا كانوا سينقلون شيئًا للرسول ينقلونه باللغة التي يفهمها هو .. وهي اللغة العربية وليست العبرية.

المدعي

ربما كانوا يجيدون التحدث بالعبرية أكثر من العربية.

دين

إذا كانوا يتحدثون لغات أعجمية أو عبرية ويجيدونها أكثر من العربية إذن كيف توصل الرسول إلى بلاغة القرآن إذا

١- James K. Hoffmeier, Israel in Egypt:The Evidence for the Authenticity of the Exodus , Page ٢٠٥.
٢ -Paul Backholer, The Exodus Evidence, Where was the Red Sea?, ByFaith Media, ٢٠١٠, Page ٥٢.

كان قد نقل منهم علمًا بأنه ليس بشاعر، ولقد دحض القرآن الكريم الادعاء بأن أحد اليهود أو النصارى أعجمي اللسان هو الذي كان يعلم سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ويملي عليه القرآن: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾[1].

تاريخ

يا سيادة القاضي أود أن أضيف أن كلمة "يم" كلمة هيروغليفية أيضًا، لقد عرفنا ذلك بعد فك رموز حجر رشيد.[2]

دين

كلمة "يم" وهي تعني "بحر"، استخدمت فقط في رواية موسى، بينما استخدمت كلمة بحر في مواطن أخرى كثيرة في القرآن الكريم، استخدام كلمة من اللغة الهيروغليفية والعبرية، تطابق تمامًا زمن موسى، وهذا ما كان لا يعلمه إلا المولى في ذلك الوقت.

صمت الجميع وسرعان ما سأل المدعي التاريخ

المدعي

ما لقب الملك في مصر القديمة؟!

١- القرآن الكريم، سورة النحل ورقمها ١٦، آية ١٠٣.

٢- علي الجوهري، مترجم التوراة والإنجيل والقرآن مقياس العلم الحديث للدكتور موريس بوكاي، فرعون مضطهد اليهود، مكتبة القرآن، ١٩٩٩، صفحة ٢٦٦.

تاريخ

بالطبع فرعون.

المدعي

الآن يمكننا أن نرى مفارقة تاريخية في القرآن، أي خطأ زمنيًّا؛ لأن القرآن استخدم كلمة ملك بدلا من كلمة فرعون في قصة يوسف ونحن نعلم جميعًا أن القصة جرت في مصر القديمة، هذه المفارقة التاريخية تبين أن القرآن قد نقل، لقد اختلط على محمد الأمر وهو ينسخ من الكتاب المقدس.

تاريخ

لا يوجد خلط أو نسخ هنا، فالقرآن الكريم دقيق للغاية يا سيادة المستشار، كان يحكم مصر في زمن يوسف (في حوالي سنة ١٧٠٠ قبل الميلاد) سلالة ملكية أخرى، سلالة الهكسوس، ولقد حكموا مصر حتى نهاية القرن الخامس عشر قبل الميلاد، وهم لم يطلقون لقب فرعون على ملكهم. على الرغم من أن القرآن ذكر لقب فرعون أكثر من ٧٠ مرة، كل مرة ذكر فيها هذا اللقب كانت تشير إلى فترة تاريخية كان ملك مصر فعليًّا ملقب بفرعون[١].

هدأت المحكمة ولزم المدعي العام بالصمت للحظة ولكنه سرعان ما بدأ من جديد قائلا:

١ -Dr. Laurance B. Brown, Goded? Evidence ٣, Dr.Laurance B. Brown, ٢٠٠٧, page ٥٩.

المدعي

يا سيد تاريخ كيف مات فرعون موسى وقت خروجه من مصر؟

تاريخ

مات غارقًا ـ في البحر.

المدعي

القرآن جاء بتعديلات مثيرة جدًّا ـ في هذه القصة، إذ ذكر أن فرعون لم يمت غريقًا!

علا صوت الناس ـ في القاعة فقال دين بصوت حادّ:

دين

ما قاله المستشار للتوّ ليس صحيحًا، فالقرآن الكريم ينص ـ في آيات مختلفة أن فرعون غرق ـ في البحر أثناء خروج موسى من مصر.

المدعي

دعك من هذا يا دين، نحن نعلم أنه مذكور ـ في آية من آيات القرآن أن الله أنقذ فرعون.

دين

أنقذ فقط جسده.

القاضي

ماذا نص القرآن بالضبط؟

دين

القرآن ينص مخاطبا بني إسرائيل: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾[1] ونص أيضًا موجهًا الكلام إلى فرعون: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾[2]، كما ترى يا سيادة القاضي، هذا يبين فقط أن الله وعد بحفظ جثة فرعون بعد وفاته ليكون عظة وتذكيرًا للناس.

القاضي

هل يوجد أي دليل على أن جثة فرعون قد حفظت؟

تاريخ

ليس هناك توافق في الآراء بشأن فرعون موسى، الغالبية ترى أنه كان رمسيس الثاني، ويعتقد البعض أنه كان تحتمس الثاني، بينما يعتقد آخرون أنه كان أمنحتب الثاني[3]، ويؤكد آخرون أنه كان خليفة رمسيس "مرنبتاح"، ولقد أسفرت نتائج فحص مومياء مرنبتاح عام ١٩٧٥ أنه على الأرجح مات إما من الغرق، أو من الصدمات العنيفة جدًا التي سبقت لحظة

١- القرآن الكريم، سورة البقرة ورقمها ٢، آية ٥٠.

٢- القرآن الكريم، سورة يونس ورقمها ١٠، آية ٩٢.

٣ -Randal Price, The Stones Cryout, Chapter ٧: The Exodus, Harvest House Publishers, ١٩٩٧, Page ١٣٠.

الغرق أو الاثنين معًا[1]، وعلى كل فجميع جثث الفراعنة الذين يمكن أن يكون لديهم علاقة بقصة خروج موسى من مصر في قاعة المومياوات الملكية في المتحف المصري بالقاهرة[2].

قام رجل من بين الحشود ليقول:

أحد الحشود

هذا مثير للاهتمام، فالكتاب المقدس ذكر أن فرعون مات غريقًا ولكن لم يذكر أن جسده قد حفظ، فالقرآن يضيف على الأحداث التي وردت في قصص الكتاب المقدس، فالإسلام إذن مكمل لليهودية والمسيحية.

بعد لحظات قال المدعي العام موجهًا سؤاله إلى دين:

المدعي

هل وردت قصة الطوفان في القرآن؟

دين

نعم.

المدعي (موجهًا سؤاله إلى التاريخ)

حدث طوفان عالمي قبل مولد إبراهيم بثلاثة قرون. هل تذكر توقف أي حضارة بسبب هذا الطوفان؟

---

١ - Dr. Maurice Bucaille, The Bible, The Qur'an and Science, The Exodus, Darulfikr, Moultan, Cantt, Pakistan, Page ٢٤٠.

٢ -Dr. Laurance B. Brown, Goded, Chapter ٧, Evidence #٥, Dr.Laurance B. Brown, ٢٠٠٧, Page ٩٠.

تاريخ

نحن نعلم أن الطوفان العالمي يرجع تاريخه في الكتاب المقدس إلى حوالي ٣٠٠ عام قبل زمن النبي إبراهيم، وبذلك يكون موافقًا للقرن الحادي والعشرين أو الثاني والعشرين قبل الميلاد، من الثابت تاريخيًا أنه خلال فترة الطوفان كان يوجد حضارات في مناطق عدة في العالم، ونحن نعلم يقينًا أنه لم يحدث لأي منها أي توقف، فهذا الطوفان لم يمح كل من الأسر الثالثة في أور ببابل، والعصر الانتقالي الأول قبل الأسرة الحادية عشرة في مصر، يشهد التاريخ بأن هاتين الحضارتين لم ينقطعا بسبب طوفان[1].

المدعي

إذا كانت هذه القصة حقيقية، كان يجب أن نرى تأثير هذا الطوفان على تاريخ هذه الحضارات، علاوة على ذلك كان ينبغي على إبراهيم الذي جاء في وقت لاحق بعد الطوفان بـ ٣٠٠ سنة أن يجد ندرة في البشرية بدلا من مجتمعات من البشر.

علا صوت الحاضرين في القاعة حتى صاح دين:

دين

الطوفان في القرآن لم يغمر العالم كله كما ذكر في الكتب والأديان الأخرى، القرآن فقط ذكر عقوبات تعرضت لها

١ -Dr. Laurance B. Brown, Goded, Chapter ٨, Evidence #٦, Dr.Laurance B. Brown, ٢٠٠٧, Page ٩٩.
Dr. Maurice Bucaille, The Bible, The Qur'an and the Science, Quranic and Biblical Narrations, Darul Fikr, Moultan, Cantt, Pakistan, Page ٢١٥.

بعـض المجتمعـات علـى وجـه التحديـد، الله تعـالى يقـول في القـرآن: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[1]. أيضًا القـرآن لـم يحدد تاريخًا للطوفان ولم يحدد مدة للطوفان نفسه[2].

قال المدعي العام موجهًا سؤاله إلى سيد تاريخ:

المدعي

ولكن يا سيد تاريخ لقد بحثت بعثات كثيرة عن سفينة نوح في المائة سنة الماضية دون جدوى، وظهرت ادعاءات كثيرة تعلن عن العثور على السفينة ولكنها كانت مجرد ادعاءات ليس لها أي أصل من الصحة.

التاريخ

أجل يا سيادة المستشار هذا حدث لأنهم كانوا يبحثون عن السفينة عند جبل (أراراط)، ولذلك محاولاتهم كلها باءت بالفشل؛ لأن السفينة لم ترسُ عليها.

المدعي

السفينة لم ترسُ عليها لأنه لا يوجد سفينة من الأصل ولا يوجد نبي يدعى نوحًا!

---

١ – القرآن الكريم، سورة الفرقان ورقمها ٢٥، آية ٣٧.

٢ -Dr. Maurice Bucaille, The Bible, The Qur'an and the Science, Quranic and Biblical Narrations, Darul Fikr, Moultan, Cantt, Pakistan, Page ٢١٧.

دين

عدم العثور على أثر للسفينة لا ينفي وجود سفينة نوح.

التاريخ

يوجد احتمال كبير أن يكون هناك أثر للسفينة في مكان يبعد ١٧ ميلا من جنوب جبل أراراط، وكان أول من رأى الموقع[1] رجل تركي يدعى (رشيد) في أعقاب زلزال مايو عام ١٩٤٨، ثم أكد هذا الاكتشاف البعثة التي رأسها دافيد فسولد David Fasold, في عام ١٩٨٥، ولقد ذكر فسولد اكتشافه في كتاب بعنوان "سفينة نوح" "The Ark of Noah"

وتستطيع أن تقوم بزيارة ذلك الأثر اليوم بتركيا حيث إن الحكومة التركية أعلنت أنه مكان أثري وقومي، وقد زودته بمتحف رسمي.

المدعي

إذن السفينة لم ترسُ عند جبل أراراط كما ادعى الكتاب المقدس.

دين

الكتاب المقدس لم يدَّعِ أن السفينة رست على جبل أراراط ولكن ذكر جبال أراراط، وهذا يعني أنه يقصد منطقة وليس جبلا بعينه كما فهم البعض...

---

١ - A boat-shaped formation called the Durupinar site, named after the Turkish Army Captain who saw the boat-shape on the aerial photograph and who was involved in the first expedition in ١٩٦٠.

المدعي

نجد مشكلة أخرى هنا .... لقد ذكر الكتاب المقدس أن المكان الذي رست فيه سفينة نوح هو جبال أراراط كما نعلم: "وَاسْتَقَرَّ الْفُلْكُ فِي الشَّهْرِ السَّابعِ، فِي الْيَوْمِ السَّابعَ عَشَرَ مِنَ الشَّهْرِ، عَلَى جبالِ أرَارَاطَ"[1]، بينما يروي لنا القرآن أن السفينة رست عند جبل الجودي في قوله: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاء اقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاء وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ..﴾[2] الا ترون أن هناك تناقضًا بسيطًا هنا؟

تاريخ

لا يوجد أي تناقض... كما قلت سالفًا؛ لقد وجد أثر السفينة في مكان يبعد ١٧ميلًا من جنوب جبل أراراط، وهذا الموقع عند سفح جبل جودي الذي ذكره القرآن، وهو في منطقة جبال أراراط التي ذكرها الكتاب المقدس.

القاضي

هل اجتمع العلماء على أنه أثر لسفينة نوح؟

التاريخ

لا يا سيادة القاضي.. لقد رأى بعض العلماء أنها خدعة، وأن الأرض قديمًا شُكّلت إثر عوامل طبيبعية لتكون على شكل سفينة نوح، أي أنها مجرد تشكيل جيولوجي.

---

١ - الكتاب المقدس- سفر التكوين - إصحاح ٨ ، آية رقم ٤ .

٢- القرآن الكريم، سورة هود ورقمها ١١، آية ٤٤.

القاضي

إذن هذا ليس دليلا كافيًا على وجود السفينة.

قام رجل في الخمسين من عمره

رجل بين الحضور

يا سيادة القاضي، لا بدَّ أن نضع في الاعتبار أن هذا الاكتشاف يُحارب بشدة من الجبهتين ... جبهة العلماء الملحدين الذين يريدون أن يطمسوا أي أثر يؤكد مصداقية الأديان... وجبهة من المتدينين يُغضبها عدم ظهور السفينة عند جبل أرارط، وذلك لقصورهم لفهم المعلومة المكتوبة في الكتاب المقدس أو يُغضبهم اكتشاف الأثر على سفح الجبل الذي ذكره القرآن.

المدعي

ولمَ لا نقول أن الجبهتين على حق وأن هذا الموقع أكذوبة جديدة لأثر سفينة نوح؟

التاريخ

هذا احتمال وارد، ولكن يرجح البعض أنها أثر لسفينة نوح لأسباب سأذكر بعضًا منها:

ما عثر عليه يدل على أنها رفات سفينة أو قارب كبير متحلل، كما عثر على حجارة بها ثقوب تسمح بدخول الحبال

لمرساة السفينة، طول السفينة كما ذكر في الكتاب المقدس:

"وَهكَذا تصْنَعُهُ: ثلاث مِئَةِ ذِرَاعٍ يَكُونُ طُولُ الْفُلْكِ..."[1]

والمقصود بالذراع الذراع المصري القديم وهو يساوي ٢٠,٦ بوصة، أي طول السفينة ١٥٧ مترًا، ومكانها كما ذكر في القرآن الكريم والكتاب المقدس، كما أن تصميمها يتطلب معرفة الرياضيات المتقدمة والهيدروناميكا التي لم تكن متاحة في العصور البائدة[2].

دين

﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا...﴾[3]

القاضي

لا يوجد إجماع، ولذلك لا أعتبره دليل نفي أو إثبات.

دين

صحة الأثر أو عدم صحته لا تنفي ما جاءت به الكتب المقدسة ... ثم إذا كان النبي محمد - كما تدعي يا سيادة المستشار - قد نقل القرآن من الكتاب المقدس، لماذا لم يطلق على المكان الذي رست فيه سفينة نوح جبال أرارط كما ذكر في الكتاب المقدس، ومن أين جاء باسم الجودي إلا إذا كان وحيًا من الله؟

١- الكتاب المقدس - سفر التكوين - إصحاح ٦، آية رقم ١٥ .

٢ -"The Discovery of Noah's Ark" Documentary, produced and copyrighted ١٩٩٣, by American Media.

٣ - القرآن الكريم، سورة هود ورقمها ١١، آية ٣٧.

خيم الهدوء على القاعة ثم قال القاضي:

القاضي

هل لديك أسئلة أخرى للشاهد يا سيادة المستشار؟

المدعي

أجل يا سيادة القاضي...

التفت المدعي العام إلى سيد تاريخ قائلا:

المدعي

هل يوجد أي نبوءات كاذبة لم تتحقق في القرآن؟

دين (مقاطعاً)

كيف تكون النبوءة الإلهية غير صحيحة؟ القرآن الكريم جاء بنبوءات كثيرة كلها صحيحة.

المدعي

إني أعترض.

القاضي

ألغي رد دين ... أجب يا سيد تاريخ.

التاريخ

لا بقدر ما أتذكر.

المدعي

هناك نبوءة في آيات من القرآن نزلت في وقت انتصار الفرس على الروم، قبل وصول أنباء المعركة إلى مكة.

لقد أقرت هذه الآيات[1] بانتصار الفرس على الروم وتوقعت انتصار الروم على الفرس في غضون من ثلاث إلى تسع سنين، وفي هذا اليوم سيبتهج المسلمون.

القاضي (مندهشاً)

لماذا إذن يبتهج المسلمون؟

تاريخ

لقد رأى العرب النزاع بين الفرس والروم كصراع بين الوثنية ودين الله، اعتبر العرب الوثنيين أن الفرس الذين كانوا يعبدون النار في هذا الوقت إخوانهم في الوثنية، بينما انحاز المسلمون للروم حيث اعتبر المسلمون أن الرومان الذين كانوا مسيحيين في ذلك الوقت هم أتباع الرسل ويعبدون الله الواحد الأحد.

قام أحد الحشود بملابس العصور الوسطى قائلاً:

أحد الحشود

من الصعب على أي إنسان أن يتنبأ بأن الإمبراطورية الرومانية المفككة سوف تنتصر على الجيش الفارسي المتفوق في أوائل القرن السابع[2].

١- ﴿الم، غُلِبت الرُّومُ في أدنى الأرْضِ وَهُم مِّن بعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الأمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ...﴾ القرآن الكريم، سورة الروم ورقمها ٣٠، آية (١ – ٥).

٢ -Dr. Laurance B. Brown, Goded, Evidence #٥, Dr. Laurance B. Brown, ٢٠٠٧, P.٨٥-٨٦.

القاضي

هل هزم الفرس في الفترة من ٣ إلى ٩ سنين حسبما جاء؟

تاريخ

أجل يا سيادة القاضي، سجلات التاريخ تحكي عن انتصار الفرس على الروم في أنطاكية، واستولوا عليها عام ٦١٣م، ثم على دمشق، وحاصروا مدينة بيت المقدس إلى أن سقطت في أيديهم، وهكذا توالت انتصارات الفرس إلى أن غزوا مصر عام ٦١٩ م، وبدا الوضع قاتمًا للإمبراطورية الرومانية حتى بدأ هرقل حملته التاريخية من عام ٦٢٢ – ٦٢٧م حيث قصف الرومان القوات الفارسية بشكل حاسم على الأراضي الأرمينية في عام ٦٢٢م،[1] أى ٩ أعوام من هزيمة الروم فى أنطاكيا و٣ اعوام بعد فقدانهم مصر، وبالتالى تكون جميع المعارك التى دارت بين عام ٦١٣ و ٦١٩ م وهُزم فيها الروم حدثت قبل انتصارهم على الفرس ببضع سنين.

القاضي

اذن هذه النبوءة تحققت.

دين

إذا كان رسول الله هو مؤلف القرآن، فما يجعله يدخل في قضية كهذه لم يطلب أحد منه أن يدخل فيها؟.. وكيف يغامر

١ -Dr. Laurance B. Brown, Goded, Evidence # ٥, Dr. Laurance B. Brown, ٢٠٠٧, Page ٨٥.

رسول الله بإعلان نتيجة معركة ستحدث بعد سنين، وماذا كان يحدث لقضية الدين كله لو أن الحرب حدثت وانتصر الفرس مرة أخرى أو أن الحرب لم تحدث وتوصل الطرفان إلى صلح؟

القاضي (موجهًا سؤاله إلى التاريخ)

هل لديك أي تعليق آخر يتعلق بهذا الحدث؟

التاريخ

أجل يا سيادة القاضي، نجد الآية الكريمة تذكر أن المعركة وقعت في أدنى الأرض، وأدنى تعني أقرب؛ أي في الأراضي المجاورة، وهذا منطقي؛ لأن المعارك وقعت في أقرب مكان في الإمبراطورية الرومانية من شبه الجزيرة، ومع ذلك فكلمة أدنى تحمل معنى آخر وهو أكثر انخفاضًا[1] أو أقل منسويا، لقد عرفنا حقيقة مؤخرًا بمساعدة صور الأقمار الصناعية تجعلنا نأخذ المعنى الأخير أيضًا في الاعتبار، عرفنا أن الأماكن التي وقعت فيها كثير من المعارك الحاسمة بين الفرس والروم تقع في مساحة من الأراضي منخفضة حول البحر الميت تدعى منطقة أغوار وادي عربة ـ البحر الميت ـ

١- المعجم :الغني: أنَا الْمُوَقِّعُ أدناهُ :" أسفَلَهُ،

المعجم الوسيط: أدنى: أسقط: الحد الأدنى للأجور.

المعجم :اللغة العربية المعاصر: حدّ المعيشة الأدنى: أقل مقدار يكفي لسدّ حاجات العيش.

المعجم :مالية: أدنى سعر للسهم.

الأردن. هـذه المسـاحة لـديها أدنـى علـو في الأرض، فهـي تنخفض حوالي ٤٠٠ متر تحت مستوى سطح البحر)[١].

عم الهدوء في القاعة، فقال دين:

دين

هل يعقل أن الرسول عرف هذه المعلومات من ١٤٠٠ سنة؟

نظر المدعي باستياء، أما دين فأكمل قائلا:

دين

كما ترى يا سيادة القاضي كلمة واحدة في القرآن الكريم ممكن أن تحمل أكثر من معنى، من المدهش تعدد المعاني المناسبة في الآية الواحدة، هذه واحدة من العديد من معجزات اللغة الإلهية.

القاضي

هذا يعني أن ترجمة القرآن تكون مهمة صعبة للغاية.

دين

كلمات الله غير قابلة للترجمة، وأي محاولة لترجمة الكتب المقدسة ستعكس فقط وجهة نظر وفهم المترجم لكلام الله، والمترجم محدود لأنه إنسان قبل كل شيء، مما يسبب خسارة

---

١ -http://en.wikipedia.org/wiki/Dead_Sea.

الموقع الرسمي للدكتور زغلول النجار.

http://www.elnaggarzr.com/index.php?itm=ddcb١٨٥١c٢٥e٣٦b٠e٣e١٥٢٣٢٣ad٥٨٥f٤.

كبيـرة في المعـاني، ولكـن القـرآن مكتـوب بلغـة حيـة وتفاعليـة، مفهوم من قبل مئات الملايين من أتباع محمد حتى وقتنا هذا، فهم يستشعرون بلاغة وعمق القرآن.

قام الصبي نور بين الحضور قائلا:

نور

لقـد ذكـر المستشـرق والمتـرجم (الفريـد غيـوم) Alfred Guillaume الآتـي: "[1]القـرآن هـو إحـدى عيـون الأدب العـالمي التي تسمو على الترجمة بتضحية جسيمة". وردد هـذا الـرأي أيضًا "اربيري A. J. Arberry" المترجم والمؤلف لكتاب "تفسير القرآن" "Koran interpreted" حيث ذكر "إني أعترف بوجاهة رأي أهل الإسلام الحنيف بأن القرآن غير قابل للترجمة"[2].

قام رجل كان يجلس في آخر القاعة قائلاً:

أحد الحاضرين

يوجد أمر آخر خاص بترجمة القرآن في غاية الخطورة، لقـد دأب مترجمو القرآن حتى البارز منهم على إقحام كلمـات مـن عندهم دون الأصل العربـي، ونحـن نعلم أنـه بمقـدور المـرء أن يضـفي أوصـافًا أو عنـاوين علـى الـنص خـارج أصـله دون أن يغيـر معنـاه، ولكـن هـذه الإضـافـة تغـير المعـنى العـام، فمـثلا بلاشـير R. Blachere في ترجمته الشهيرة للقـرآن

١- Dr. Laurance B. Brown, Goded, Chapter ٤, Evidence #٢, Dr.Laurance B. Brown, ٢٠٠٧, Page ٤٢.
٢- Dr. Laurance B. Brown, MisGoded, Dr.Laurance B. Brown, ٢٠١٠, Page xii.

بالفرنسية[1] أدخل عنوانًا ليس في القرآن، وهو واجبات الحرب المقدسة (Obligations de la guerre sainte)، هذه في بداية فقرة لا خلاف على أنها عن الحرب، لكن ليست لها الصفة التي أسندت إليها ... فلا عجب إذن أن يظن قارئ هذا القرآن المترجم والذي لا يعرف العربية أن واجب المسلم هو شن الحرب المقدسة![2].

عم الهدوء في القاعة .. ثم سأل القاضي المدعي:

القاضي

هل لديك أسئلة أخرى للشاهد يا سيادة المستشار؟

المدعي

لا يوجد مزيد من الأسئلة يا سيادة القاضي.

القاضي (للتاريخ)

هل لديك أي أقوال أخرى؟

التاريخ

لا يا سيادة القاضي.

القاضي

الشاهد يمكنه الانصراف.

انصرف التاريخ ليجلس بين الحشود.

---

١ -Pub. Maisoneneuve et Larose, Paris, ١٩٦٦, page ١١٥.
٢ -Dr. Maurice Bucaille, The Bible, The Quran and The Science, Darulfikr, Pakistan, Page ١١٤.

الفصل العاشر

إن خالق الكون (كتاب الله المنظور) هو منـزل القـرآن (كتـاب الله المسطور). إن الجمع بين قراءة الكتابين يحقق للإنسان التناغم بين العقل والقلب فتتفجـر داخله ينابيع الإيمان[1] .

---

١ - عمرو شريف، كيف بدأ الخلق.

الفصل العاشر

صاح كاتب المحكمة قائلا:

كاتب المحكمة

الشاهد التالي

دخلت السيدة علوم وتقدمت نحو المنصة، وعاد الجميع ينظرون إليها بإعجاب.

كاتب المحكمة

ردّدي القسم.

العلوم

أقسم بالله العظيم أن أقول الحق.

المدعي

يا آنسة علوم، هل الأرض مسطحة أم كروية؟

العلوم (مبتسمة)

هذا بديهي يا سيادة المستشار.

المدعي

القرآن ينص في سورة النازعات: ﴿وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾[1] أي سواها.

---

١ - القرآن الكريم، سورة النازعات ورقمها ٧٩، آية ٣٠.

دين

يا سيادة المستشار، كلمة دحاها في العربية تحمل أكثر من معنى، فدحى تعني أن تبسط شيئًا لجعله مسطحًا[1]، وفي نفس الوقت تعني دحرج[2].

قام أحد الحاضرين قائلا:

أحد الحاضرين

تعني دحرج! هذا مدهش حقًا! لأنه يبدو أن الأرض عند انفصالها بعد الانفجار العظيم أخذت تدور وتتدحرج في مسارها، ولا تزال تتدحرج وتتقلب وهي تجري في فلكها.

دين

وكلمة دحا تعني أيضًا شكلا بيضاويًا، من قديم الزمن أطلق العرب كلمة دحية على البيضة[3]، وحتى الآن في بعض الدول العربية مثل المغرب وليبيا لا يزالون يسمون البيضة دحية، كما ترى فجميع المعاني مناسبة في هذه الآية، فالأرض مسطحة للناس للعيش عليها، وفي نفس الوقت تدور وهي أيضًا بيضاوية، وقد ذكر القرآن الكريم في موضع آخر: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا...﴾[4] تأكيدًا لبيضاوية الأرض.

---

١ – المعجم: المعجم الوسيط، المعجم: الرائد.

٢ – المعجم: الغني: دحا الحجرَ.

٣– المعجم: اللغة العربية المعاصر، المعجم: عربي عامة: دحا الخبّازُ العجينةَ.

٤– القرآن الكريم، سورة الرعد ورقمها ١٣، آية ٤١

العلوم

هذا وصف في غاية الدقة، فالأرض بيضاوية الشكل، يبلغ قطرها ١٢٧١٤ كيلومترا عند القطبين، بينما وصل إلى ١٢٧٥٧ عند خط الاستواء.[1] وهي تدور وإلى جانب هذا فهي فعلا ممدودة للناس لكي تعيش عليها.

دين

صدق الله العظيم إذ يقول أيضًا في هذا الخصوص: ﴿وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا ... ﴾[2].

العلوم

فعلا، فأينما ذهبت فوق الأرض تجدها ممدودة أمامك، وهذا لا يكون هندسيًا إلا إذا كانت الأرض كروية؛ لأنها لو كانت مسطحة لاختفى هذا المد عند الوصول لحدودها[3].

دين

وحول كروية الأرض جاءت هذه الآيات صريحة: ﴿... يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ..﴾[4].

١- الدكتور صبري الدمرداش، للكون إله، الأمسية الأولى، المساهم، الطبعة الثانية ٢٠٠٦، صفحة ٥٣.

٢ - القرآن الكريم، سورة ق ورقمها ٥٠، آية ٧.

٣ - الدكتور صبري الدمرداش، للكون إله، الأمسية الأولى، المساهم، الطبعة الثانية ٢٠٠٦، صفحة ٥٣.

٤ - القرآن الكريم، سورة الزمر ورقمها ٣٩، آية ٥.

المدعي

ولكن يا سيادة القاضي، لقد جاء القرآن بفرية علمية حين ذكر أن الجبال تتحرك كالسحاب!

القاضي

في أي آية هذه؟

دين

﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾[1].

العلوم

هذا صحيح يا سيادة المستشار، فالجبال التي تبدو جامدة ساكنة هي في الواقع سابحة في الفضاء، فالأرض بجبالها في حالة حركة، هذا فضلا عن أنه تشبيه يقترح على الذهن تكوينًا ذريًّا فضفاضًا مخلخلا، فما الأشكال الجامدة إلا وهمًا.. وكل شيء يتألف من ذرات في حالة حركة[2].

القاضي

هل ذكر شيئًا آخر عن الجبال؟

١- القرآن الكريم، سورة النمل ورقمها ٢٧، آية ٨٨ .

٢ – دكتور مصطفى محمود، القرآن محاولة لفهم عصري، قصة الخلق، دار مابو الوطنية للنشر، ٢٠٠٢، صفحة ٦٣

دين

﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾[1].

المدعي

وهل الجبال تشبه الأوتاد في شيء؟

العلوم

يا سيادة المستشار، الجبال تشبه الأوتاد من حيث بروزها عن سطح الأرض من جهة ومن حيث رسوخها فيها من جهة أخرى، فقد اتضح حديثًا أن للجبال جذورًا تمتد إلى أغوار قد يصل عمقها إلى نحو ٧٥ كيلو مترًا[2].

المدعي

آنسة علوم، لقد ذكر القرآن ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾[3] وأنا لا أدري ماذا ترجع ... فهل السماء ترجع لنا شيئًا؟

العلوم

إنها ترجع كل ما يرتفع فيها إلى الأرض ... ترجع بخار الماء مطرًا ... وترجع الأجسام بالجاذبية الأرضية، وترجع الأمواج اللاسلكية بانعكاسها من طبقة الأيونوسفير[4].

١- القرآن الكريم، سورة النبأ ورقمها ٧٨ آية ٧

٢- دكتور صبري الدمرداش، في الكون إله، المساهم، الطبعة الثانية ٢٠٠٦، صفحة ٩٣.

٣- القرآن الكريم، سورة الطارق ورقمها ٨٦، آية ١١.

٤- دكتور مصطفى محمود، حوار مع صديقي الملحد، القرآن لا يمكن ان يكون مؤلفًا، دار المعارف، ١٩٩٧، صفحة ٨٩

القاضي

أولم يذكر القرآن شيئًا آخر عن السماء؟

دين

قد ورد ذكر السماء والسماوات في كثير من الآيات، ومنها: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾.[1]

المدعي

ما هذه الهرطقة... كيف تتسع السماء؟

العلوم

إنها تتسع يا سيادة المستشار، هذا هو تمدد الكون المطرد حيث تتباعد مجراتها بعضها عن بعض، ولقد تم منح جائزة نوبل لعام ٢٠١١ لثلاثة علماء عن دورهم في فهم أفضل تمدد للكون[2].

المدعي

آنسة علوم ... هل الشمس كالقمر؟

العلوم

بالطبع لا.

---

١ - القرآن الكريم، سورة الذاريات ورقمها ٥١، آية ٤٧

٢ -Nobel Prize.org, The Nobel Prize in Physics ٢٠١١, Saul Perlmutter, Brian P. Schmidt, Adam G. Riess, *for the discovery of the accelerating expansion of the Universe through observations of distant supernovae*"

المدعي

ولكن القرآن ذكر ﴿هُوَ الَّذي جعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاء وَالْقَمَرَ نُورًا.... ﴾[1] والضياء كالنور.

العلوم

يا سيادة المستشار... يوجد فرق بين الضوء والنور، فالضوء نور مصحوب بحرارة، أما النور فهو نور بغير حرارة، فالضياء للشمس لأنها نجم مضيء بذاته، والنور للقمر لأنه كوكب يستضاء بغيره[2].

سكت الجميع ثم اقترب المدعي العام من الآنسة علوم قائلاً:

المدعي

يا آنسة علوم، هل يستطيع الإنسان تخزين المياه؟

العلوم

بالطبع، عن طريق السدود والخزانات.

المدعي

ولكن ذكر في القرآن أن الإنسان لا يستطيع تخزين المياه... ربما لأن محمداً لم يكن يعرف السدود والخزانات في زمنه!

دين

يا سيادة المستشار... لقد كان المسلمون في عهد الرسول يخزنون المياه وخاصة أثناء معاركهم، فكانوا يحفرون الحفر لتتجمع فيها مياه الأمطار... فلا يعقل أن يأتي القرآن لينفي

١- القرآن الكريم، سورة يونس ورقمها ١٠، آية ٥

٢- الدكتور صبري الدمرداش، للكون إله، الأمسية الأولى، المسامح، الطبعة الثانية ٢٠٠٦، صفحة ١٣٢

عدم قدرة الناس على تخزين المياه حتى ولو في قرب من جلد الماعز للاستعانة بها وقت اللزوم.

بدأت الأصوات تعلو في القاعة فقرع القاضي المنصة قائلاً:

القاضي

برجاء الهدوء.... ما هو نص الآية يا سيد دين؟

دين

﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾[1].

القاضي

أفهم من الآية أن الماء المقصود هنا هو الماء المتبخر لأنه نازل من السماء، وبالطبع لا نستطيع أن نخزن الماء لأنه سوف يتبخر من جديد.

العلوم

هذا صحيح يا سيادة القاضي، لقد ثبت في العلم حديثًا أن للمطر دورة مائية، تبدأ بتبخر المياه من سطح الأرض والبحر فتتكون السحب، ثم تعود إلى الأرض والبحر مرة أخرى على هيئة أمطار بعد أن تلقح الرياح السحب كما ذكر في الآية الكريمة! فإذا ما نزل المطر استقى منه كل حي على الأرض كما تستقي منه الأرض نفسها، ولا يمكن تخزينها لأنه بعد ذلك يتسرب من الأحياء ومن الأرض إلى التبخر مرة أخرى،

---

١ - القرآن الكريم، سورة الحجر ورقمها ١٥، آية ٢٢

وهكذا دورة المياه، بخار صاعد ومطر هابط ولذلك كمية المياه ثابتة منذ أن خلق الله الأرض[1].

بدأت الناس تهمس حتى قالت الآنسة علوم:

العلوم

ويوجد تفسير علمي آخر لهذه الآية، لقد أشارت الآية ﴿وما أنتم له بخازنين﴾ بعد كلمة ﴿فأسقيناكموه﴾ إذن فالمقصود هو الماء الذي دخل جسم الإنسان عن طريق الشرب[2]، ولقد عرفنا مؤخرًا أن جسم الإنسان يحتفظ بقدر معين من الماء، وليس بمقدوره أن يخزن أكثر من هذه الكمية، فإذا افترضنا أنه شرب أكثر من هذا القدر، يقوم الجسم بالتخلص منه على الفور عن طريق التبول والعرق (بما فيه التبخر) والتنفس والتبرز، وهكذا لا يستطيع الإنسان أن يخزن الماء داخل جسمه![3]

المدعي

وما قولك يا آنسة علوم في أن الشمس تجري في السماء... لقد ادعى القرآن أن الشمس تجري في حين أن الأرض هي التي تدور حول الشمس وهي التي تدور حول محورها؟

١- الموقع الرسمي للدكتور زغلول النجار.
http://www.elnaggarzr.com/index.php?itm=f٠٩ef٢ab١١١٩٢b٣٥e٩١٥٤ea٩٣٣٢٦٣٢٩٦#.

٢- الأستاذ الدكتور حسام موافي – أستاذ طب الحالات الحرجة بالقصر العيني

٣- Jason james Taylor & Barbara Janson Cohen, Memmier's Structure and Function of the Human Body, Chapter ١٩, Lippincott Williams & Wilkins, ١٠th Edition ٢٠١٣, Page ٣٨٣.

القاضي

إنه لخطأ فادح!

دين

لا يوجد أي أخطاء في كلام الله يا سيادة القاضي؛ فالقرآن ينص: ﴿وَالشَّمْسُ تجري لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذلِكَ تقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾[1].

العلوم

الآية صحيحة ... فالشمس تجري في الفضاء الكوني نحو نجم فيجا "Vega" بسرعة ٢٥٠ كيلومتر في الثانية.

دين

لقد جاء القرآن ليخاطب جميع العقول في كل زمان ومكان، فعندما نزلت الآية "الشمس تجري" على البدوي في الصحراء فهو يرى بعينيه الشمس وهي تتحرك الحركة الظاهرية لها في السماء، فلا يجد أي غرابة في أن الشمس تجري.. وعندما تطور العلم وعرفنا أن الأرض هى التي تدور حول نفسها؛ ولذلك نرى الحركة الظاهرية للشمس، اكتشفنا سقفًا معرفيًا جديدًا، وهو أن الشمس تجري بمجموعتها نحو نجم فيجا، فالآية أيضًا لا تتناقض مع سقف معرفتنا اليوم[2].

١ - القرآن الكريم، سورة يس ورقمها ٣٦، آية ٣٨ .

٢ -Do you Believe documentary, Mofti Sheikh, Dr. Ali Gom'a, ٢٠٠٧, Produced by: Salma Hassaballa.

هدأت الناس في القاعة فأكمل دين قائلا:

دين

يا سيادة القاضي، إذا قرأت القرآن بلغته الأصلية سوف تدهش من توافق القرآن مع قدرات العقول في أي فترة من الزمان، فكما يتوافق مع التفكير البسيط لساكني الصحراء أيام نزول الرسالة فهو يتوافق أيضًا وبطريقة مذهلة مع جميع جوانب العلوم الحديثة بما في ذلك الفيزياء وعلم الكونيات وعلم الفلك وعلم الحيوان والطب وحتى علم الأجنة.

القاضي

وماذا ذكر القرآن عن علم الأجنة؟

دين

﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأنثى مِن نُّطْفَةٍ إِذا تُمْنَى﴾[1].

العلوم

هذا مطابق لمعلوماتنا، فإننا نعرف الآن أن الحيوان المنوي الذي يُمنى هو الذي يحدد جنس المولود إن كان ذكرًا أو أنثى وليس البويضة، فهو يحتوي تحديد الجنس "sex determination factor"[2]

١- القرآن الكريم، سورة النجم ورقمها ٥٣، آية ٤٥ – ٤٦.

٢- دكتور مصطفى محمود، القرآن محاولة لفهم عصري، قصة الخلق، دار مايو الوطنية للنشر، ٢٠٠٢، صفحة ٦٦.

دين

لقد ذكر أيضًا في القرآن آيات أخرى خاصة بالتناسل الإنساني وتطور الجنين في الرحم مثل: ﴿خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾[1]، ومثل: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾[2].

العلوم

هذا الوصف يتفق تمام الاتفاق مع ما يقرره العلم الحديث في هذا الصدد، ولذلك آمن العالم الكبير (كيث مور) كما آمن غيره من العلماء والمفكرين[3] بصدق رسالة محمد.

القاضي

من هو (كيث مور) وكيف آمن بالرسالة؟

١-القرآن الكريم، سورة العلق ورقمها ٩٦، آية ٢.

يوجد خطأ جسيم في عديد من النسخ المترجمة للقرآن لهذه الآية، فكلمة علق ترجمت إلى تجلط الدم! ولكننا كعرب نعلم جيدا أن كلمة علق تعني الشيء يعلق بشيء آخر.

Dr. Maurice Bucaille, The Bible, The Qur'an, and science, Human Reproduction, DarulFikr, Page ٢٠٤.

٢- القرآن الكريم، سورة المؤمنون ورقمها ٢٣، آية ١٢ – ١٤.

٣- اعتنق عدد من العلماء الإسلام مثل دكتور جيفري لانج، أستاذ الرياضيات في جامعة كانسس وجراح العيون دكتور لورنس براون والجراح الفرنسي دكتور موريس بوكاي والأستاذ الجامعي البريطاني عبد الحكيم مراد أو تيموثي وينتر وغيرهم.

الفصل الثاني عشر

رب واحد ودين واحد.

القاضي

ماذا تعني؟

العلوم

لا يوجد زمن مطلق، فالزمن نسبي .. وقد اكتشف أينشتاين العلاقة بين الزمن والسرعة، فكلما زادت السرعة يحدث تمدد في الزمن dilatation of time

فعلى سبيل المثال لو قُدِّر لواحد أن يسافر بصاروخ سرعته ١٦٧٠٠٠ ميل في الثانية ليقضي في سفريته عشر سنوات، فإنه سوف يكتشف أنه كبر في العمر خمس سنوات فقط، إنه يكبر ببطء؛ لأن الزمن في السرعات العالية يبطئ من إيقاعه لتصبح العشر سنوات خمس سنوات.[١]

القاضي

وماذا يحدث إذا أسرع الجسم حتى وصل إلى سرعة الضوء؟

العلوم

وإذا وصلنا إلى سرعة الضوء يقف الزمن، أي أن الساعة الملصقة بجسم متحرك تتأخر في الوقت كلما زادت سرعة الجسم حتى تتوقف تمامًا إذا بلغ سرعة الجسم سرعة الضوء، ولكن طبعًا لا يستطيع أي جسم أن يتحرك بسرعة

١ - الدكتور مصطفى محمود، أينشتاين والنسبية، صفحة ٥٥.

الضوء؛ وذلك لأنه إذا زادت السرعة زادت الكتلة، فإذا وصل الجسم إلى سرعة الضوء تكون كتلته لا نهائية وبالتالي ستصبح مقاومته للحركة Inertia لا نهائية، وبالتالي يتوقف.

قام شاب في العشرين وسط الحضور ليقول:

أحد الحضور

ربما يمدنا الله بأجساد نورانية في العالم الآخر فنتحرك بسرعة الضوء فيتوقف الزمن بالنسبة لنا.

العلوم

معذرة، لا أستطيع أن أعقب في غيب لا أعرفه.

قامت امرأة بين الحضور:

امرأة

وإذا تحرك جسم أسرع من سرعة الضوء ماذا سيحدث؟

العلوم

هذا الجسم سيخترق حاجز الزمن ويدخل في الماضي، ولكن هذا نظريًا فقط؛ لأنه في الواقع لا يمكن أن يحدث.

القاضي

هذا يعني أننا لا نرى الأشياء على حقيقتها، ولا يوجد شيء مطلق، لا يمكن أن نفرض كلمة مثل "الآن" في الكون كله.

معنى كلمة "الآن" هو تواقت حدثين، وحدوثهما معًا في ذات اللحظة، فإن هذا التواقت لا يمكن أن يحدث بين أنظمة مختلفة لا اتصال بينها في هذا الكون الشاسع؛ لأن الزمن يختلف حسب السرعة والمكان أيضًا.

وسوف أعطيك مثالا آخر، فبعض النجوم التي نراها بالتلسكوب في أعماق السماء تبعد عنا بمقدار ٥٠٠ مليون سنة ضوئية، أي الضوء المنبعث منها يحتاج إلى ٥٠٠ مليون سنة لكى يصل إلى عيوننا، وبالتالي فالضوء الذي نلمحها به هو ضوء خرج منها منذ هذا العدد الهائل من السنين، فنحن لا نراها في الحقيقة ولكن نرى ماضيها السحيق الموغل في القدم، أما ماهيتها الآن، فالله وحده يعلم، وربما تكون قد انفجرت واختفت وانطفأت[١]، وبالتالي ما نراه الآن هو موقع النجوم!

دين

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾[٢].

أحد الحشود

يبدو أن هذا القرآن مطابق لروح العصر.

١- دكتور مصطفى محمود، أينشتاين والنسبية، صفحة ١٢ .

٢ - القرآن الكريم، سورة الواقعة ورقمها ٥٦، آية ٧٥ - ٧٦.

دين

إنه يطابق لكل عصر.

المدعي

هذا ليس حقيقيًا، فقد سن هذا الدين نظمًا اقتصادية لا تتماشى مع روح العصر الذي نعيشه، بدليل أن أنظمة البنوك العالمية لا تتعامل بالأنظمة التي شرعها الدين الإسلامي.

القاضي

ما رأيك يا آنسة علوم؟

العلوم

لا تتعامل معظم البنوك بالنظم التي شرعها الدين الإسلامي، ربما حدث ذلك ليكون صالحًا لفئة معينة، ولكن في وقت الأزمة العالمية عام ٢٠٠٨ لم يكن في وسعهم إلا أن يشيدوا بنظام الاقتصاد الإسلامي؛ إذ اعترفت خبيرة الاقتصاد العالمية (لوريتا نابليوني) أثناء هذه الأزمة أن اقتصاد الغرب ينهار، والحل البديل والوحيد هو النظام المالي الإسلامي[١].

وقد نشر الفاتيكان في جريدته الرسمية "L'osservatore romano"، في العدد ٥ مارس ٢٠٠٩ مقالا بعنوان: "مقترحات وأفكار التمويل الإسلامي للغرب"

١ http://www.youtube.com/watch?v=dgW٦o٩cOBvI.

"Islamic finance proposals and ideas for the West in crisis "

وذكـر فيـه أن النظـام المصـري في الإسـلامي يسـاعد علـى حـل الأزمة العالمية، وقال الفاتيكان إنه علـى البنـوك أن تنظـر إلـى القواعـد الأخلاقيـة للتمويـل الإسـلامي لاستعادة الثقـة بـين عملائهـا في وقـت الأزمـة الاقتصـادية العالميـة، وقـد ذكـرت (كلوديـا سـيرج) في المقـال أن "البنـوك الغربيـة يمكـن أن تسـتخدم أدوات مثـل السـندات الإسـلامية، المعروفـة باسـم الصكوك، كضمان. ويمكن استخدام الصكوك لتمويل صناعة السيارات أو الألعاب الأولمبية المقبلة في لندن".

نظر القاضي إلى المدعي العام قائلا:

القاضي

هل لديك أسئلة أخرى للشاهدة؟

قال المدعي العام وهو ينظر إلى الحضور:

المدعي

أيها السادة والسيدات، فليقل لنا أحدكم عن آية في القرآن تنافي العلوم.

لم يعقب أحد من الحضور فقال دين:

دين

لن تجد آية في القرآن تنافي العلوم في أي زمان... بل العديد من الآيات القرآنية تحتوي إعجازًا علميًا مدهشًا؛ لأن الذي أنزل الكتاب هو الذي خلق الكون بقوانينه وأحيائه... ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ...﴾.[1]

المدعي

لا يوجد مزيد من الأسئلة.

القاضي (وهو ينظر إلى الآنسة علوم)

هل لديكِ أقوال أخرى؟

العلوم

لا يا سيادة القاضي.

القاضي

الشاهدة يمكنها الانصراف.

نزلت الآنسة علوم لتأخذ مكانها بين الحاضرين.

١- القرآن الكريم، سورة فصلت ورقمها ٤١، آية ٥٣.

الفصل الحادي عشر

{... وَمَا يَذَّكَّرُ إلاَّ أولوا الألباب}[1]

١- القرآن الكريم، سورة البقرة ورقمها ٢، آية ٢٦٩.

الفصل الحادي عشر

صاح كاتب المحكمة قائلا:

كاتب المحكمة

الشاهد التالي.

دخل القاعة السيد منطق، وتقدم أمام منصة القاضي.

كاتب المحكمة

ردِّد القسم.

المنطق

أقسم بالله العظيم أن أقول الحق.

اقترب المدعي العام من السيد منطق قائلا:

المدعي

المسلمون دائمًا يتباهون بأن عقيدتهم تناقش الحجة والمنطق، فهل ترى هذا يا سيد منطق؟

المنطق

القرآن كتاب فريد في مخاطبة العقول، فكلما عرض الله غيبا عرضه بحجة دامغة ليثبت به قلب المؤمن فيرسخ عنده كعقيدة لا تتزعزع، فمثلا عندما تكلم عن البعث ذكر آيات عديدة حاسمة ومنها:

﴿وَضَرَب لَنَا مَثلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ، قُلْ يُحيِيهَا الَّذي انشَأهَا أوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بكُلِّ خلْقٍ عَلِيمٌ﴾[1] هذه الآية تخاطب العقل بالمنطق، فمن يستطيع أن يصنع شيئًا قادر على أن يكرره.

﴿يُخرِج الْحيَّ مِنَ الْمَيِّت وَيُخرِج الْمَيِّت مِنَ الْحيِّ وَيُحيِي الأرْضَ بعْد مَوْتِهَا وَكَذلِكَ تُخرَجونَ﴾[2] هذه الآية تخاطب العقل عن طريق الاستنتاج المبني على التجربة ... فإذا رأيت الأرض الميتة تدب فيها الحياة فلم تستبعد أن يبعث الله الحياة في رفات الميت.

﴿لَخلْقُ السَّمَاوَات وَالأرْضِ أكْبرُ مِنْ خلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾[3] ومن يدرك حجم الكون الشاسع بمجراته ونجومه وقوانينه يدرك أن خالق هذا الكون لقادر على أن يعيد الناس.

﴿وَمَا يَسْتوِي الأعْمَى وَالْبصِيرُ وَالَّذينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحات وَلا الْمُسِيءُ قَلِيلا مَّا تتذكَّرُونَ إنَّ السَّاعَةَ لآتيَةٌ لَّا رَيْب فِيهَا وَلَكِنَّ أكْثَرَ النَّاسِ لا يُؤْمِنُونَ﴾.[4] هذه الآية تخاطب الضمير الساكن بداخل الإنسان، فشوقه إلى العدل دليل على وجود البعث.

---

١ - القرآن الكريم، سورة يس ورقمها ٣٦، آية ٧٨ – ٧٩.

٢- القرآن الكريم، سورة الروم ورقمها ٣٠، آية ١٩.

٣- القرآن الكريم، سورة غافر ورقمها ٤٠، آية ٥٧.

٤- القرآن الكريم، سورة غافر ورقمها ٤٠، آية ٥٨ – ٥٩.

﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثًا وأنكم إلينا لا ترجعون﴾[1] هذا تفنيد لهؤلاء الذين يظنون إن هي إلا أرحام تدفع، وأرض تبلع وما يهلكهم إلا الدهر.

وعندما تكلم عن وحدانية الله قال تعالى:

﴿مَا اتَّخذ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خلَقَ وَلَعَلا بعْضُهُمْ عَلَى بعْضٍ سُبحانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[2]

﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لأَّبتغَوْا إِلَى ذي الْعَرْشِ سَبِيلاً﴾.[3]

﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتا فَسُبحانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[4].

وعندما حرم الخمر والميسر قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيد الشَّيْطَانُ أن يُوقِعَ بينَكُمُ الْعَداوَةَ وَالْبغْضَاء فِي الْخمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أنتُم مُّنتهُونَ﴾[5].

وهكذا فكلما ذكر الله عقيدة أو سن حكمًا ناقشه بالمنطق والحجة.

١- القرآن الكريم، سورة المؤمنون رقمها ٢٣، آية ١١٥.

٢- القرآن الكريم، سورة المؤمنون ورقمها ٢٢، آية ٩١.

٣- القرآن الكريم، سورة الإسراء ورقمها ١٧، آية ٤٢.

٤- القرآن الكريم، سورة الأنبياء ورقمها ٢١، آية ٢٢.

٥- القرآن الكريم، سورة المائدة ورقمها ٥، آية ٩١.

دين

﴿أفَلا يَتدبَرُونَ الْقُرْآنَ امْ عَلَى قُلُوب أقْفَالُهَا﴾[1].

﴿أفَلا يَتدبَرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِند غَيْرِ اللَّهِ لَوَجدواْ فيه اختلافًا كَثيرًا﴾[2].

المدعي

لا يزال هناك تناقض في الإسلام ... فالإسلام يعلمنا الإيمان بالقدر وفي نفس الوقت يحاسبنا.... فإذا كان قد قدر لي أفعالي، فلماذا أحاسب؟

المنطق

أفعالك معلومة عند الله في كتابه ولكنها ليست مقدورة عليك بالإكراه... إنها مقدرة في علمه فقط ... كما تقدر أنت بعلمك أن ابنك سوف يرسب في الامتحان لكسله، ثم يرسب ابنك بالفعل ... فهل أكرهته ... أو كان هذا تقديرًا في العلم وقد أصاب علمك[3]

المدعي

بما أن عقيدة المسلم منطقية كما تدعون... إذن ما الحكمة في أن يصلي المسلمون خمس مرات في اليوم، ولم لا تكون الصلاة ست أو أربع مرات مثلا؟[4]

---

١ – القرآن الكريم، سورة محمد ورقمها ٤٧، آية ٢٤.

٢ – القرآن الكريم، سورة النساء ورقمها ٤، آية ٨٢.

٣- الدكتور مصطفى محمود، حوار مع صديقي الملحد، إذا كان الله قدر لي أفعالي فلماذا أحاسب ؟ دار المعارف، ١٩٩٧، صفحة ١٣.

٤- سؤال من أحد مسلمي العرب.

دين

الصلاة عبادة يا سيادة المستشار وليست عقيدة، إذا آمنت بالله ورسوله ورسالاته فما وجه الغرابة في أن تطيعه في أوامره وعباداته؟ فأنت إذا اقتنعت بالطبيب فلا غرابة في أن تتبع إرشاداته، وإذا اقتنعت بالمدرس فلا غرابة أن تتبع واجباته.

القاضي

لا تجاوب يا دين إلا إذا وجه لك السؤال... أجب يا سيد منطق.

المنطق

يا سيادة المستشار... لم تغسل أسنانك مرتين وليس أربعة... ولم تأكل ثلاث مرات وليس خمسة... ولم تذهب للتريض ثلاث مرات في الأسبوع مثلاً؟[1]

المدعي

هذه ضروريات لا بدّ أن ألتزم بها.

المنطق

فما بالك بالصلاة؟

١ -Prof. Stelzer Quote, Head of the Philosophy department, AUC.

دين

والله موجـود في كـل مكـان ... فـالأرض مسـجد كبيـر ﴿...فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ...﴾[1].

المدعي

إذا كان الله موجودًا في كل مكان كما يدعي دين... إذن لماذا الهجرة إليه في مكة أثناء الحج؟

المنطق

الحقيقة أن الله قريب من البشر في كل مكان وزمان، هو أقرب إليهم من الدم الذي يجري في عروقهم، فقد قال الله تعالى: ﴿...وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾[2] ولكنهم مشغولون على الدوام بغيره، فهم الذين يبتعدون عنه... ولكن الهجرة على القدمين وتكبد المشقات والنفقات، هي الوسيلة المادية للخلوص من شواغل الدنيا وتفريغ القلب لذكر خالقه، ولإيقاظ الحواس على حقيقة هذا القرب القريب لله[3].

المدعي

وما السر في ثياب الإحرام البيضاء؟ وما معنى رجم إبليس؟ ألا ترى معي أنها بقايا وثنية؟

١- القرآن الكريم، سورة البقرة ورقمها ٢، آية ١١٥.

٢ - القرآن الكريم، سورة ق ورقمها ٥٠، آية ١٦.

٣ - الدكتور مصطفى محمود، الإسلام ما هو، الحج، دار أخبار اليوم - قطاع الثقافة، ٢٠٠٨، صفحة ٣٨.

المنطق

أما ثياب الإحرام البيضاء فهي رمز الوحدة الكبرى التي تذوب فيها الأجناس ويتساوى فيها الفقير والغني.. وهي أيضًا رمز للتجرد؛ لأن لحظة اللقاء بالله تحتاج إلى التجرد، فنحن أمام جلال الله لا شيء.. وعلينا أن نخلع كل ثياب الغرور والزينة. ولهذا قال الله لموسى:

﴿..فَاخلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾[1].

المدعي

وعن رجم إبليس؟

المنطق

أنت تضع باقة ورد على النصب التذكاري للجندي المجهول، وتلقي خطبة لتحيته، هل أنت وثني؟

القاضي

لا تطرح مزيدًا من الأسئلة يا سيد منطق.

المنطق

يا سيادة المستشار، أنت تعلم أن النصب التذكاري مجرد رمز، وأنه ليس الجندي، والمسلم يعلم أيضًا أن هذا التمثال رمز وأنه ليس الشيطان، وبالمثل السعي بين الصفا والمروة إلى

---

١ – القرآن الكريم، سورة طه ورقمها ٢٠، آية ١٢.

حيث نبعت عين زمزم التي ارتوى منها إسماعيل وأمه هاجر.... هي إحياء ذكرى عزيزة ويوم لا ينسى في حياة إسماعيل وأمه المصرية هاجر.

والمسلمون يقدسون الكعبة كرمز لا كحجارة[1].

دين

وهم يؤدون مناسك الحج امتثالا لأمر الله الواحد الأحد، ولقد قال الصحابي عمر بن الخطاب رضى الله عنه بعد أن قبّل الحجر الأسود: "إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبّلتك"[2].

المنطق

في الحقيقة أنا مبهور بالقدرة البشرية على الإيمان، ولكن للأسف في هذه الأيام نجد بعضًا من الناس يحقر من قدر الإيمان بقولهم: "إن الإيمان يمثل ضعفًا تجاه شيء ما"، ولكني أعتقد أن الإيمان مصدر قوة، فهو ليس ضعفًا على الإطلاق، ربما يجعل صاحبه أكثر إدراكًا من حواسه المحدودة، أنا لست على استعداد أن أقول إن أجيالا وأجيالا من البشر كانوا أغبياء؛ لأنهم لم يستطيعوا أن يدركوا شيئًا أفضل من الإيمان.

وإني أتساءل وأنا مندهش من أين تأتي قدرة الإيمان؟

---

١ – الدكتور مصطفى محمود، الإسلام ما هو، الحج، دار أخبار اليوم – قطاع الثقافة، ٢٠٠٨، صفحة ٣٠، ٣١، ٤٥.

٢– الإمام البخاري في (كتاب الحج) من صحيحه، باب ما ذكر في الحجر الأسود.

المدعي

سأرد عليك علمياً من أين أتت قدرة الإيمان.. يشير علماء النفس أنه كما تطور جهاز العين للرؤية وتطور الجناح للطيران، تطور المخ أيضًا إلى مجموعة من الأجهزة أو وحدات للتعامل مع مجموعة من الاحتياجات، هناك وحدة للتعامل مع القرابة، ووحدة لمعالجة المعاملات، ووحدة للتعامل مع المشاعر، وهكذا، فقد يكون الدين ناتجًا عن إخفاق عدد من هذه الوحدات، هذا فضلًا عن أن الأطفال لديهم ميل للإيمان عن البالغين، وهذا يشير إلى أن الإيمان متجذر في المخ وبالطبع يؤدي إلى استعداد طبيعي لاحتضان الأفكار الدينية[1].

دين (ميتسماً)

﴿... وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا...﴾[2].

المنطق

أجدك تعترف يا سيادة المستشار بأن وجود الله من البديهيات التي يدركها الإنسان بفطرته، ويهتدي إليها بطبيعته، لكنك ترفض أن تعترف بالسبب الحقيقي وراء هذا على الرغم من بساطته وهو أن الله خالقهم، فأخذت تختلق

1 -Richard Dawkins, The God Delusion, Chapter ٥, Bantam Press, ٢٠٠٦, Page ١٧٩ – ١٨٠.

٢- القرآن الكريم، سورة يوسف ورقمها ١٢، آية ٢٦.

أسباب واهية تبنيها على نظريات معقدة وتفسيرات عويصة ليس لها أساس من الصحة لتعلل إيمانهم الفطري.

دين

﴿صِبغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أحسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبغَةً...﴾[1].

المدعي

إذا كان الإيمان بالله من البديهيات التي يدركها الإنسان لأنه خالقهم، فلماذا كفر به بعض الناس؟

المنطق

لشدة قربه وشدة ظهوره، فإننا نعلم الأشياء بأضدادها، ولكن وجود الله ليس له ضد، فالله تعالى هو أظهر الأمور، وبه ظهرت الأشياء كلها، ولو كان له عدم أو غيبة أو تغير لانهدمت السماوات والأرض، وبطل الملك والملكوت، ولأدركت بذلك التفرقة بين الحالتين، ولو كان بعض الأشياء موجوداً به، وبعضها موجوداً بغيره لأدركت التفرقة بين الشيئين في الدلالة، لكن دلالته عامة في الأشياء على نسق واحد[2].

ولهذا يمكن أن يتسلل الشك في بعض النفوس، ومع الأسف يصر الجاهلون منهم على جهلهم بعنادهم حتى إذا تبين لهم الحق؛ لأن الأهواء عمت فأعمت.

١- القرآن الكريم، سورة البقرة ورقمها ٢، آية ١٣٨.

٢- الشيخ محمد الغزالي، عقيدة المسلم، لماذا كفروا؟ نهضة مصر، الطبعة السادسة ٢٠٠٧، صفحة ٣٠.

دين

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[1].

هدأت القاعة ... ثم قامت امرأة شقراء تبدو أنها غريبة الملامح من بين الحاضرين لتقول:

امرأة بين الحاضرين

يا سيد منطق ... الدين الإسلامي نزل على نبي عربي وبلسان عربي، ربما يكون الإسلام أكثر ملاءمة للعرب.

المنطق

صحيح أن القرآن عربي ونبي الإسلام عربي، ولكن الدين الذي جاء به لا جنسية له.

وأى جنسية لدين يخاطب العقل حيث كان، ويبنى أدلته على النظر في فجاج الأرض والسماوات[2].

نظر القاضي إلى المدعي العام قائلا:

القاضي

هل لديك أسئلة أخرى للشاهد؟

---

١ - القرآن الكريم، سورة غافر ورقمها ٤٠، آية ٥٦.

٢- الشيخ محمد الغزالي، عقيدة المسلم، النبي الإنسان، نهضة مصر، الطبعة السادسة ٢٠٠٧، صفحة ٢٠٠ .

المدعي

لا يوجد مزيد من الأسئلة.

القاضي

الشاهد يمكنه الانصراف.

نزل المنطق ليأخذ مكانه بين الحاضرين.

العلوم

كيث مور هو أستاذ فخري في قسم التشريح في كلية الجراحة في جامعة تورونتو/ كندا، وهو وكيل للعلوم الطبية الأساسية في كلية الطب بالجامعة، وكان رئيس قسم التشريح من عام ١٩٧٦ – ١٩٨٤ وهو أحد المؤسسين للجمعية الأمريكية لعلماء التشريح العملي AACA وكان رئيسًا عليها بين عامين ١٩٨٩ و١٩٩١، في مؤتمر عقد بالقاهرة قدم بحثًا وذكر فيه الآتي: "قد كان من دواعي سروري أن أشترك في توضيح تصريحات جاءت في القرآن الكريم حول نمو الإنسان، فمن الواضح لي أن هذه التصريحات جاءت من الله إلى محمد؛ لأنه لم يتم اكتشاف هذه المعلومات إلا بعد مرور قرون عديدة بعد حياة محمد، هذا يثبت لي أن محمدًا لا بدَّ أن يكون رسولا من عند الله".[١]

علا همس الناس في قاعة المحكمة، ولكن ظل الغالبية يتفكرون

المدعي (بصوت ماكر)

يا آنسة علوم، القرآن يؤكد أن الكون خلق في ستة أيام، هل لديك أدلة علمية تدعم هذا؟

العلوم

لا أستطيع أن أحدد بدقة الوقت الذي خلق فيه الكون، لكن الأمر استغرق مليون سنة لكي يتشكل الهيدروجين والهيليوم[٢].

---

١ -http://www.youtube.com/watch?v=rdiHhV٧F٧W٤.

٢ -http://en.wikipedia.org/wiki/Graphical_timeline_of_the_Big_Bang

دين

أود أن أضيف معلومة يا سيادة القاضي.

القاضي

تفضل.

دين

فى القرآن كلمة يوم لا تعني الفترة الزمنية بين شروقين متعاقبين أو غروبين متعاقبين للشمس لسكان الأرض، إنها تعني فقط فترة زمنية، هذا المعنى لكلمة يوم، علمناه من مواطن أخرى في القرآن الكريم، فمثلا في سورة السجدة آية ٥ نجد الآتي: ﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاء إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾. أيضا سورة المعارج آية ٤ تنص: ﴿تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾.[١]

العلوم

يا سيد دين، ما ذكرت للتو يتفق مع قانون النسبية لأينشتاين الذي توصل إليه في بداية القرن العشرين، حين أثبت أن الزمن نسبي، ويعتمد على الكتلة والسرعة وبالنسبة لمن يرصدهما.

١ -Dr. Maurice Bucaille, The Bible, The Qur'an and Science, The Creation of the Heavens and the Earth, Darulfikr, Page ١٣٤-١٣٥.

الفصل الثاني عشر

نظر القاضي إلى المدعي العام وقال:

القاضي

يمكنك استدعاء الشاهد التالي.

المدعي

أنا بحاجة أن أكمل الأسئلة مع دين.

القاضي

تفضل.

ثم نظر القاضي إلى كاتب المحكمة وأعطاه إشارة ليأخذ دين خارج قفص الاتهام مرة أخرى.

المدعي

القرآن يدعي أن أتباع موسى وعيسى كانوا مسلمين، حتى إنه ادعى أن إبراهيم نفسه كان مسلمًا، هل نرى كلمة إسلام في أي نص من نصوص الكتاب المقدس؟

دين

في سفر المزامير يقول النبي داود " فِي يَدِكَ أَسْتَوْدِعُ رُوحِي..."[1] هكذا أسلم نفسه لله. كما ترون أن الأنبياء - بما فيهم موسى وعيسى عليهم السلام وأتباعهم - هم الذين

---

١ - الكتاب المقدس- سفر المزامير - إصحاح ٣١، آية رقم ٥.

يثقون تمامًا وينحنون إلى إرادة الله، إذا ترجمت هذا الوصف إلى اللغة العربية سوف تحصل على كلمة مسلم (وهي تعني الإنسان الذي يسلم نفسه إلى الله).

قام رجل عجوز من بين الحاضرين قائلا:

أحد الحاضرين

لقد استمعت إلى حاخام بن إبراهامسون Ben Abrahamson، وهو مؤرخ وخبير استشاري للمحكمة الحاخامية Rabbinical court في القدس وكان يقول:

"هناك الجانب السياسي لجميع الأحداث التي تحدث في العالم اليوم، وهناك أيضًا جانب آخر وهو التعاليم التي درسناها كيهود منذ الصغر، أحد هذه التعاليم تنص على أن موسى بن ميمون[1] Maimonides علمنا أن دين الإسلام هو العودة إلى دين إبراهيم (دين التوحيد)[2].

يظن بعض الناس أن هناك أشياء غير سليمة في الإسلام على سبيل المثال إلقاء الحجارة في الحج، فهم يقولون أنها بقايا وثنية ... ولكننا تعلمنا أنه لا يوجد مسلم واحد في العالم يؤدي أي من مناسك الحج بدافع الوثنية، لا بالقول ولا بالفعل بل تسلم قلوبهم جميعًا إلى السماء[3]، ولذلك اليهود

١ - موسى بن ميمون من أكبر الفلاسفة اليهود ولقد عاش في القرن الثاني عشر الميلادي.

٢ -(Teshuvot ha-Rambam ٢, no. ٢٩٣).

٣ -(Teshuvot ha-Rambam, no. ٤٤٨).

الملتزمون تعلموا أن يكنوا كل الاحترام للمسلمين الملتزمين، ونحن نسمي المسلمين بأتباع نوح، وإذا كانت جذور الإسلام تتطابق مع ما جاء به النبي نوح، إذن فبالنسبة لنا فالإسلام أقدم بكثير مما نعرفه، فهو دين نوح وآدم، كان دائمًا علماء الكتاب المقدس يفهمون هذا التقارب بين الإسلام واليهودية حتى السنوات الأخيرة، ولكن تغير هذا عند مجيء بعض المراجعين الألمان لأنهم أشاعوا أن الإسلام له علاقة بعبادة القمر والصخور، ولكن اليهودي المتدين يعرف جيدًا أن هذا ليس صحيحًا، وفي الشريعة اليهودية نعتقد أن المسلمين موحدون مثاليون، وهم يعبدون نفس الإله الذي نعبده"[1].

دين

إنه دين واحد يا سيادة القاضي، فالقرآن يقول: ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[2].

قام شاب في وسط القاعة قائلا:

١-http://www.youtube.com/watch?v=GzoMJfJCR٠I&feature=related.

٢- القرآن الكريم، سورة (آل عمران ورقمها ٣، آية ٨٤).

أحد الحاضرين

كيف لا نفرق بين محمد والمسيح.... فشتان بين ما نادى به المسيح من تسامح ومحبة وما جاء به محمد!

وقف الصبي نور ليقول له في هدوء:

نور

قام أعداء الإسلام بتشويه صورة النبي وما جاء به، ولكن لم يتمكنوا من طمس الحقائق، فمن يقرأ القرآن والسيرة النبوية بغرض البحث عن الحق ينأ عن هذا الزيغ، قال (برنارد شو) بعد التحقق الآتي:

"العالم في مسيس الحاجة إلى رجل بفكر محمد، فالمتدينون في العصور الوسطى بداعي جهلهم وإغراضهم رسموا لدين محمد صورة قاتمة، إذ كانوا يعدونه عدوًا للمسيحية، لكني بعد ما أمعنت في سيرة هذا الرجل وجدته إنسانًا عظيمًا، وخلصت إلى أنه ما كان أبدًا عدوًا للمسيحية، والأحرى أن نسميه منقذ البشرية، وأرى لو تولى أمر العالم اليوم لحل مشاكلنا وضمن الأمن والسلام والسعادة التي يتوق لها العالم"[1].

١- Sir George Bernard Shaw in 'The Genuine Islam,' Vol. ١, No. ٨, ١٩٣٦.

أما كاريل فقد قال: "لقد أصبح من أكبر العار على أي فرد متحدث في هذا العصر أن يصغي إلى ما يقال من أن دين الإسلام كذب، وأن محمدًا خدّاع مزوِّر، يجب علينا أن نحارب ما يشاع من مثل هذه الأقوال السخيفة المخجلة"[1].

ويوجد غيرة من أفضل مفكري وفلاسفة وأدباء وسياسيين وعلماء العالم الذين شهدوا للنبي محمد بعد تحققهم من الرسالة.

دين

شهادة العالم أجمع لا تقارن بشاهدة الخالق لرسوله، فقد قال تعالى في كتابه الكريم: "وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ"[2].

علا صوت الحاضرين في القاعة فقال دين:

دين

إنه دين واحد يا سيادة المستشار ... ولقد علم هذا النجاشي ملك الحبشة في عهد النبي، فعندما سمع بعض ما جاء به النبي محمد بلل بكاؤه لحيتة وقال: "هذا الكلام والذي جاء به يسوع ليخرجان من مشكاة واحدة".

---

١ -The British philosopher & a Nobel prize winner: Thomas Carlyle , "Title: Heroes and Hero Worship", LECTURE II. THE HERO AS PROPHET. MAHOMET: ISLAM., May ٨, ١٨٤٠.

٢- القرآن الكريم، سورة القلم ورقمها ٦٨، آية ٤.

المدعي

إذا كانت كما ذكرت الرسالات جميعها دين واحد، إذن فيجب علينا أن نتوقع ذكر اسم محمد كنبوءة في أي نص من نصوص الكتاب المقدس، ولكن هذا لم يحدث.

دين

قال الله في القرآن: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ...﴾.[1]

كما ترى لقد حدث ذلك ولكن أنكره بعض الناس، تمامًا مثل يسوع عندما حقق نبوءة المسيح، ومع ذلك أنكره مجموعة أخرى من الناس.

القاضي

هل ذكر عيسى شيئًا عن محمد قبل رحيله؟

دين

إنجيل يوحنا هو الإنجيل الوحيد - من بين الأناجيل التي في أيديكم الآن - الذي سرد أقوال المسيح في نهاية العشاء الأخير، وذلك في آخر أحاديثه إلى الحواريين في خطبة طويلة، منها "إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَنِي فَاحفَظُوا وَصَايَايَ، وَأَنَا أَطْلُبُ

١- القرآن الكريم، سورة الأعراف ورقمها ٧، آية ١٥٧.

مِنَ الآب فَيُعْطِيكُمْ مُعَزِّيًا Paraklet آخَرَ لِيَمْكُثَ مَعَكُمْ إِلَى الأَبَدِ"[1].

أحد الحضور

وما المقصود بمعزيا[2]؟

دين

إنجيل يوحنا يوضح أن معنى معزي هو روح القدس كما يلي: "وَأَمَّا الْمُعَزِّي، الرُّوحُ الْقُدُسُ، الَّذِي سَيُرْسِلُهُ الآب باسْمِي، فَهُوَ يُعَلِّمُكُمْ كُلَّ شَيْءٍ، وَيُذَكِّرُكُمْ بِكُلِّ مَا قُلْتُهُ لَكُمْ"[3].

أحد الحضور

ولكن المسيح أكمل كلامه قائلا: "وَأَمَّا مَتَى جَاءَ ذَاكَ، رُوحُ الْحَقِّ، فَهُوَ يُرْشِدُكُمْ إِلَى جَمِيعِ الْحَقِّ، لأَنَّهُ لا يَتَكَلَّمُ مِنْ نَفْسِهِ، بَلْ كُلُّ مَا يَسْمَعُ يَتَكَلَّمُ بِهِ، وَيُخْبِرُكُمْ بِأُمُورٍ آتِيَةٍ."[4]

كيف ننسب إلى الروح القدس القدرة على الكلام مع الناس وإعلان للناس كل ما يسمع؟

---

١ – الكتاب المقدس –إنجيل يوحنا – إصحاح١٤، آية رقم (١٥ – ١٦).

٢ – اليهود الهلنستيين الذين عاشوا في الأسكندرية بعد عصر أفلاطون كانوا يقصدون بالمعزى معنى: الوسيط أو المدافع أو المحامي.

٣– الكتاب المقدس – إنجيل يوحنا – إصحاح ١٤، آية ٢٦، أما في رسالة يوحنا الأولى – إصحاح ٢، آية رقم ١ ، فكلمة المعزى أو Paraklet تعني المسيح.

٤– الكتاب المقدس – إنجيل يوحنا – إصحاح ١٦، آية رقم ١٣.

قام الصبي نور ليقول:

نور

ذلك يقودنا بكل معقولية إلى أن نرى المعزي أو Paraklet عند يوحنا "كائنًا بشريًا" مثل المسيح يتمتع بامتلاك حاسة السمع والقدرة على تلقي كلام الله وحيًا إلهيًا كما يتمتع بملكة القدرة على الكلام مع الناس لينقل كلام الله إليهم، وهما الحاستان اللتان تتضمنهما نصوص إنجيل يوحنا المشار إليها في هذا الصدد بكل حسم ووضوح.[1]

القاضي

كلامك يا نور ليس قاطعاً.... ألم يذكر الكتاب المقدس شيئًا آخر عن النبي محمد؟

دين

وفقًا لسفر التثنية، نقل موسى وحي الله بهذه الكلمات: "أُقِيمُ لَهُمْ نَبِيًّا مِنْ وَسَطِ إِخْوَتِهِمْ مِثْلَكَ، وَأَجْعَلُ كَلامِي فِي فَمِهِ، فَيُكَلِّمُهُمْ بِكُلِّ مَا أُوصِيهِ بِهِ"[2].

كما ترون، النبي المعني في هذه النبوءة يجب أن يكون من إخوة بني إسرائيل وأنه يكون مثل موسى، من الواضح أن النبي محمد حقق هذه النبوءة؛ لأن جده إسماعيل شقيق بني

---

١ -Dr. Maurice Bucaille, The Bible, the Quran and the science, , P. ١٠٢-١٠٦.

٢- الكتاب المقدس - سفر التثنية - إصحاح ١٨ ، آية رقم ١٨ .

إسـرائيل وأنـه مشـابه لموسـى في جوانـب كثيـرة، علـى سـبيل المثال؛ كل منهما له آب (خلاف يسوع)، أتباعهم كانوا يـرونهم أنبيـاء وليسـوا خالـدين، كـل منهمـا تـزوج وكـان لـه ذريـة، كـل منهما رأس قومه، كل منهما هجر بقومه بعد التعرض لبطش شديد، كل منهمـا انتصـر علـى أعدائـه، كل منهمـا تـوفي وفـاة طبيعية ودفن[1].

خيم الصمت على القاعة، ثم أكمل دين:

دين

وفي موضـع آخـر أخبرنـا الكتـاب المقـدس أن اليهـود كـانوا يتوقعون مجيء النبي، حينما سأل الفريسيون يوحنا المعمدان كما يلي:

"وَهذهِ هِيَ شَهَادَةُ يُوحنَّا، حِينَ أرْسَلَ الْيَهُود مِنْ أورُشَلِيمَ كَهَنَـةً وَلاوِيِّينَ لِيَسْألُوهُ: "مَنْ انْـتَ؟" فَـاعْتَرَفَ وَلَـمْ يُنْكِـرْ، وَاقـرَّ: "إنِّـي لَسْـتُ انَـا الْمَسِيحَ". فَسَـألُوهُ: "إذًا مَـاذا؟ إيلِيًـا انْـتَ؟". فَقَـالَ: "لَسْتُ انَا". "النَّبِيُّ انْتَ؟". فَاجاب: "لا"[2].

القاضي

من المقصود بالنبي هنا؟

---

[1] -Dr. Laurance B. Brown, Moses, Goded, Dr.Laurance B. Brown, ٢٠٠٧, Page ١٤٨.

٢- الكتاب المقدس - إنجيل يوحنا - إصحاح ١، آية رقم (١٩ – ٢١).

دين

بعض الناس ينتظرون هذا النبي حتى الآن، ولكن المسلمين يعلمون أن النبي المقصود هو خاتم الأنبياء محمد بن عبد الله[1].

عم الهدوء في القاعة، فأكمل دين قائلا:

دين

وفي موضع آخر في الكتاب المقدس وبالتحديد رؤيا يوحنا اللاهوتي ذكرت أوصافًا تطابق أوصاف النبي عليه الصلاة والسلام كما يلي:

"ثم رأيت السماء مفتوحة، وإذا فرس أبيض والجالس عليه يدعى أمينًا وصادقًا، وبالعدل يحكم ويحارب"[2].

قال المدعي بعجل:

المدعي

إذا كان الدين الإسلامي حق كان يجب أن نجد الإسلام أكثر تسامحًا وتقبُلا للآخر.

دين

الإسلام ينهى عن التعصب، كما قال الرسول: "ليس منا من دعا إلى عصبية..."[3]، وقال أيضًا: "المسلم من سلم المسلمون

١ -Dr. Laurance B. Brown, MisGoded, Islam part ٢, Dr.Laurance B. Brown, ٢٠١٠, page ٣٠ – ٣١.

٢- الكتاب المقدس - سفر رؤيا يوحنا اللاهوتي - إصحاح ١٩، آية رقم ١١ .

٣- سنن أبي داود – باب في العصبية – حديث رقم ٢١٥١.

مـن لسـانه ويـده، والمـؤمن مـن أمنـه النـاس علـى دمـائهم وأموالهم"[1].

وقال عليه الصلاة والسلام: "لا تغضب ولك الجنة "[2].

فتجـد المؤمنين أهـل حلـم وصـبر وتسـامح وحيـاء: ﴿وَعِبَـادُ الـرَّحْمَنِ الَّـذِينَ يَمْشُـونَ عَلَـى الأَرْضِ هَوْنًـا وَإِذَا خَـاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا﴾.[3]

وقد دعا الإسلام إلى مقابلة السيئة بالحسنة في قوله تعالى: ﴿لا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾[4].

والإسلام دين يدعو إلى الصفح والعفو: ﴿... وَأَن تَعْفُواْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى...﴾[5].

﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾[6].

المدعي

إذن لماذا نجد المسلمين أكثر الناس إرهابا، فأشاع في العالم أن ليس كل المسلمين إرهابيين لكن كل الإرهابيين مسلمون؟

قام شاب في وسط الحشود وقال بغل

١- في صحيح الترمذي والنسائي وقد رواه أبو هريرة رضي الله عنه.

٢- في صحيح الجامع ٧٣-٧٤. وعزاه ابن حجر إلى الطبراني، انظر الفتح ٤٦٥/٤.

٣- القرآن الكريم، سورة الفرقان ورقمها ٢٥، آية ٦٣.

٤- القرآن الكريم، سورة فصلت ورقمها ٤١، آية ٣٤.

٥- القرآن الكريم، سورة البقرة ورقمها ٢، آية ٢٣٧.

٦- القرآن الكريم، سورة الشورى ورقمها ٤٢، آية ٤٣.

أحد الحضور

إنكم دائمًا تقصون القصة من منظوركم أنتم، ولكن هل هي كل الحقيقة... من الذي اغتصب أرض المسلمين في فلسطين والعراق وأفغانستان، شرد أطفالهم وقتل أبناءهم ... من الذي عذبهم في السجون مثل سجن (أبو غريب)؟

القاضي

نحن لا نناقش قضية سياسية هنا.... نحن نتكلم عن الدين والدين فحسب.

دين

الإرهاب ليس من الإسلام في شيء، فقد حرم الإسلام الاعتداء على الآخرين بأي شكل من الأشكال لدرجة أنه جعل الاعتداء على فرد واحد كأنه اعتداء على البشرية كلها، فقد قال تعالى: ﴿... مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا...﴾.[1]

هناك تطابق تام بين الإسلام والسلام، فكلمة الإسلام مشتقة من لفظ السلام، وقد وصف الله نفسه في القرآن الكريم بأنه السلام، وتحية المسلمين هي السلام تذكيرًا لهم بأن السلام هدف رئيسي.

١- القرآن الكريم، سورة المائدة ورقمها ٥، آية ٣٢ .

كما يدعو الإسلام المسلمين في وضوح إلى التعايش السلمي مع غير المسلمين الذين لا يقفون منهم موقف عداء[1]، كما قال الله تعالى: ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أن تبرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[2].

المدعي

هذا غير صحيح، فمن المعروف أن دين الإسلام يشجع أتباعه على "الجهاد" أي دخول حرب مقدسة لقتال غير المسلمين.

دين

شاع في اللغات الأجنبية ترجمة مصطلح الجهاد بالحرب المقدسة، والإسلام لا يعرف الحرب المقدسة، فهناك فقط حرب مشروعة وحرب غير مشروعة، وقد أسيء فهم مصطلح الجهاد في العالم الغربي، فالجهاد معناه بذل الجهد، ومن هنا فهو ينقسم إلى قسمين أحدهما: جهاد النفس، وثانيهما: الجهاد بمعنى الحرب المشروعة، ومن المعروف في الإسلام أن النوع الأول يطلق عليه الجهاد الأكبر، وهو جهاد الإنسان نفسه بمعنى أن يحيي نفسه ويقويها على التغلب

---

١ – أ د. أحمد شوقي إبراهيم، موسوعة الرد على الشبهات والافتراءات الموجهة ضد الإسلام– الجزء الأول، الباب الأول، صفحة ١٠٢ – ١٠٤.

٢– القرآن الكريم، سورة الممتحنة ورقمها ٦٠، آية ٨.

على نوازعها الشريرة، وتصفية نفسه وتطهيرها من كل الصفات الذميمة من حقد وحسد وكراهية وتملق وجبن... وبذلك يكون أهلًا للقرب لله سبحانه وتعالى، وقد قال عليه الصلاة والسلام: "أفْضَلُ الْجِهَاد كَلِمَةُ عَدلٍ عند سلْطَانٍ جائِرٍ"[1]، أما النوع الثاني من الجهاد يطلق عليه الجهاد الأصغر بمعنى الحرب المشروعة.[2]

القاضي

وما هي الحرب المشروعة؟

دين

الحرب المشروعة في الإسلام حرب دفاعية هدفها رد العدوان فقط، وآيات القرآن واضحة في هذا الشأن، فقد أذن الله للمسلمين بقتال أعدائهم الذين اعتدوا عليهم في قوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا...﴾[3] وقال تعالى: ﴿وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ﴾[4].

١- رواه أبو داود، والترمذي، كتاب رياض الصالحين، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حديث رقم ١٩٤.

٢- أ.د. أحمد شوقي إبراهيم، موسوعة الرد على الشبهات والافتراءات الموجهة ضد الإسلام، الباب الأول، دار نهضة مصر، الطبعة الأولى ٢٠١٢، صفحة ١٠٢، ١٠٣.

٣- القرآن الكريم، سورة الحج ورقمها ٢٢، آية ٣٩.

٤ - القرآن الكريم، سورة البقرة ورقمها ٢، آية ١٩٠.

المدعي

إذا كان هذا الكلام صادقًا ما انتشر الإسلام بحد السيف.

دين

إن الإسلام لم ينتشر بحد السيف، وما خرج المسلمون إلى الغزوات داخل الجزيرة وخارجها إلا للدفاع عن النفس ورد العدوان أو لإنقاذ شعوب كانت ترزح تحت حكام لها يملون عليها إرادتهم، ويقيدون حرياتها في القول والفعل، فأرادوا نصرة المظلومين المضطهدين من الشعوب، كانت قريش هي البادئة في ظلم المسلمين، وكان الفرس البادئين في حمل السلاح ضد المسلمين وكذلك الروم، فهل مقاتلة الرومان الذين خرجوا من أوروبا واحتلوا مصر والشام وانحدروا إلى الحجاز تعتبر حرب عدوان؟

ولقد ورد في كتاب الدعوة لتوماس أرنولد الآتي: "كان القبط في مصر يعذب أحدهم ثم يلقى في اليم أثناء الحكم البيزنطي". وقد كتب في الباب الرابع من كتابه: "ويرجع النجاح السريع الذي أحرزه الغزاة العرب إلى ما لقوه من ترحيب الأهالي المسيحيين الذين كرهوا الحكم البيزنطي لما عرف من إدارة ظالمة، ولما أضمروه من حقد مرير على علماء اللاهوت[1].

1- شوقي أبو خليل، الإسلام في قفص الاتهام، دار الفكر، الطبعة الخامسة ١٩٨٢، صفحة ١٢٢، ١١٠ .

والدليل على أن الإسلام لم ينتشر بحد السيف الآتي:

١ - وجود بعض النصارى في مصر والبلاد التي غزاها الإسلام على دينهم، فلما غزا عمرو بن العاص، ما أكره النصارى في مصر على دخول الإسلام، ومن دخل منهم الإسلام كان على اقتناع.

٢ - هناك بلاد كثيرة جداً لم تدخلها جيوش الإسلام، ومع ذلك دخل شعوبها الإسلام كما حدث في إندونيسيا، ٩٥٪ من أهلها مسلمون وبلاد جنوب شرق آسيا.

٣ - لا يزال الإسلام في انتشار مستمر في أوربا وأمريكا وأستراليا، فهل دخلت جيوش المسلمين هذه البلدان؟!

خيَّم الصمت على الجميع وقام نور قائلا:

نور

هذا ما توصل إليه غاندي عندما قال: "صارت لدي قناعة أكثر من أي وقت مضى بأن السيف لم يكسب أرضًا للإسلام، بل كانت البساطة الشديدة وتواضع النبي والاحترام التام لعهوده، وإخلاصه الشديد لأصحابه وأتباعه، وبسالته وشجاعته وثقته المطلقة في الله ورسالته، كل هذا - لا السيف - هو الذي مهد الطريق وتخطى الصعاب"[١].

١ -Yusuf Islam, The life of the last prophet, Introduction, Darrusalam publishers, Page ix
M.K.Gandhi, statement published in YOUNG INDIA, ١٩٢٤.

دين

الإسلام لا يُكْرِه أحدًا على الدخول فيه، وقد ذكر الله في كتابه الكريم: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ...﴾[1] أي اتضح الإسلام بالأدلة العقلية.

وفي قوله: ﴿وَقُلِ الْحقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ.... ﴾[2].

المدعي

أنت بارع حقًا يا دين، لقد ذكرت الآيات التي تدعو إلى السلام ولم تذكر آيات السيف التي نزلت آخر أيام الدعوة النبوية ... والتي ألغت كل ما سبقها من آيات الدعوة المسالمة، وأحلت العنف مكان اللطف، والإكراه مكان الحرية!

القاضي

آيات تدعو للسلم وآيات تدعو إلى الحرب، كيف ذلك؟!

المدعي

قد التف علماء المسلمين حول التناقضات العديدة في القرآن بمبدأ الناسخ والمنسوخ، حيث إن النصوص المتأخرة تنسخ النصوص المبكرة، وللأسف فإن الآيات السلمية في القرآن معظمها مبكر وتاريخها يعود إلى الوقت الذي كان فيه محمد

١- القرآن الكريم، سورة البقرة ورقمها ٢، آية ٢٥٦.

٢- القرآن الكريم، سورة الكهف ورقمها ١٨، آية ٢٩.

في مكة، وتاريخ الجهاد متأخر بعد نزوحه إلى المدينة، والخلاصة هي "سحر كلمة الإسلام دين السلام" بطل منذ حوالي ١٤٠٠ سنة، فكان الإسلام دين السلام ولا شيء غير السلام لمدة ١٢ عامًا فقط [1].

دين

هذا افتراء واضح يا سيادة المستشار، ودعوى بغير دليل! عن أي تناقضات في القرآن تتحدث حتى تخيلت أن علماء المسلمين قاموا بإخفائها عن طريق مبدأ الناسخ والمنسوخ؟!... وكيف تصورت أن يكون هناك أدنى تناقض فيه وهو من عند الله؟! ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا﴾[2].

المدعي

آيات السيف مثلا والتي تصر على أن تخفيها تتناقض مع آيات السلم كما ذكرتُ.

القاضي

وما هي آيات السيف يا سيادة المستشار؟

١- هذا ما نشره باتريك سوكديو مدير وكالة الدراسات المسيحية والإسلامية، في مجلة سبكتيتور في لندن ٣٠ تموز ٢٠٠٥، في مقال عنوانه "أسطورة الإسلام المعتدل".

Richard Dawkins, The God Delusion, Bantam, ٢٠٠٦, Page ٣٠٧.

٢ - القرآن الكريم، سورة النساء ورقمها ٤، آية ٨٢.

المدعي

﴿... وَقَاتِلُواْ الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً...﴾[1].

دين

الا تكملها؟... أليس بعدها ﴿كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً..﴾؟

المدعي

﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ..﴾[2]

دين

أليس تكملة الآية: ﴿وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ...﴾؟!

يا سيادة القاضي، هذه عادة أعداء الإسلام، فهم يلتقطون أجزاء من الآية لإعطاء انطباع يخالف المعنى، وفي حالتنا هذه يحاول المستشار أن يعطي انطباعًا بأنها آيات السيف، ولا يوجد في القرآن ما يسمى بآية سيف! هناك جملة من الآيات في معاملة المعتدين على المسلمين كما ذكرتُ سالفًا. والله يأمر المسلمين بألا يعتدوا: ﴿وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ﴾[3].

---

١ – القرآن الكريم، سورة التوبة ورقمها ٩، الآية ٣٦.

٢ – القرآن الكريم، سورة البقرة ورقمها ٢، الآية ١٩١ .

٣– القرآن الكريم، سورة البقرة ورقمها ٢، آية ١٩٠.

القاضي

يبدو لي من كلامك يا دين أن محمدًا كان ينادي بالسلام منذ بداية دعوته حتى نهايتها، ولكن هل هو صحيح مبدأ الناسخ والمنسوخ في القرآن؟ هل يوجد نص انتهى أمده وبطل حكمه وآيات نزلت لتمحى بآيات أخر؟

المدعي

أجل يا سيادة القاضي .. هذا ما ذكره القرآن، ففي سورة البقرة ذكر ﴿مَا نَنسَخ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا...﴾[1].

دين

هذا قصور في فهمك أنت للآية الكريمة.

الآية في أصل اللغة هي: الدليل، والحجة، والعلامة على صحة الشيء. وسميت جمل القرآن آيات، لأنها بإعجازها حجج على صدق النبي، من قبيل تسمية الخاص بالعام، كما ترون، المقصود بلفظ "آية" هنا هي ما يؤيد الله به أنبياءه من الدلائل على نبوتهم من معجزات، لكن إذا فهم النسخ على أنه إبطال لحكم سبق نزوله، والإتيان بحكم جديد أصلح للناس، أو أدنى منه إلى الحق، فهذا ننفيه نفيًا باتًا، ثم إن القول بآيات نُسخ لفظها وحكمها معًا، وأنسيها الرسول

١- القرآن الكريم، سورة البقرة ورقمها ٢، آية ١٠٦.

وصحابته جميعًا، كلام لا وزن له، فكل آية ظن نسخها يستبن لدى التأمل أنها نافذة الحكم[1]، وصدق الله العظيم حيث قال: ﴿لا يَأْتيهِ الْباطِلُ مِن بيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تنزِيلٌ مِّنْ حكِيمٍ حمِيدٍ﴾[2].

المدعي

ولكن ألم تُنسخ الآيات الخاصة بتحريم الخمر في القرآن؟

دين

لا يوجد آيات تفيد أن الله أباح الخمر أولا ثم عاد فحرمها، غاية ما هنالك أنه تدرج في التشريع، فهل هذا يسمى نسخًا؟ الله عز وجل أحكم من أن يفطم عباده عن هذه الآفة بكلمة واحدة، فشرع لهم ما يبعدهم عن الشراب المحرم رويدًا رويدًا، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لا تَقْرَبُواْ الصَّلاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى حَتَّىَ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ...﴾[3] وقال: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا...﴾[4]... حتى إذا تمهد الجو للصراحة الكاملة، أعلن الحكم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ

١- الشيخ الغزالي، نظرات في القرآن، حول النسخ، دار نهضة مصر، الطبعة العاشرة ٢٠١٢، صفحة ١٩٥ – ٢٠٥.

٢ – القرآن الكريم، سورة فصلت ورقمها ٤١، آية ٤٢.

٣- القرآن الكريم، سورة النساء ورقمها ٤، آية ٤٣.

٤- القرآن الكريم، سورة البقرة ورقمها ٢، آية ٢١٩.

فَاجتَنِبوهُ...﴾[1] فاعتبرت الخمر رجسًا، واعتبر شاربوها مذنبين.

خيم السكون على القاعة، فالتفت دين إلى الحضور قائلا:

دين

أيها الناس، الإسلام نموذج لتقبل الآخر، العديد من الأديان تزعم أنها دين الحق وما عداها باطل، وأتباعها فقط دون الباقين هم الذين سيفوزون بالجنة وعقيدتهم هي الوحيدة التي ستحقق الخلاص، ويجادلون في ذلك كثيرًا، أما الإسلام فله وجهة نظر مختلفة تمامًا في هذا الشأن، فالإسلام في لغة القرآن هو الدين الذي دعا إليه كل الأنبياء[2]، فنجد يعقوب يوصي بنيه: ﴿...فَلا تَمُوتُنَّ إلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[3] وموسى يقول لقومه: ﴿..يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم باللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾[4] والحواريون يقولون لعيسى: ﴿..نَحنُ أنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا باللَّهِ وَاشْهَد بأنَّا مُسْلِمُونَ﴾[5]. وكل شريعة أو ملة، حتى الديانات الوثنية، ترى القرآن يحللها ويفصلها، فيستبقي ما فيها من عناصر الخير والحق وينحي ما فيها من عناصر

١- القرآن الكريم، سورة المائدة ورقمها ٥، آية ٩٠.

٢- الشيخ الغزالي، التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام، المسلمون وأهل الذمة، نهضة مصر، الطبعة الرابعة ٢٠٠٤، صفحة ٦٧.

٣- القرآن الكريم، سورة البقرة ورقمها ٢، آية ١٣٢.

٤- القرآن الكريم، سورة يونس ورقمها ١٠، آية ٨٤.

٥- القرآن الكريم، سورة آل عمران ورقمها ٣، آية ٥٢.

الباطل[1]، ولا يستطيع أي فرد أو فصيل أن يحتكر رحمة الله أو ينكرها على أحد[2]. فقد قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ[3] مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[4].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[5] سليم من الشرك ورذائل الأخلاق؛ لأن القلب سلم لله لله وسلم لأمره.

أخذ القاضي نفسًا عميقًا ثم قال:

القاضي

القرآن في الواقع يشكل دليلا قويًا على نزول كل الرسالات السماوية السابقة، أنا أعلن ..

١- الشيخ الغزالي، التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام، المسلمون وأهل الذمة، نهضة مصر، الطبعة الرابعة ٢٠٠٤، صفحة ٧٤.

٢ -Dr. Hassan Hathout, Reading the Muslim mind, Chapter ٣ the people of the book (Jews & Christians),The American Trust Publication, ٧th Edition ٢٠٠٥.

٣ – أما الصابئة فقد اختلف العلماء فيهم .. قال بعضهم: هم أتباع نوح ولكنهم غيروا بعده وعبدوا من دون الله الوسائط في الكون كالشمس والقمر والكواكب .. أو الصابئة: هم الذين انتقلوا من الدين الذي كان يعاصرهم إلى الدين الجديد ..أو هم جماعة من العقلاء قالوا: ما عليه قومنا لا يقنع العقل .. كيف نعبد هذه الأصنام ونحن نصنعها ونصلحها؟ .. فامتنعوا عن عبادة أصنام العرب .. فقالوا عنهم انهم صبئوا عن دين آبائهم .. أي تركوه وآمنوا بالدين الجديد .. وأيا كان المراد بالصابئين فهم كل من مال عن دينه إلى دين آخر (الشيخ الشعراوي، تفسير الشعراوي المجلد الأول، أخبار اليوم قطاع الثقافة،١٩٩١، صفحة ٣٧١ – ٣٧٢).

٤- القرآن الكريم، سورة البقرة، ورقمها ٢، آية ٦٢ .

٥- القرآن الكريم، سورة الشعراء ورقمها ٢٦، آية ٨٨ – ٨٩.

المدعي (مقاطعاً)

لدي آخر برهان يا سيادة القاضي!

القاضي

تفضل.

المدعي

يا سيد دين، لقد ذكر القرآن أن الله تحدى البشر في أن يأتوا بمثل هذا القرآن، وقد ذكر هذا التحدي نحو خمس مرات في القرآن، ماذا تقول لو أحبط أحد هذا التحدي؟

دين

لوقت طويل سعى الناس لدحض القرآن لأسباب سياسية وشخصية ولكنهم فشلوا، على الرغم من أن كثيراً منهم كانت اللغة العربية هي لغتهم الأصلية.

المدعي

من قال هذا؟ لماذا لا يستطيع أحد أن يأتي بنص مماثل للقرآن؟ هل يوجد هنا من يستطيع أن يواجه مثل هذا التحدي؟ نحن في القرن الحادي والعشرين، بالله عليكم.

قالت امرأة في آخر القاعة:

امرأة في آخر القاعة

نعم، ولِمَ لا ... إنها ليست مهمة صعبة.

قال أحد الشباب في منتصف القاعة بعد تفكير:

شاب في منتصف القاعة

هذه مهمة مستحيلة.

قال شيخ كبير جالس بجانب الشاب:

شيخ

ولِمَ تراها مستحيلة؟

القاضي

أي شخص هنا يعتقد أنه يستطيع أن يواجه هذا التحدي يرفع يده.

رفعت بعض الناس يديها، فقال دين:

دين

من يعتقد أنه يستطيع أن يأتي بثلاث آيات تماثل ما جاء به القرآن الكريم فليتراجع، فالقرآن لم ينزل بترتيب زمني، كثيرًا ما توضع آية جديدة بين آيتين نزلا من قبل، فالآن يجب عليك أن تكتب السطر الأخير أولا (دون تصور مسبق للسطرين الأولين) ثم السطر الأول ثم الثاني مع مراعاة أن تكون كل مرحلة من مراحل هذا التكوين له معنى منفرد،

ويحقق بلاغة أدبية لا تضاهى، وبأسلوب جديد لا يعرف من قبل، بالإضافة إلى ذلك يجب على هذا التكوين أن يأتي بنبوءة تتحقق أو يعالج مشكلة حالية أو يسن قوانين في مجال ما، ينفع به الأمم في أي زمان، أو يعلن عن حقيقة علمية لن تكشف قبل ١٤٠٠ سنة من وقتنا الحالي أو أكثر.

وإذا بالغت في حلمك وتخيلت أنه بإمكانك عمل كتاب مماثل، يجب كتابك هذا أن ينهض بقوم لا ذكر لهم ويدفعهم لقيام حضارة عظيمة تتأثر بها جميع الأمم...

ويجب أن تكتبه بطريقة تجعل عشرات الملايين من الناس بألسنة مختلفة من جميع أنحاء العالم تحفظه كلمة بكلمة وحرفًا بحرف وبالتشكيل، ويسكن في القلوب جيلا بعد جيل لمدة ١٤٠٠ سنة أو أكثر[1].

أخذت الناس تهمس في القاعة واختفت الأيادي المرفوعة، ثم قال رجل في تردد:

أحد الموجودين بالقاعة

نحتاج لمزيد من الوقت.

بدأ الجميع يرددون نفس الجملة:

أحد الموجودين بالقاعة

أجل، يجب أن تكون لدينا فرصة أفضل.

١- Dr. Laurance B. Brown, Goded, Evidence ٢, Dr.Laurance B. Brown, ٢٠٠٧, page ٤٧.

صاح القاضي قائلا:

القاضي

سيتم تأجيل النطق بالحكم حتى يأتي أحدكم بنص يعتقد أنه يحاكي القرآن.

قال دين بابتسامة:

دين

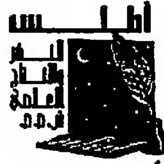
منذ ١٤٠٠ عام لم يستطع أي بشر أن يأتي بسورة مثل ما ورد في القرآن الكريم، لِمَ لا ننتظر حتى آخر الأجل؟!

القاضي

أعلن أن القضية مستمرة إلى أجل غير مسمى... فالقضية لا تزال مفتوحة!!!!

فهرس الكتاب

رقم الصفحة



أطلس

للنشر والإنتاج الإعلامى